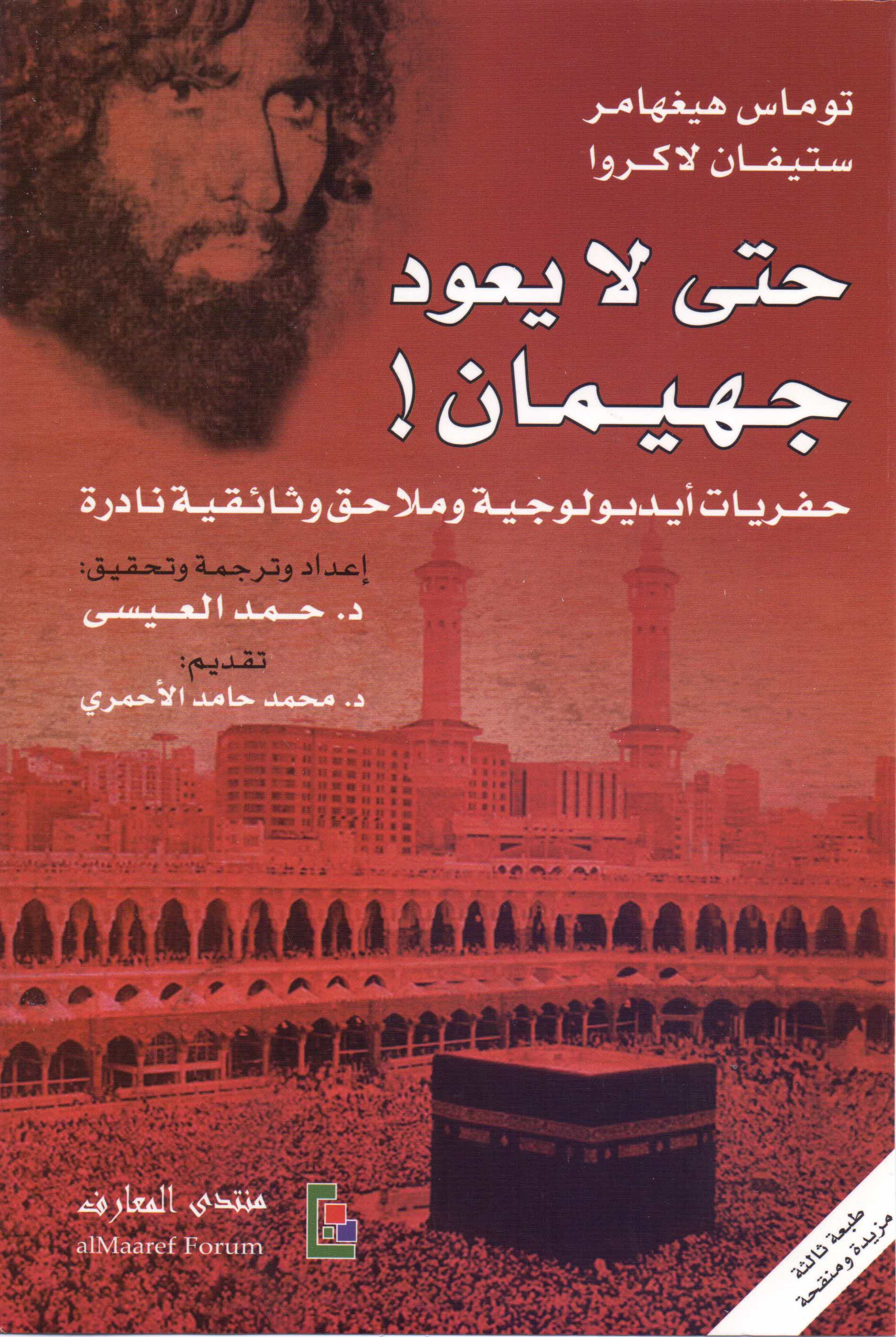

توماس هيغهامر
ستيفان لاكروا
حتى لا يعود جهيمان!
حفريات أيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة
إعداد وترجمة وتحقيق:
د. حمد العيسى
تقديم:
د. محمد حامد الأحمري
منتدى المعارف
alMaaref Forum
طبعة ثالثة
مزيدة ومنقحة




«...وبالتالي، فإن هذا الأمر يطرح السؤال التالي: هل يمكن أن يحدث تمرّد في مكة مرّة أخرى؟ فمن ناحية، هناك توتر جوهري متأصل بين «الحركية» والفكر القيامي، بمعنى أن أولئك الذين يؤمنون بالقدر قد لا يملكون سوى حوافز ضعيفة لمحاولة تغييره. ومن ناحية أخرى، من الصعب التنبؤ بتعصّب وحماس المهمّشين. ولذلك، فمن غير الحكمة افتراض أن النشاط الحركي القيامي لن ينبثق مرّة أخرى. على الأقل الأجيال القادمة لديها سبب وجيه لكي تبقى يقظة في الجولة القادمة عندما ينبثق القرن الهجري الجديد في 26 تشرين الثاني/نوفمبر 2076».

د. توماس هيغهامر و د. ستيفان لاكروا

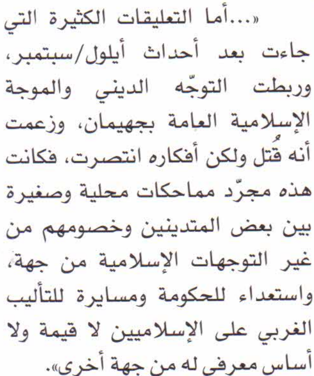
The Meccan Rebellion:
The Story of Juhayman Al'Utaybi Revisited





«ترى.. هل كانت عملية دعم الحكومة السعودية للمجاهدين الأفغان بقوة فيما بعد مثل السماح بجمع التبرّعات على نطاق واسع بصورة شعبية وأحياناً رسمية، والسماح بل تشجيع الشباب السعودي على المشاركة في الجهاد ضد السوفيات، نوعاً ما رد فعل شعوري أو «لا شعوري» على تمرّد جماعة جهيمان في مكة ووسيلة لاسترداد شيء من شرعية النظام الإسلامية التي اهتزت بعد حادثة الحرم المكي؟!».

د. حمد العيسى



«...أما التعليقات الكثيرة التي جاءت بعد أحداث أيلول/سبتمبر، وربطت التوجّه الديني والموجة الإسلامية العامة بجهيمان، وزعمت أنه قُتل ولكن أفكاره انتصرت، فكانت هذه مجرّد مماحكات محلية وصغيرة بين بعض المتدينين وخصومهم من غير التوجهات الإسلامية من جهة، واستعداء للحكومة ومسايرة للتأليب الغربي على الإسلاميين لا قيمة ولا أساس معرفي له من جهة أخرى».

د. محمد حامد الأحمري

منتدى المعارف

بناية «طبارة» ـ شارع نجيب العرداتي ـ المنارة ـ رأس بيروت
ص.ب.: ٧٤٩٤ ـ ١١٣ حمرا ـ بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ ـ لبنان
بريد الكتروني: info@almaarefforum.com.lb

ISBN 978-614-428-075-1
9 786144 280751

حتى لا يعود جهيمان!

حفريات أيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة

توماس هيغهامر و ستيفان لاكروا

حتى لا يعود جهيمان!

حفريات أيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة

إعداد وترجمة وتحقيق:
د. حمد العيسى

تقديم:
د. محمد حامد الأحمري

منتدى المعارف
alMaaref Forum



الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد منتدى المعارف

هيغهامر، توماس

حتى لا يعود جهيمان! حفريات أيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة/ توماس هيغهامر وستيفان لاكروا؛ إعداد وترجمة وتحقيق حمد العيسى؛ تقديم محمد حامد الأحمري.

٣٥٠ ص.

ISBN 978-614-428-075-1

١. السعودية ـ الأحوال السياسية. ٢. الإسلام السياسي ـ السعودية. ٣. السلفية. أ. لاكروا، ستيفان. ب. العيسى، حمد (معد ومترجم ومحقق). ج. الأحمري، محمد حامد (مقدم). د. العنوان.

320

This publication was originally published as **The Meccan Rebellion: The Story of Juhayman al'Utaybi Revisited**
by amal press (www.amalpress.com). Translated and published with kind permission from the publisher and from Cambridge University Press.

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٣

الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠١٣

الطبعة الثالثة، بيروت، ٢٠١٤

منتدى المعارف

بناية «طبارة» ـ شارع نجيب العرداتي ـ المنارة ـ رأس بيروت

ص.ب: ٧٤٩٤ ـ ١١٣ حمرا ـ بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ ـ لبنان

بريد إلكتروني: info@almaarefforum.com.lb

المحتويـــات

تقديـــم
عمل استشراقي.. ولكن متميِّز ويستحق التأمل

بقلم: د. محمد حامد الأحمري

ما كنت أتوقع أن أجد نفسي أكتب مقدمة لعمل استشراقي؛ ذلك لأن أعمال المستشرقين أصبحت في عالمنا مدانة قبل أن نراها أو نقرأها، وهي غير موثوقة في ثقافة العالم العربي منذ ظهرت؛ لأنها واكبت في انتشارها سيطرة المحتلين، ولأن بعض المستشرقين كانوا ممهدين ومستطلعين ومستشارين للغزاة ومبشرين ومشوهين، وعندهم عُقد عميقة من ثقافتنا، ما جعل العربي ينظر إليهم بريبة دائماً، حتى عندما يتتلمذ عليهم ويأخذ عنهم. وقد أصبحت عبارة: (مستشرق منصف) أو: (أنصف هذا المستشرق) تقال تعقيباً على قولٍ أو نقلٍ عنهم لتبرئة المستشرق من سيرة قومه، أو لإنقاذ فكرة له من سياق الذم العام الغالب على الموقف منهم ومن دراساتهم، ولأن كبار مثقفي العربية كانوا كثيراً ما يسخرون من معرفة المستشرقين ويستهجنون النقل عنهم، أمثال: العقاد ومحمود شاكر.

ثم جاءت موجة كتابات (ما بعد الاستعمار) في العالم الغربي، فأكدت هذه المواقف، وقد عاصرنا العمل الرئيس الذي حاكم غربياً ثقافة المستشرقين، وقضى على مكانتها المعرفية في الغرب، وأكد الشكوك والكراهية لذلك المنتج، وجعلها معيبة وموطن شك كبير، ذلك هو عمل إدوارد سعيد المؤثر جداً في ثقافة ما بعد الاستعمار، وحتى من يفكر في اختزال الأثر في موقف مفكر مؤثر عالمياً إلى عمل واحد أو كتاب واحد فهو مؤكد سيكون كتاب **الاستشراق** الذي منيت ترجمته إلى العربية الأولى

بترجمة سيئة لـ كمال أبو ديب، جعلته مهجوراً لدى المثقفين العرب، حتى أخرجه العناني للقراء العرب في ترجمة جديدة.

ولم يحظَ كتاب **الاستشراق** بالدراسة إلا نادراً، بل لقي الدعاية والتأييد إجمالاً، مثله مثل كتاب **رأس المال** لدى الشيوعيين الذين يمجّدونه من دون قراءة، ولأن العالم العربي لا يحتاج لمن يهجو عمل المستشرقين؛ فالموقف من عملهم منجَز سلفاً، وسبق أن تداول العرب أعمالاً كثيرة جداً، سواء أكانت بسيطة أم عميقة، عمومها يؤكد ويخصّب موقفاً مضاداً مسبقاً؛ لأن الاستشراق التصق في المخيلة العربية بالاستعمار وثقافته، وهو الموقف العام لدى المثقفين وله ما يبرره، وبخاصة عندما لحق الموقف الثقافي الغربي الجديد بتأييد الموقف الشرقي من هذه الأعمال، فكأن المثقف العربي فرح بتأكيد موقفه المسبق، وكأن لسان حاله يقول: ها هي الشواهد منهم تؤكد ما سبق الإجماع عليه عندنا، ولهذا، فإن المثقف العربي أصبح يقبل فكرة المستشرق عندما يروّجها عربي، ولا يطيقها ولا يقبلها إن وجدها منقولة من أصل استشراقي صريح ومباشر، ولهذا سادت وأثرت أفكار المستشرقين عندما روّج لها وسطاء كثيرون لم يبيّنوا أنهم مجرد وسطاء وناقلين وإن تعقّبهم علماء مشاهير، ولكن الوسطاء نجحوا في الترويج عبر ميداني الأدب في النصف الأول من القرن العشرين، والدراسات الإسلامية في ما بعد.

أمّا هنا، فإني أنظر بتقدير إلى عمل الأستاذين (د. توماس هيغهامر، ود. ستيفان لاكروا) لمبادرتهما في دراسة حاولت أن تكون جادة وباحثة عن الحقيقة؛ وفي بحثيهما إلمام وتنقيب مشكور عن شخصيتين مهمتين في مسيرة الحركة السلفية، ولقد وددت أن تنجو هاتان الدراستان من عيوب الدراسات الاستشراقية المكرورة، وقد سلِمتا لحسن الحظ إلى حد بعيد من تلك العيوب، ولكن في الوقت نفسه أكدت الدراستان بعض العلل المعروفة عن عمل المستشرقين. **أولى**، هذه العلل غربة الكاتب عن بيئة وفكر وثقافة المجتمع، وثاني، هذه العلل الهاجس التنظيري والقبض على وعي الحدث من خلال نظريةٍ ما مفسّرة ولو معتسِّفة أحياناً في غير مكانها، مثل البحث في مسألة البدو والحضر والقبيلة، ما جعل أحدهما يستدل من اسم القبيلة على الأشخاص بأنهم من البادية، وهذا ليس

صحيحاً في الغالب، أو قصة البطالة بحثاً عن (طبقية)، أو البحث عن أتباع في (أحياء فقيرة)، وهذه وإن وجدت في مواقف وظروف أخرى، فإنها ضعيفة المأخذ جداً في حال بحثيهما، فلم تكن لمن يستطيع أن يقرأ أو يكتب ـ أو حتى من يبحث عن عمل وهو أمّي ـ مشكلة بطالة آنذاك، ولا حتى بين الوافدين، وكذا المبالغة في تعظيم دور الشخص أو الحركة أو الفكرة موضوع الدراسة في مصير تديّن المجتمع، فقد أعطى الدارسان (هيغهامر وستيفان لاكروا) الألباني وحركة جهيمان أثراً فوق قدرهما ومكانهما الحقيقي في بنية وفكر الحركة الإسلامية السلفية.

والصحيح أن جهيمان والألباني، هما نتاج موجة الصحوة الإسلامية في العالم العربي عموماً، ولم يكونا بهذه المكانة ولا البناء؛ فالألباني وارث من ورثة التوجه السلفي الذي سبقه في مصر والشام والجزيرة العربية، وكذا جهيمان ومدرسة المدينة المنورة كانا ثمرة لقاء للسلفيين ببوادر الإخوان المسلمين. أما ميزة الألباني الكبرى، فهي مسألة الجرأة في التصحيح والتضعيف في الحديث، وليست في ميزته الحركية، وقد كان الألباني متأثراً بالسلفيين والإخوان، وكتب أول تخريجاته على كتاب الإخواني في شبابه سيد سابق **فقه السنّة**، وتخريج كتاب **الحلال والحرام** لـ القرضاوي. وعندما كان في الجامعة الإسلامية في المدينة آنذاك، كان كهول وشباب الإخوان موجودين فيها، من أمثال: عبد الرحمن عبد الخالق، عمر الأشقر، ربيع مدخلي، وغيرهم. وقد تركوا تنظيم الإخوان في مراحل تالية، ولم تكن مشكلة السلفيين آنذاك مع الإخوان المسلمين ـ بدليل مشاركة عدد منهم في أعمالهم الأولى، بما في ذلك تكسير الصور، ومهاجمة مقاهي الشيشة (الأرجيلة)، بل المصادمة مع ما كانوا يرونه من عدم التزام السلطة وبعض المشائخ بالدين. وكذا من عبث النظريات ما اشتُهر لاحقاً بأن جهيمان انهزم تنظيمياً وانتصر فكرياً من خلال موجة أسلمة عامة في البلاد، وهذه إحدى خرافات التحليل اللاحق، لأن جهيمان كان مظهراً ونتيجة للإقبال على التدين وعلى الصحوة الإسلامية العامة التي اجتاحت المجتمع آنذاك، وكان من أنشطها التوجهات السلفية والإخوان والتبليغ، وشهدت المنطقة ذروة مواجهتها للقوميين واليسار بأنواعهما، فكان الدين توجهاً عاماً وملجأ بل مطلباً

حكومياً رسمياً بديلاً من التوجهات الأخرى، إلى جانب الحماسة الكبيرة والبيئة المناسبة لأفراد هذه الحركات، كما إن زخم التوجه الإسلامي لم يتأثر سلباً بإخراج الألباني ـ الذي بالغ البحث في دوره ـ ولا غيره من الطلاب العرب الذين شاركوا في حوادث المدينة وأخرجوا؛ فقوة الدعوة جاءت من بعدهم، ولم تتأثر بفشل حركة جهيمان؛ لأن خطاب حركته كان إلى حد كبير مرفوضاً شعبياً، ومرفوضاً من التوجهات الدينية بسبب تزمُّتهم الكبير وجزئية خطابهم وخطأ مسلكهم.

أما التعليقات الكثيرة التي جاءت بعد أحداث أيلول/سبتمبر، وربطت التوجه الديني والموجة الإسلامية العامة بجهيمان، وزعمت أنه قُتل ولكن أفكاره انتصرت، فكانت هذه مجرد مماحكات محلية وصغيرة بين بعض المتدينين وخصومهم من غير التوجهات الإسلامية من جهة، واستعداء للحكومة ومسايرة للتأليب الغربي على الإسلاميين لا قيمة ولا أساس معرفي له من جهة أخرى. وإلا فأين نجد حركة جهيمان فكراً وسلوكاً في تيار الصحوة الإسلامية المحلية والعالمية الذي اجتاح العالم الإسلامي كله في العقود الثلاثة الأخيرة؟!

أما الفرع الجهادي، فقد كان مدرسة مختلفة وله جذوره السلفية النجدية والمصرية، وبعضه دخل معه وبعضه فارقه من قبل ومن بعد، وله أجندة وممارسات تختلف مع عموم التيار الإسلامي العامّ الذي بعضه رسمي، وحتى بعض من كان تكفيرياً فإنه لم يكن جهادياً.

وفي إحدى الدراستين تنبيه لظاهرة (القياموية) على رأس المائة سنة، وهذا مصطلح مسيحي أقحمه المؤلف على الثقافة الإسلامية، والموجود عند المسلمين، هو موضوع التجديد على رأس كل قرن، وقد كانت حركة جهيمان سابقة بعام على بداية القرن، وتبدو ربما مستشعرة لهذا، ولو أن هذا الخطاب كان ضعيفاً في عملهم.

ويتراجع حذق الدارس في تقبُّله دعاية مضادة وهو يفسر فصل جهيمان بأسباب (مشينة) أو وهو يرد على الأفكار بأنها (تأثير أيديولوجي خارجي)، إذ لا تعترف الثقافة الإسلامية بمفهوم رفض ثقافة إسلامية، لأنها من شخص خارج بلد المتأثرين بدليل الألباني نفسه، ويظهر عدم إلمامه

بالموقف الإسلامي في موضوع أن هناك من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بطريقة (غير رسمية)، فليس للطريقة الرسمية أصل إسلامي؛ لأن هذا ضد حديث: «من رأى منكم منكراً فليغيّره» وكذا في مسألة وجود أحاديث غير صحيحة في **البخاري ومسلم**، إذ لا يعتقد علماء الإسلام بالنقاء التام للكتابين، بل القول بالصحة لعموم مرويات الكتابين وليس كل مرويات الكتابين، وكذا موضوع أنه لم يسبق أن قُتِل مثل هذا القتل في مكان عبادة، فلعل الكاتب لم يتنبه إلى حادثة القرامطة بقيادة أبي سعيد الجنابي الذي كان يقتل الحجاج في المطاف ويلهج:

أنـــا بـــالــلـــه وبـــالــلـــه أنـــا ✽ يـخـلـق الـخـلـق وأفـنـيـهـم أنـا

وبعد، فإن ما ذكرت هنا هي ملاحظات يسيرة على بحثين قيّمين لا يُنقِص النقد من جدواهما وأهميتهما، وخصوصاً في غياب أي جهود معمقة من مؤرخين معاصرين للحدث؛ ولأن موضوع حركة جهيمان لم يزل جَمره حتى الآن محرقاً أصابع المؤرخين المحليين، فلا يتناولونه إلا حين يبرد، ولكن للأسف حينها تكون قد ماتت تفصيلات كثيرة مهمة.

ختاماً، أقدّر للمترجم والباحث الدكتور حمد العيسى هذا الجهد والانتقاء الموفّق في تراجمه المتنوعة من أدبية وفكرية ونفسية، وما يضفي عليها من سلاسة ووضوح، وكنت قرأت جُلّ أعماله المنشورة قبل أن يطلب مني، مشكوراً، كتابة هذا التقديم.

د. محمد حامد الأحمري
الدوحة، قطر
١١ شوال ١٤٣٣
٢٨ آب/ أغسطس ٢٠١٢

كلمة المترجم
حتى لا يعود جهيمان!

«الماضي لا يموت مطلقاً، بل إنه ليس حتى ماضياً». . .

وليام فولكنر

إن هدفي من اختيار هذا الكتاب للترجمة هو ببساطة، كما قلت في عنوان هذه الكلمة: حتى لا يعود جهيمان! ولكن جهيمان أعدم ومات ونال ما يستحقه جرّاء فعلته النكراء، ولكنه ـ للأسف ـ كما يشرح المؤلفان في هذا الكتاب ترك ذكرى وبعض الأفكار الخطيرة التي واصل حملها بعض خلفائه مثل أبو محمد المقدسي الذي كان أكثر تطرفاً من جهيمان؛ وعانينا من هذه الأفكار لاحقاً في تفجيرات الرياض عام ٢٠٠٣ مثلاً.

لقد تعلّمت طوال فترة عملي المهني كمهندس في أرامكو، أنه عندما تقع مشكلة خطيرة، يجب ـ بالطبع ـ العمل على عدم تكرارها. ولتحقيق هذا الهدف، ينبغي أن نجيب عن سؤالين مهمين هما: لماذا وقعت المشكلة؟ وكيف؟. ومن دون معرفة الإجابة عن هذين السؤالين لا يمكن ضمان عدم تكرار المشكلة.

لقد صدمت حادثة الحرم المكي مشاعر جميع المسلمين وحتى غير المسلمين، ولكن للأسف ـ كما يشير مؤلفا هذا الكتاب ـ لا توجد الكتب الكافية بالعربية(*) عن هذه الحادثة. ويقول الصحافي الأمريكي ياروسلاف تروفيموف الذي حصل على إذن من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

(*) صدر مؤخراً (شباط/ فبراير ٢٠١١) كتاب مهم بعنوان قصة وفكر المحتلّين للمسجد الحرام، عن مركز المسبار للدراسات والبحوث في دبي، وهو لكل من: أحمد عدنان، ناصر الحزيمي، ومنصور النقيدان. وينبغي شكر المركز على اهتمامه بسد النقص المعرفي الواضح حول هذه القضية على الرغم من كون الكتاب يميل إلى السرد التاريخي الوثائقي للأحداث، أكثر من التحليل الأيديولوجي المركّز الذي يقدّمه هنا كل من د. هيغهامر ود. لاكروا. كما صدر قبله كتاب مذكرات هامّ لناصر الحزيمي بعنوان أيام مع جهيمان: كنت مع الجماعة السلفية المحتسبة عن الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١١. (المترجم).

بالرياض لتنفيذ دراسة عن حادثة الحرم المكي، وسمح له بمقابلة العديد من الشهود على حادثة الحرم المكي ليكتب القصة شبه الكاملة في كتاب أصدره عام ٢٠٠٧ في الطبعة الفاخرة الأولى ذات الغلاف الصلب (Hardcover) بعنوان: **حصار مكة: الانتفاضة المنسية في أقدس بقعة إسلامية وولادة القاعدة**. ثم صدرت الطبعة الشعبية ذات الغلاف الورقي (Paperback) في عام ٢٠٠٨ بعنوان فرعي مختلف بصورة لافتة وهو **حصار مكة: انتفاضة عام ١٩٧٩ في أقدس بقعة إسلامية**.

نعم، يقول تروفيموف إن الكتاب السعودي شبه الرسمي الوحيد الذي صدر بعد القضاء على التمرد وهو بعنوان **وتموت الفتنة** (صدر عن تهامة للنشر عام ١٩٨٠ ويحتوي على مواد نشرت في جريدة **الندوة** السعودية)، تم سحبه لاحقاً من المكتبات ومنع من التداول.

ويقول القائد العسكري الصيني الشهير صن تزو (٥٤٤ ـ ٤٩٦ ق.م.) في كتابه **فن الحرب**: «**إذا كنت تعرف عدوّك وتعرف نفسك، فسوف تكسب مئات المرات في مئات المعارك**». ويؤكد المحقق الأمريكي من أصل لبناني علي صوفان، الذي أنجز نجاحات باهرة في استجواب إرهابيّي القاعدة وحصل على أول وأسرع دليل يثبت تورّط القاعدة في هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ الإرهابية، عندما كان الوضع ضبابياً. نعم، يقول صوفان في كتابه الحديث **الرايات السود: مطاردة القاعدة** الذي وضع فيه خلاصة تجربته في استجواب إرهابيّي القاعدة: «**إن معرفة طريقة تفكير الإرهابيين وانقساماتهم الداخلية هي أفضل وسيلة للتحكم بهم، وهذا هو الفرق بين العمل بدافع الخوف والعمل بدافع المعرفة. إن أعظم انتصاراتنا ضد القاعدة كانت نتيجة معرفتنا كيف يتم تجنيد الإرهابيين وغسل أدمغتهم وتشغيلهم. وبالتالي نستخدم هذه المعرفة لهزيمتهم. كما إن فشلنا المتكرر كان نتيجة الجهل والخوف والعنف**». ونلاحظ هنا أن صوفان يركز على كلمة «المعرفة» ويكررها ويقرنها بالنجاح، ويشير إلى تسبّب الجهل في الفشل. وهذا يعني أن المعرفة أي العلم، والعلم وحده، هو الكفيل بحل مثل هذه المشكلات.

وكنت قد قرأت البحثين الموجودين في هذا الكتاب للباحثين توماس هيغهامر، وستيفان لاكروا، ووجدتهما يجيبان عن السؤالين (كيف؟ ولماذا؟) رغم تحفّظي على أسلوبهما البحثي أي الاعتماد شبه الكامل على أقوال الأستاذ ناصر الحزيمي الذي تحوّل ١٨٠ درجة من معسكر التيار الديني الرفضي سابقاً إلى نقيضه. كما إن دخوله السجن بسبب جماعة جهيمان لمدة ٨ سنوات لا يجعل شهادته محايدة، بل يضع علامات استفهام حول موضوعية وتجرّد ذكرياته التي

كتبها بعد التحول، وهل كتب «حقائق» أم «الحقائق»؟(*) وهو على أية حال كتب ذكرياته في جريدة **الرياض** السعودية وليس **الغارديان** اللندنية! ولكن بالرغم من هذا التحفظ، إلا أن البحثين يقدمان إضاءات فكرية وخلفيات معرفية هامة وموثّقة، ولكنها قد تكون ـ للأسف ـ غائبة عن معظم المواطنين والمقيمين في المملكة، ولذلك توكّلت على الله وترجمت الكتاب حتى أسدّ هذا النقص المعرفي في مواجهة الإرهاب والتطرف، وأشجّع غيري على خوض غمار الكتابة والترجمة حول جماعة جهيمان وحادثة الحرم المكي، لكي نفهم ما جرى. وبالتالي أرجو أن يساهم هذا الفهم في منع خروج أي جماعات تحمل صفات وسمات جماعة جهيمان، وبالتالي وقوع أية حوادث مؤسفة مستقبلاً، وبخاصة في مطلع القرن السادس عشر الهجري الذي سيحل علينا في ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٧٧ الموافق ١ محرم ١٥٠١هـ، أي بعد ٦٥ عاماً. وبعبارة أخرى، سيحلّ علينا مطلع القرن السادس عشر الهجري بعد جيلين فقط لو افترضنا أن عمر الجيل يساوي ٣٣ سنة كما جاء في بعض مراجع علم الاجتماع. إن الزمن يمضي بسرعة، وبعد عقود قليلة سينسى الناس تماماً تلك الحادثة المخيفة، بل الجريمة البشعة، خاصة الذين ولدوا بعد حادثة الحرم بعقد أو عقدين. ثم من يدري، فقد تظهر لاحقاً جماعة تشبه جماعة جهيمان فكرياً؟ وسؤالي هو: كيف سيشعر ويفطن الناس ـ وقتها ـ بخطر مثل هذه الجماعة الشاذة فكرياً ويحمون أنفسهم وأبناءهم وبناتهم من دعاتها إذا كانت المكتبات لا يوجد فيها كتب تشرح الظاهرة الأصلية المرعبة وتطوراتها الخطيرة، أي: **كيف ولماذا ظهر جهيمان؟**

وعندما نتأمل أسماء وأعمار هؤلاء الباحثين (هيغهامر، لاكروا، وتروفيموف) الذين درسوا حادثة الحرم المكي وحصلوا على تسهيلات من حيث مقابلة الشهود ومراجعة الأرشيفات وغيرها من أمور، نلاحظ أنهم للأسف أجانب وصغار السن، حيث تتراوح أعمارهم من ٣٤ عاماً إلى ٤٣ عاماً. وهذا أمر يدعو للاستغراب لأن الوطن مليء بالكفاءات التي تستطيع تنفيذ مثل هذا البحث بسهولة لو حصلو على الفرصة نفسها، وهم ـ في رأيي ـ أولى، بل أقدر، من هؤلاء الأجانب لأنهم يمتازون بأنهم أكثر فهماً لطبيعة تراثنا وبيئتنا وثقافتنا. وبدون فخر زائد ولا تواضع زائف لو حصلتُ على فرصة مشابهة لهم ومساعد باحث جيد لأنتجت أفضل مما كتبوا.

وحتى تكتمل الصورة عن هذه الحادثة، قمت بعمل بحوث خاصة هي

(*) طالع الملحق الرقم ٢. (المترجم)

عبارة عن ثمرة لقراءاتي وتنقيبي الشخصي حول هذه الحادثة، ثم وضعت نتائجها في سبعة ملاحق للكتاب راجياً أن تروق للقراء الكرام.

وخلاصة قراءتي لهذه الحادثة الأليمة هي أنها «ربما» لم تكن لتقع لولا استسهال الاجتهاد المباشر من الكتاب والسنة من بعض الجهلة، مثل جهيمان ورفاقه، وهي للأسف ظاهرة انتشرت في البلاد بدعوى نبذ التقليد وعاصرتُ ذروتها شخصياً في الثمانينيات من القرن المنصرم حيث امتلأت المكتبات بكتب الجَرح والتعديل وسلاسل كتب الأحاديث الصحيحة والضعيفة وغيرها التي تسابَق في شرائها الأميون والجهلة باسم الاجتهاد المباشر ومعرفة الدليل من الكتاب والسنّة. ولا أنسى بعض رفاقي من المهندسين في أرامكو الذين كانوا يتباهون بقدراتهم الجبارة على تخريج الأحاديث بدل الإبداع في تخصصاتهم الهندسية. هذا، والله أعلم، وهو نعم المولى ونعم النصير. وكدليل على خطورة الإجتهاد المباشر من قبل غير المؤهلين عثرت في كتاب تروفيموف على فقرة نادرة وهامة تمثل تفنيد سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله لدعوى ظهور المهدي وتحديده في شخص محمد عبد الله القحطاني وذلك رداً على مبعوث شخصي مرسل من جهيمان وبلوغ جهيمان ذلك الرأي قبل اقتحام المسجد الحرام، ولكن جهيمان لم يرعوِ وأصر على ما توصل إليه اجتهاده الخاطئ (راجع الملحق الرقم ٢).

وختاماً أشكر أخي وصديقي المفكر الدكتور محمد حامد الأحمري على تفضله بكتابة تقديم لهذا الكتاب رغم ضيق وقته وتأخر طلبي. كما لا يفوتني شكر صديقي الروائي المبدع الأستاذ يوسف المحيميد على تشجيعه وتحفيزه المعنوي لي في التصدي لهذا الموضوع الحساس وجاء ذلك رداً منه على ترجمتي لمقال قصير عن الموضوع نفسه نشرته عبر الإيميل وردّ عليّ مطالباً بكتاب كامل. وقلت له: إن شاء الله. وها هو الكتاب بحمد الله بين يدي القارئ الكريم. والشكر موصول لصديقي النبيل والمُلهم الأستاذ المثقف محمد بن عبد العزيز العمر الذي يدفعني لتحدي ذاتي ومواصلة العمل في الترجمة رغم ضحالة العائد المعنوي وعدم وجود عائد مادي إطلاقاً!

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د. حمد بن عبد العزيز العيسى
الدار البيضاء ـ المملكة المغربية
٤ ذو القعدة ١٤٣٣هـ/ ٢٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٢م

إهداء المترجم

إلى الجنود، والضباط، والأشخاص الأبرياء الذين جرحوا أو قتلوا أثناء حادثة الحرم المكي (بخلاف الطغمة الباغية). أثاب الله الأحياء وغفر لمن استشهدوا منهم وجعل الجنة مثواهم جميعا.

د. حمد العيسى

نبذة عن المترجم

- حمد العيسى، باحث ومترجم عربي مقيم في المغرب. ولد في مدينة الدمام المطلة على الخليج العربي.
- بكالوريوس هندسة مدنية.
- ماجستير ودكتوراه في «الترجمة العامة» إنكليزي/عربي.
- مهندس تخطيط في أرامكو من عام ١٩٨٤ حتى عام ٢٠٠٤، حيث تقاعد مبكراً وتفرغ للكتابة والترجمة.

■ صدرت له الكتب التالية:

(١) (ترجمة) **وارث الريح**، مسرحية مترجمة، جيروم لورنس وروبرت لي، (٢٠٠٥).

(٢) (تأليف) **أسبوع رديء آخر**، قصص قصيرة (٢٠٠٦).

(٣) (ترجمة) **النصوص المحرمة**، نصوص مترجمة، مالكوم إكس وآخرون (٢٠٠٧).

(٤) (ترجمة) **عقل غير هادئ**، سيرة ذاتية مترجمة لـ كاي ردفيلد جاميسون (٢٠٠٨).

(٥) (ترجمة) **قضايا أدبية: نهاية الرواية وبداية السيرة الذاتية**، نصوص مترجمة، دانيال مندليسون وآخرون (٢٠١٠).

(٦) (ترجمة) **ضد النساء: نهاية الرجال وقضايا جندرية أخرى**، نصوص مترجمة، هنا روسين وآخرون (٢٠١١).

(٧) (ترجمة وتحقيق) **قصص لا ترويها هوليوود مطلقاً**، خطب وحوارات ومقالات مترجمة للمؤرخ هوارد زن (٢٠١٢)

(٨) (ترجمة وتحقيق) **حتى لا يعود جهيمان: حفريات أيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة**، توماس هيغهامر وستيفان لاكروا (٢٠١٣).

(٩) (ترجمة) **السعودية والمشهد الإستراتيجي الجديد**، جاشوا ايتلبام. (٢٠١٤)

(١٠) (ترجمة) **زمن الفتنة: شيعة ضد سنة.. وسنة ضد شيعة!**، لارس برغر وآخرون. (٢٠١٤)

(١١) (ترجمة) **قبل سقوط الشاه... بقليل**، أندرو سكوت كوبر، (٢٠١٤).

■ **تحت الإعداد**

- (تأليف) حياتي في أرامكو: سيرة مهنية.
- (ترجمة) بزوغ الإسلام السياسي في السعودية: مختارات من البحوث والدراسات المترجمة مع ملاحق وثائقية نادرة.

ملاحظات للقـراء

(١) اختصرنا مصطلح «الجماعة (ج) السلفية (س) المحتسبة (م)»، في هذه الترجمة العربية إلى «جسم» للتسهيل نظراً لكثرة تكراره.

(٢) الكلمات التي بين معقفين، كذا [. . .]، هي للمترجم.

(٣) هناك هوامش للمؤلفَين مهمة وضرورية لاستيعاب الكتاب بعد نهاية كل فصل. هوامش المؤلفَين مرقمة عددياً (مثل: ١، ٢. . الخ)؛ أما هوامش المترجم فقد تم وضعها أسفل الصفحات مع رمز نجمة (*).

(٤) جميع الملاحق هي نتيجة بحث وإعداد وترجمة المترجم د. حمد العيسى.

(٥) عنوان الكتاب الأصلي: «تمرد مكة: قصة جهيمان العتيبي ـ قراءة جديدة».

(٦) حتى لا يحدث لبس، ينبغي التفريق بين مصطلحي «تحديث» (Modernization) و«حداثة» (Modernity). وللتبسيط: الأول يعني التنمية التي تتعلق بعملية التطوير الإداري والإجتماعي والإقتصادي، والثاني فكرة فلسفية تختص بعملية التجديد الثقافي والفكري.

المؤلفـان
سيـرة مـوجـزة

توماس هيغهامر

ولد توماس هيغهامر في نارفيك، النرويج، في عام ١٩٧٧، وحصل على البكالوريوس والماجستير في الدراسات الشرقية ودراسات الشرق الأوسط الحديث من جامعة أكسفورد، وحصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من معهد الدراسات السياسية في باريس في عام ٢٠٠٧، عن أطروحة بعنوان: **عنف تيار الإسلام السياسي في السعودية، ١٩٧٩ ـ ٢٠٠٦: قوة وخطر الأممية الإسلامية.**

يعمل توماس هيغهامر كباحث أعلى في مؤسسة بحوث الدفاع النرويجية في أوسلو، حيث يشغل أيضاً منصب مدير أبحاث الإرهاب. وقد كان سابقاً زميلاً غير مقيم في جامعة نيويورك (٢٠١٠ ـ ٢٠١١)؛ وعضواً في كلية الدراسات التاريخية في معهد الدراسات المتقدمة في جامعة برينستون (٢٠٠٩ ـ ٢٠١٠)؛ وزميلاً في كلية كينيدي بجامعة هارفارد (٢٠٠٨ ـ ٢٠١٠)؛ وزميلاً لما بعد الدكتوراه في جامعة برينستون (٢٠٠٧ ـ ٢٠٠٨)؛ وزميلاً زائراً في كلية كينغز كولج لندن (٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٦). وهو مؤلف كتاب **الجهاد في السعودية: العنف والأممية الإسلامية منذ ١٩٧٩**، الصادر عن: (دار جامعة كامبردج للنشر، ط١، ٣٠٢ صفحة، ٢٠١٠)، والذي صدرت نسخته العربية خلال عام ٢٠١٣ بعنوان «**الجهاد في السعودية: قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب**». يقرأ ويتحدث ويكتب باللغات: النرويجية والإنكليزية والفرنسية والعربية والأوردية.

ستيفان لاكروا

باحث فرنسي. تاريخ ميلاده غير مذكور في سيرته الذاتية المنشورة، ولكن نرجّح أنه من مواليد عام ١٩٧٨، تقريباً بحسب تاريخ حصوله على شهادة البكالوريا الفرنسية (أي الثانوية العامة). يعمل أستاذاً مساعداً في معهد الدراسات السياسية في باريس. أنهى أطروحة الدكتوراه في العلوم السياسية حيث درس بعمق شديد وغير مسبوق وبناء على جهد ميداني مكثف، كيفية تغلغل جماعة الإخوان المسلمين في السعودية في الخمسينيات، وتوسُّع نشاطها حتى أكملت سيطرتها بدعم رسمي على التعليم، ومن ثم هيمنتها على الحقلين الديني والاجتماعي في الثمانينيات عبر حركتها المشهورة بـ «الصحوة»، حتى تصادمها مع النظام في النصف الأول من التسعينيات. وهي الدراسة التي نشرها بالفرنسية عام ٢٠١٠، في كتاب ترجمت عنوانه صحيفة **لوموند ديبلوماتيك** هكذا: **الإسلاميون السعوديون... تمرّد فاشل**، وهو الكتاب الذي ترجم إلى الإنكليزية وصدر عام ٢٠١١، ليكون عنوانه: **صحوة الإسلام: مناورات المعارضة الدينية في السعودية المعاصرة**، والذي ترجم أخيراً إلى العربية، وصدر عام ٢٠١٢ ليكون عنوانه: **زمن الصحوة: الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية**؛ وهو كتاب مهم للغاية ويستحق القراءة لكل من يريد معرفة كيفية تطور الحركة الإسلامية في السعودية منذ السبعينيات وحتى الآن. يتقن: الفرنسية والإنكليزية والعربية والإسبانية. كما يلمّ أيضاً بالروسية والألمانية.

مقدمــة المؤلِّفَيْن

في ساعات الصباح الأولى من ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩، ظهرت مجموعة من الرجال المسلّحين الغلاظ الأشداء في ساحة المسجد الحرام في مكة. وبعد أن أطلقوا الرصاص في الهواء تقدموا بسرعة نحو الكعبة ووصلوا إلى الإمام الكهل الذي سيقود صلاة الفجر، ودفعوه جانباً ملوّحين بخنجر. ثم أمسك رجل ذو لحية كثيفة، بدا كأنه قائدهم، بالميكروفون وصاح بتعليمات لرفاقه الذين كانوا مشتتين داخل المسجد الحرام. أغلقوا بسرعة كل البوابات واتخذوا مواقع مناسبة تمكنهم من إطلاق النار بسهولة من المنارات ومواقع استراتيجية أخرى. وهكذا احتل هؤلاء المتمردون أقدس موقع في الإسلام، وتم احتجاز عشرات الآلاف من المصلين داخل الحرم.

هكذا بدأ تمرّد مكة الذي يعتبر واحداً من أكثر أحداث القرن العشرين إذهالاً ومأساوية التي وقعت في المملكة العربية السعودية، إن لم يكن في أنحاء العالم الإسلامي كافة. ولمدة أسبوعين كاملين بقي الحرم المكي تحت حصار قوات الأمن السعودية التي كانت تحاول بصورة محمومة استعادة السيطرة على المسجد الحرام من هؤلاء المتمردين المجهولين. وعندما تمت السيطرة على الوضع واستعادة النظام في ٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩، كان هناك مئات من القتلى. لم يسبق - من قبل أو حتى من بعد - أن أريق مثل هذا القدر من الدماء في مكان العبادة المقدس هذا[*].

(*) بل سبقهم القرامطة الذين قتلوا الحجاج وألقوا جثثهم في بئر زمزم ثم سرقوا الحجر الأسود عام ٣١٧هـ (٩٣٠م) ولم يعد الحجر الأسود إلى مكة إلا بعد ٢٢ سنة. (المترجم).

لقد كان هذا السيناريو الذي وقع في مكة أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩، شاذاً وغريباً للغاية ولم يكن متوقعاً مطلقاً، لدرجة أنه، في ذلك الوقت، لم يفهم أحد ماذا كان يجري. من يجرؤ على إحضار أسلحة إلى المسجد الحرام؟ ومن يجرؤ على استخدامها لاحتجاز المصلين المسالمين كرهائن؟ ومن يجرؤ على إراقة الدماء حول الكعبة؟ وما زاد الطين بِلّة أن السلطات السعودية حظرت بسرعة وبصورة كاملة الوصول إلى المعلومات حول تطورات مكة. خطوط التلفون المحلية والدولية تم قطعها وتم سد [بعض] الطرق. وبينما بدأ كل من الرهائن [داخل الحرم] وقوات الأمن تدريجياً إدراك ما يحدث، كان العالم الخارجي في الظلام ولا يعلم شيئاً مطلقاً [بخصوص ما جرى في المسجد الحرام].

وبسرعة انتشرت مجموعة من الشائعات ونظريات المؤامرة عبر العالم(*). الإعلام السوفياتي قال إن الحادث كان بسبب انتفاضة للطبقة العاملة في منطقة الحجاز. وأشارت صحيفة **نيويورك تايمز** الأمريكية، إلى أن الهجوم قام به مسلمون شيعة متأثرين بالثورة الإيرانية. ورد الإعلام الإيراني قائلاً إن حادثة مكة، كانت نتيجة خطة أمريكية للسيطرة على الأماكن المقدسة؛ ما أدى إلى حدوث تظاهرات غاضبة في باكستان أدت إلى حرق السفارة الأمريكية هناك وقتل دبلوماسي أمريكي. العديد من هذه النظريات الخاطئة بصورة فاضحة استمرت لسنوات وربما لا تزال مستمرة في بعض الدوائر.

وفي الأسابيع التي تلت انتهاء التمرد، زال بعض الغموض جزئياً عندما تم التعرف رسمياً على المتمردين، وتم عرض صورهم بصورة موجزة على التلفزيون السعودي، وفي النهاية تم إعدامهم [بل إعدام ٦٣ منهم]. لقد اتضح فعلاً أن هؤلاء المتمردين هم من المسلمين السنة الذين يتبعون عقيدة سلفية، ومعظمهم من السعودية، وكان يقودهم رجل سعودي قبلي اسمه جهيمان العتيبي. خلال الحصار، ادّعى جهيمان أن أحد أصحابه واسمه

(*) من حسن حظ الحكومة السعودية أن وسائل الاتصالات التي أفرزتها العولمة من ستلايت وجوّال وإنترنت (إيميل، تويتر، فيسبوك، إلخ.) لم تكن متوفرة في ذلك الوقت، وإلا لتفاقمت الإشاعات وربما أدت إلى ما لا تحمد عقباه. (المترجم).

محمد القحطاني هو «المهدي» [المزعوم] وهي شخصية قيامويةِ(*) وأنهم موجودون الآن في الحرم المكي لمبايعته على هذا الأساس المقدس. لقد كان ذلك التوقيت، ظاهرياً مرتبطاً بحلول القرن الإسلامي الهجري الجديد(**). ولكن في ما عدا معلومات قليلة عن شخصيات المتمردين ووصف موجز لذلك الحدث، لم تخرج أي معلومات تفسيرية. لقد تم إعدام جهيمان و[٦٢ من] رفاقه بسرعة في كانون الثاني/يناير ١٩٨٠، وبعد ذلك سقط حجاب من السرية على تمرّد مكة. لم يتم نشر أي تحقيق رسمي عن الحدث علانية، ولم يسمح للصحافيين والباحثين الأجانب المستقلين بدراسة الحادث. السلطات السعودية كانت دائماً مقتضِبة ومتكتّمة على قضايا الأمن الداخلي، وبخاصة في هذه الحادثة، لأنها كانت صادمة ومحرجة للحكومة.

وخلال العقود التالية، حاول كتّاب قليلون العودة إلى تمرد مكة والتحدث عنه، ولكن بسبب غياب مصادر رئيسة موثوقة لم يستطع أحد أن يجيب عن أكثر الأسئلة أهمية وهي: «من هم المتمردون؟ وماذا كانوا يريدون؟» الافتراض السائد كان أن هؤلاء المتمردين يمثلون نسخة سعودية من الحركات الثورية الإسلامية التي أزعجت مصر وسورية في تلك الفترة نفسها تقريباً. متمردو مكة، بحسب الجدل السائد، أثبتوا وجود حركة إسلامية محلّية سعودية كبيرة تهدف للإطاحة بنظام آل سعود، ولكن القليلين فقط استطاعوا شرح لماذا اختار المتمردون أن يهاجموا، من ضمن جميع الأهداف الأخرى الممكنة داخل السعودية، المسجد الحرام في مكة. إضافة إلى ذلك، تفاصيل الحصار(***) نفسه خضعت لتخمينات كثيرة: كم عدد القتلى الإجمالي؟ هل تدخلت قوات فرنسية خاصة؟ وهل استعملوا أسلحة كيميائية لقتل المتمردين؟

(*) قياموية: نحتنا هذا المصطلح نسبة إلى يوم القيامة ونهاية العالم (ولا نعلم بمن سبقنا في استعماله)؛ لأن المصطلحات المترجمة الشائعة مثل «مسيحانية» و«خلاصية» ذات خلفية توراتية أو إنجيلية وضعيفة فنياً مقارنة بمصطلح «قياموية» المباشر. (المترجم).

(**) نعتقد أن بداية القرن الرابع عشر الهجري الصحيحة هي: ١ محرم ١٤٠١. وليس ١ محرم ١٤٠٠ (المترجم).

(***) أي حصار قوات الأمن السعودية للمتمردين ومعهم الرهائن داخل المسجد الحرام. (المترجم).

لقد استغرق الأمر حتى عام ٢٠٠٣، لكي نبدأ في معرفة ما حدث فعلياً. في تلك السنة كتب ناصر الحزيمي سلسلة مقالات في جريدة **الرياض** السعودية عن تجربته كعضو سابق في جماعة جهيمان. وهكذا لأول مرة منذ ٢٤ عاماً حصلنا على رواية داخلية عما حدث. الحزيمي كان ناشطاً في الجماعة بين عامي ١٩٧٦ و١٩٧٨، ولكنه ترك الجماعة قبل سنة من عملية مكة. لقد تم القبض عليه بعد تحقيقات الشرطة وقضى ثماني سنوات في السجن، حيث حصل على معلومات تفصيلية عن الحصار من المتمردين المسجونين الذين شاركوا في العملية. الحزيمي تخلّى لاحقاً عن أفكاره المتطرفة وعمل صحافياً.

وفي حدود ذلك الوقت، بدأت السلطات السعودية بالسماح للأكاديميين والصحافيين الأجانب بدخول البلد وعمل بحوث ميدانية مستقلة. ولذلك استطعنا التواصل مع الحزيمي وبدأنا دراسة تمرد مكة من داخل المملكة. وفي عام ٢٠٠٧، نشرنا نتائج دراستنا في مقالة في «**المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط**»(*). **الفصل الأول**، من هذا الكتاب، يمثل نسخة منقحة ومزيدة لتلك المقالة.

استنتاجنا الأهم كان أن تمرد مكة قامت به طائفة مهدوية(**) قيامَوية تعتنق أيديولوجيا عجيبة وغريبة جداً. زعماؤها كانوا يعتقدون بصدق أن محمد القحطاني كان هو المهدي بالفعل وأنهم عبر ترسيمه ومبايعته في مكة في مطلع القرن الهجري، فإن هذا سيعلن حلول القيامة ونهاية العالم، وتبدأ سلسلة من الأحداث المتعلقة بالقيامة كما وردت في التراث الإسلامي عن نهاية الزمان. جهيمان ورفاقه المقربون طوروا هذه المعتقدات خلال السنتين السابقتين على التمرد عندما عاشوا منعزلين في الصحراء.

كما أشرنا إلى أن المتمردين كانوا يمثلون فرعاً لجماعة أقل راديكالية ولكنها ليست معروفة سابقاً تسمى بـ «الجماعة السلفية المحتسبة» أو

(*) المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط: *International Journal of Middle East Studies* «الإسلام الرفضي في العربية السعودية: قراءة جديدة لقصة جهيمان العتيبي»، مج ٣٩ (٢٠٠٧)، ص ١٠٣ ـ ١٢٢. (المترجم).

(**) مهدوية: نسبة إلى المهدي. (المترجم).

«جسم»[*]، التي كانت تنشط علانية في المدينة المنورة منذ أواخر الستينيات وما بعدها. كما نجادل أنها كانت تمثل تياراً فرعياً لم يدرس جيداً من الإسلام الحركي السعودي، والذي سميناه «التيار الرفضي»، وذلك لكونها ترفض الدولة ومؤسساتها. وبينما انقرضت «جسم» ومتمردو مكة في السعودية في بداية الثمانينيات، فإن أجزاء أخرى من «التيار الرفضي» عاشت واستمرت.

«جسم» تأثرت بصورة عظيمة بأفكار شيخ اسمه محمد ناصر الدين الألباني (١٩١٤ ـ ١٩٩٩). ونظراً إلى أن الألباني يعتبر غالباً شخصية غير معروفة خارج الدوائر السلفية، ونظراً إلى أن دراسة خلفيته وأفكاره ومواقفه تعتبر مهمة لفهم «جسم»، فقد أضفنا **فصلاً ثانياً** لهذا الكتاب، وهو عبارة عن بحث كتبه ستيفان لاكروا عن الألباني.

ولد الألباني في سوريا[**] لأب ألباني كان يعمل في إصلاح الساعات. الألباني كان أجنبياً تماماً بالنسبة إلى عالم السلفية الذي كان في وقته محصوراً على الأغلب في عائلات علمية قليلة في منطقة نجد الواقعة وسط الجزيرة العربية، وهي العائلات التي تتكون منها المؤسسة الدينية السعودية. وبعد أن تبنّى واستوعب المبادئ الرئيسة للسلفية، لدرجة أنه تمّت دعوته ليُدَرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في بداية الستينيات، **إلا أنه أشعل جدلاً عظيماً عندما أشار إلى ما يعتبره تناقضاً أساسياً في السلفية السعودية: وهي أنهم يدّعون «نظرياً» اتباع السلف الصالح ولكنهم «عملياً» أتباع مخلصون للمذهب الحنبلي**. وعلى العكس من ذلك، كان الألباني يرفض جميع مذاهب الفقه الإسلامي الأربعة، ويدعو إلى الاعتماد الكلي على القرآن، وبدرجة أكبر على الحديث الذي أعطاه أهمية كبرى. وبعبارة أخرى، لقد قال الألباني لشيوخ المؤسسة السلفية السعودية إنه أصدق منهم في اتّباع جوهر السلفية. هذا الموقف أكسبه اعترافاً في دوائر معيّنة وبخاصة من أشخاص ينتمون إلى مجموعات مهمشة بالنسبة إلى المجتمع والمؤسسة الدينية في السعودية. معظم أعضاء «جسم» كانوا ينتمون إلى هذه المجموعات المهمشة.

(*) كما أشرنا في صدر الكتاب، سوف نختصر «الجماعة السلفية المحتسبة» في هذه الترجمة العربية إلى «جسم» لكثرة تكرارها. (المترجم).

(**) بل ولد عام ١٩١٤ في مدينة أشقودرة في ألبانيا وهاجر مع عائلته إلى سوريا عام ١٩٢٣. (المترجم).

كما رفض الألباني النشاط السياسي الذي اعتبره مدمراً لجوهر الدعوة. واشتهر بمقولته «من السياسة ترك السياسة»؛ وهي جملة تعتبر حتى الآن أهم مقولة له يُستَشهد بها داخل الدوائر السلفية. وهكذا انبثقت «جسم» [في البداية] كجماعة تكره السياسة بصورة أساسية وناقدة بشدة لجماعات أخرى كالإخوان المسلمين. هذا، كما نعتقد، يقدم إضاءة مهمة لسبب تبنّي جماعة جهيمان لفكرة المهدي منذ عام ١٩٧٨ ولاحقاً. وبينما ـ لأسباب نشرحها في الكتاب ـ وجدت «جسم» نفسها في نزاع مع الدولة السعودية بصورة متزايدة، إلا أن رفضها تبنّي فكر المعارضة (وتحديداً تكفير الحكام السعوديين)، ترك أمامها خياراً واحداً: انتظار تدخُّل «إلهي» لينقذها من المأزق الذي وجدت نفسها فيه. وهذا التدخل الـ «إلهي» ـ كما اعتقد زعماء «جسم» ـ جاء على شكل محمد القحطاني، أو «المهدي المزعوم»!

ولكن لا بدّ من توضيح مهم وتبرئة ذمة: **تركيزنا على الألباني لا يعني بأي حال من الأحوال وضع أي مسؤولية فكرية عليه بخصوص تمرد مكة. بل إن الأغلبية العظمى من تلاميذ الألباني كانوا مسالمين وغير حركيين، وفي بعض الأحيان، اتخذوا مواقف مؤيدة للنظام بصورة متطرفة. وبهذا المعنى، فإن تطرف «جسم» ينبغي أن يكون الاستثناء الذي يؤكد القاعدة.** ومع هذا، فإن جماعة جهيمان تقدم توضيحاً جيداً لحدود منطق القطيعة مع السياسة الذي كانت الحركة [تحاول أن] تعمل به.

ونظراً إلى أن بحثنا كان يتعلق تحديداً بدراسة الخلفية الأيديولوجية والتاريخية للمتمردين؛ فقد تعمّدنا عدم الدخول في تفاصيل الحصار نفسه، وبخاصة بعد أن نشرت رواية تفصيلية وذات صدقية في كتاب الصحافي ياروسلاف تروفيموف(*) **حصار مكة: الانتفاضة المنسية في بقعة إسلامية**

(*) ياروسلاف تروفيموف: كاتب صحافي أمريكي من أصل أوكراني. ولد في أوكرانيا في عام ١٩٦٩، وانتقل إلى نيويورك لدراسة الصحافة والعلوم السياسية في جامعة نيويورك. حصل على الجنسية الأمريكية. عمل مراسلاً لصحفية وول ستريت جورنال في السعودية، وغطى مناطق الشرق الأوسط وأفريقيا وجنوب شرق آسيا. يتقن العربية. ذكر في كتابه «حصار مكة» إنه حصل على تأشيرة لدخول السعودية من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض لتنفيذ دراسة عن حادثة الحرم المكي وسمح له بمقابلة شهود وكذلك مطالعة الأرشيفات عن حادثة الحرم المكي ليكتب القصة شبه الكاملة في كتابه المذكور. (المترجم).

وولادة القاعدة (دبل داي للنشر، ٢٠٠٧). هذا الكتاب اعتمد على بحث ميداني عميق ومكثف في السعودية ويعتبر - بحق - الرواية شبه الكاملة والموثقة للحصار، ولكن تفسير تروفيموف لأيديولوجية المتمردين يختلف(*) عن تفسيرنا نوعاً ما، ولكن روايته لتفاصيل الحادثة تكمل روايتنا بصورة ممتازة.

كما نشر كتاب آخر مهم للمؤلف الفرنسي جون بيير فيليو، وهو بعنوان **القيامية في الإسلام** (مطبعة جامعة كاليفورنيا، ٢٠١١). فيليو راجع تاريخ الفكر القيامي والحركي في الإسلام والذي يعتبر متمردي مكة تمثيلاً مهماً له، كما يوثق فيليو بطريقة مثيرة كتابات قيامية شعبية عبر العالم الإسلامي منذ منتصف التسعينيات. في عالم الإسلام السني هذا الاهتمام يبقى ظاهرة ثقافية، ولكن من ناحية أخرى في عالم الإسلام الشيعي ألهمت هذه الفكرة نشاطاً سياسياً ظهر بوضوح في عراق ما بعد الغزو، حيث كانت جماعتا «جند السماء» و«أنصار المهدي» نشيطتين منذ منتصف العشرية الأولى من هذا القرن حتى أواخرها.

(*) لكتابة هذا الهامش اضطررت لعمل قراءة سريعة وجديدة لكتاب «حصار مكة» بالكامل، لأني قرأته آخر مرة في مدينة «بالتيمور» في خريف عام ٢٠٠٨، أثناء علاجي من جلطة في المخ. وفي رأيي أن الاختلاف المقصود في تحليل أيديولوجية المتمردين هو كالتالي: ذهب تروفيموف إلى أن جماعة جهيمان كان حافزها الرئيس «قبلي» كامتداد لإخوان العشرينيات المتمردين على ابن سعود (المشهورين بـ «إخوان من طاع الله») حيث قال، مثلاً، في ص ٢٦ من كتابه: «إن جهيمان لم يغفر لآل سعود هزيمتهم لقبيلته في معركة «السبلة»». ولكن هيغهامر ولاكروا، هونا تماماً من شأن الحافز القبلي واعتبراه هامشياً ورجحا سبباً مركباً لتشكل تلك الأيديولوجية (كما سيرد لاحقاً في «تفسير حركة جهيمان») يتكون من عدة عوامل: (١) صدق اعتقاد جماعة جهيمان بـ المهدي وقيام الساعة الوشيك، والانجراف فيه حتى فقدان الإحساس تماماً بالعقلانية السياسية (Political Rationality)؛ (٢) تأثير مدرسة «أهل الحديث» التي يتبناها الألباني؛ (٣) سرعة وتيرة التحديث الاجتماعي/ الاقتصادي (Socio-economic)، وبالتالي الشعور الناتج لدى البعض أن المجتمع بدأ يتجه إلى التحرر بصورة متزايدة (وهذا في رأينا هو بالفعل أهم عامل) وهذه الأسباب سترد وتناقش ابتداء من ص ٥٦. وهناك من حلل تأثير التحديث والتطوير بصورة مدهشة حيث ذهب الباحث الأمريكي العتيد د. جاشوا ايتلبام، في بحثه الشهير عن المعارضة الإسلامية في السعودية، إلى أن من أهم الأسباب التي سهلت انبثاق معارضة إسلامية سعودية، هو عملية التحديث الإداري (البيروقراطي) السريع (نسبياً بالطبع) وخاصة دمج المؤسسة الدينية المستقلة قسراً لتصبح جزءاً من جهاز الدولة (الحكومة)، ما أدى إلى فقدان كبار العلماء صدقيتهم (أي استقلالهم)، وتأثيرهم لدى أنصارهم بعد أن تحولوا إلى مجرد موظفين حكوميين يتقاضون رواتب شهرية ما أدى بالتالي إلى تزايد الغضب في صفوف التيار الحركي الإسلامي. هذا والله أعلم. (المترجم)

السؤال الكبير: هل يعود جهيمان؟

وبالتالي، فإن هذا الأمر يطرح السؤال التالي: هل يمكن أن يحدث تمرد في مكة مرة أخرى؟ فمن ناحية، هناك توتر جوهري متأصل بين «الحركية» والفكر القياموي، بمعنى أن أولئك الذين يؤمنون بالقدر قد لا يملكون سوى حوافز ضعيفة لمحاولة تغييره. ومن ناحية أخرى، من الصعب التنبؤ بتعصّب وحماس المهمشين. **ولذلك، فمن غير الحكمة افتراض أن النشاط الحركي القياموي لن ينبثق مرة أخرى. على الأقل الأجيال القادمة لديها سبب وجيه لكي تبقى يقظة في الجولة القادمة عندما ينبثق القرن الهجري الجديد في ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٧٦ الموافق ١ محرم ١٥٠٠(*).**

توماس هيغهامر وستيفان لاكروا
أوسلو ـ القاهرة في نيسان/ أبريل ٢٠١١

(*) بل سينبثق القرن السادس عشر الهجري في ١ محرم ١٥٠١هـ الموافق ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٧٧، وهذه هي الطريقة السليمة لحساب بداية القرن. وبذلك فإن اقتحام المسجد الحرام لم يحدث في اليوم الأول من القرن الخامس عشر الهجري كما توهم جهيمان وأتباعه، بل في اليوم الأول من السنة الأخيرة للقرن الرابع عشر الهجري. (المترجم).

الفصل الأول

تمـرّد مكـة:
قصـة جهيمـان ـ قـراءة جديـدة

بقلم: توماس هيغهامر وستيفان لاكروا

تمهيد

اقتحام المسجد الحرام في مكة من قبل جهيمان العتيبي وأتباعه المتمردين في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩، يعتبر أحد أكثر الأحداث غرابة وإدهاشاً في التاريخ الحديث للسعودية. **ولكنه ـ على الرغم من ذلك ـ يعتبر أقلّ الأحداث وضوحاً وفهماً**. وحتى بعد مرور عقود على ذلك الحدث، لا تزال هناك أسئلة مهمة من دون إجابة واضحة. من هم المتمردون؟ وماذا كانوا يريدون؟ ولماذا، وكيف خرجت جماعة جهيمان إلى الوجود؟[١] وماذا حدث للمتمردين وأفكارهم بعد انتهاء الحدث؟

هذا الفصل يهدف إلى تسليط بعض الضوء على حكاية وإرث جهيمان، بعد توافر معلومات جديدة تم جمعها من عمل ميداني مكثف في السعودية وغيرها.

بينما تعتبر تفاصيل عملية مكة واضحة ومعروفة نسبياً، إلا أن أصل هذه الجماعة المتمردة يلفه الغموض[٢] المعلومات المنشورة المتوافرة عن حركة جهيمان مشتتة ومتناقضة أحياناً. الباحث الجادّ لا يجد سوى دراسات عميقة قليلة جداً بالإنكليزية[٣]؛ أما المطبوعات العربية عن جهيمان، فهي، نوعاً ما، أكثر، وبكل تأكيد لم تدرس بصورة مناسبة من الأكاديميين الغربيين، ولكن أعمالاً كثيرة يشوبها عدم الدقة والانحياز السياسي[٤]. المشكلة الرئيسة كانت عدم وجود مصادر أصلية، ما جعل من المستحيل تقريباً على المؤرخين تتبع أصل وتاريخ حركة جهيمان بأي تفصيل كبير. ولكن هذا الأمر تغيّر في عام ٢٠٠٣، عندما كتب ناصر الحزيمي، وهو رفيق سابق لـ جهيمان العتيبي، سلسلة من المقالات في جريدة **الرياض** السعودية، عن تجربته كعضو سابق في جماعة جهيمان[٥]. الحزيمي كان ناشطاً في الحركة بين عام ١٩٧٦ وعام ١٩٧٨، ولكنه ترك الحركة قبل سنة من عملية مكة، ثم ألقت الشرطة القبض عليه أثناء التحقيقات بعد انتهاء التمرد وقضى في

السجن ٨ سنوات. تراجع الحزيمي عن أفكاره المتطرفة السابقة، ويعمل الآن كصحافي في جريدة **الرياض** السعودية.

الحزيمي هو واحد من ضمن العديد من الراديكاليين الإسلاميين في السعودية الذين بدأوا في أواخر التسعينيات بالحديث علانية عن أفكارهم الحركية السابقة[٦]. وعلى الرغم من أن خروجهم في هذا الوقت بالتحديد تم تسهيله بواسطة عملية الانفتاح والحرية السياسية المحدودة التي أطلقها الأمير عبد الله[*]، في عام ١٩٩٩، واستعمال بعض المسؤولين تراجعهم لفرض نوع من التوازن ضد تيارات إسلامية أخرى بقيت راديكالية، إلا أن هؤلاء لم يتراجعوا عن أفكارهم الراديكالية مطلقاً بترتيب خفيّ مع الدولة. هؤلاء المتراجعون برزوا تدريجياً بصورة مستقلة وبدأوا الحديث عن ماضيهم قبل ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، أو التفجيرات الإرهابية في السعودية عام ٢٠٠٣. هناك أسباب وجيهة وقوية لأخذ شهادة الحزيمي على محمل الجد؛ فروايته واضحة وتفصيلية ولا تنافق المسؤولين والأهم أنها متفقة مع مصادر تاريخية أخرى.

هذا الفصل مبني على قراءة مفصلة للمواد المتوافرة بالعربية والإنكليزية عن تمرّد جهيمان، كما يعتمد أيضاً على عمل ميداني مكثف. خلال سلسلة من الزيارات البحثية إلى الكويت والسعودية قابل المؤلفان ناصر الحزيمي والعديد من الإسلاميين السعوديين السابقين من أصحاب المعرفة العميقة بظاهرة وحركة جهيمان. وعن طريق وسيط كريم، حصلنا على شهادة عالم كبير مقيم في المدينة كان قريباً من جماعة جهيمان في السبعينيات، وكان موجوداً في المسجد الحرام خلال تمرد مكة عام ١٩٧٩. كما تتبعنا المؤلِّفين المجهولين للكتب التي نشرت عن جهيمان العتيبي في بداية الثمانينيات لمعرفة وتقييم مصادرهم الرئيسة[٧]. أيضاً تحدثنا مع صحافيين قاموا بتغطية قصة جهيمان من منطقة مكة في ١٩٧٩. وخلال هذا البحث الذي استمر عامين، استطعنا الحصول على روايات من عدة أشخاص، إضافة إلى ناصر الحزيمي، بصفته عضواً سابقاً في جماعة جهيمان، أو شاهداً على الأحداث الرئيسة في أحداث الجماعة.

هذا الفصل مقسم إلى ثلاثة أجزاء. **الجزء الأول**، والأطول مخصص

(*) خادم الحرمين الشريفين في الوقت الحالي. (المترجم).

لتاريخ حركة جهيمان حتى اقتحام المسجد الحرام في ١٩٧٩. أما في **الجزء الثاني**، فنحلل طبيعة هذه الحركة ونقيم النظريات والتفسيرات المطروحة حول هذه الظاهرة. وفي **الجزء الثالث**، نفحص الإرث الأيديولوجي لجهيمان وتأثيره على حركات راديكالية لاحقة في السعودية حتى اليوم الحالي. هذا الفصل يقدم مجادلتين مركزيتين. **الأولى**، دل البحث أن الجماعة التي اقتحمت المسجد الحرام كانت فصيلاً راديكالياً لجماعة محافظة أوسع منها، تأسست في المدينة أواسط الستينيات تحت اسم «الجماعة السلفية المحتسبة»، وللتبسيط فهي جماعة سلفية[8] تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. المجادلة **الثانية**، هي أن «جسم» وفرعها الراديكالي المنشقّ عنها «إخوان جهيمان» كانت ضمن تجلّيات نوع خاص من الإسلام الحركي السعودي الذي استمر بعد جهيمان وأدى دوراً مهماً ولكن مبهماً في تشكيل المشهد السياسي السعودي حتى الآن، ويمكن وصفه بتركيز شديد على ممارسات طقوسية، وبتنزه علني عن السياسة، ورفض صارم للدولة ومؤسساتها[9]. هذا النوع سنسميه «التيار الرفضي» وهو منفصل فكرياً وتنظيمياً عن الأشكال الأخرى للإسلام الحركي في السعودية وبخاصة تيار «الصحوة الإسلامية» أو التيار الجهادي على طريقة ابن لادن[10].

أوّلاً: تاريخ حركة جهيمان حتى اقتحام المسجد الحرام في ١٩٧٩

المعارضة والإسلام السياسي في السعودية قبل عام ١٩٧٩

هناك عدد قليل نسبياً من حالات المعارضة العنيفة لحكم آل سعود منذ تأسيس الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبد العزيز في عام ١٩٠٢. الحالة الأولى والأكثر عنفاً كانت تلك المسماة بـ «ثورة الإخوان» في أواخر العشرينيات. الإخوان كانوا بدواً من قبائل نجدية رئيسة مثل عتيبة ومطير الذين أُدلجوا بطريقة دينية محافظة ودُربوا لكي يصبحوا قوة عسكرية ضاربة بهدف التوسع الجغرافي للدولة السعودية الوليدة، وعندما وصل التوسع إلى حدود أراض أخرى تسيطر عليها القوة الاستعمارية البريطانية، دعا الملك عبد العزيز إلى وقف حملات التوسع العسكري. الإخوان، الذين كانوا قد بدأوا في انتقاد الملك عبد العزيز لاستعماله التكنولوجيا الحديثة وتعامله مع الأجانب الغربيين، غضبوا لهذا التخلي عن الجهاد لأسباب الواقعية

السياسية(*). بعض زعماء الإخوان كان لديهم طموحات سياسية خاصة أفشلها ابن سعود[11]. لقد رفضوا وضع أسلحتهم ثم ـ بدلاً من ذلك ـ ثاروا ضد ملكهم. وبعد سلسلة من المصادمات، تم سحق الإخوان الذين كانوا تحت قيادة سلطان بن بجاد وفيصل الدويش، شيخي قبيلتي عتيبة ومطير في معركة السبلة عام ١٩٢٩. أما بقية الإخوان الذين حافظوا على ولائهم للملك عبد العزيز، فقد تم إدخالهم في الحرس الوطني.

شهد عقدا الخمسينيات والستينيات الميلادية نشاطات معارضة قومية وشيوعية في المملكة، ما عزز اعتقاد النظام أن الاعتماد على القوى الدينية كان أفضل وسيلة للسيطرة الاجتماعية. وساهم وصول الملك المحافظ فيصل إلى الحكم في عام ١٩٦٤، خلال ديناميكيات الحرب الباردة العربية إلى زيادة إضافية في ميزانية وتأثير المؤسسة الدينية وعموم المؤسسات الإسلامية في السعودية. ما أدى إلى بروز سياق مناسب لبزوغ أنواع محلية من الحركة الإسلامية التي سينبثق عنها لاحقاً حركات معارضة دينية/سياسية.

في هذا الوقت، تطور نوعان من الإسلام السياسي في السعودية. أحدهما كان براغماتياً وسياسياً ونخبوياً وأصبح يعرف بـ تيار «الصحوة الإسلامية» أو باختصار «الصحوة» فقط. كانت هذه الحركة تمثل التيار السائد للحركة الإسلامية السعودية وعلى أطرافها وهامشها انبثقت ظاهرة إسلامية انعزالية ورعة وتقوية تمسَّكت بها الطبقة الدنيا وكانت ذات درجة أقل من القبول يمكن تسميتها بـ «التيار الرفضي» أو «السلفية الجديدة». ومنذ الستينيات حتى التسعينيات الميلادية، تعايش هذان التياران اللذان يمثلان ظواهر اجتماعية وأساليب أيديولوجية مختلفة نسبياً، على الرغم أن التيار الأول كان أكبر وأكثر أهمية سياسياً وعددياً. الصحوة بزغت في الأساس في الجامعات وبخاصة بعد وصول أعداد كبيرة من أعضاء جماعة

(*) الواقعية السياسية (Realpolitik): بحسب معجم وبستر الإنكليزي، هي الممارسة السياسية أو الدبلوماسية التي تستند في المقام الأول إلى المصلحة الذاتية وقوة السلطة بناء على عوامل واعتبارات عملية ومادية، بدلاً من الأسس العقائدية أو الأخلاقية. ولذلك في هذا الصدد، فإنها تشترك في جوانب من مقاربتها الفلسفية مع مذهبي الواقعية والبراغماتية. ويعود أصل المصطلح إلى ألمانيا حيث استعمله لأول مرة الصحافي لودفيغ أوغست فون روش، عام ١٩١٤، ليعبر عن السياسة النفعية القسرية المكيافيللية. (المترجم)

الإخوان المسلمين الهاربين من الملاحقة في مصر وسوريا منذ أواخر الخمسينيات وما بعدها. هؤلاء الإخوان كان العديد منهم من الأكاديميين أو المهنيين المدربين جيداً، والذين أصبحوا بسرعة العمود الفقري لقطاعي الإعلام والتعليم السعودي الحديثين. وبسبب تأثيرهم ـ جزئياً على الأقل ـ استطاعت «الصحوة» أن تكتسب زخماً هائلاً في الجامعات السعودية في السبعينيات والثمانينات قبل أن تصبح رأس حربة المعارضة الإصلاحية الإسلامية في بداية التسعينيات. ومن الناحية الأيديولوجية، كانت الصحوة تمثل خليطاً من الموقف الوهابي التقليدي (غالباً في الأمور الاجتماعية) وأسلوب جماعة الإخوان المسلمين المعاصر (وبخاصة في الأمور السياسية). ومن الناحية السياسية، سعى ممثلو «الصحوة» إلى إصلاح سياسات الدولة من دون التشكيك في شرعية الدولة مطلقاً[١٢].

ولكن حركة جهيمان انبثقت عن التيار الإسلامي الآخر: «التيار الرفضي»، وذلك في عقد السبعينيات. ففي عام ١٩٦١، تم تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة برئاسة المفتي العامّ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ولاحقاً برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز[١٣]. وكلاهما كان متحمساً لتأسيس حركة وهابية عريضة في الحجاز الذي كان، لعقود يتمتع نسبياً باستقلال ثقافي وديني. ولذلك شجعا طلبتهما على العمل والانخراط في مجالي الدعوة والحسبة[*].

هذه التطورات تصادفت مع وصول تأثيرات أيديولوجية جديدة على المشهد الديني في المدينة المنورة وخصوصاً ما يتعلق بالشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١٩١٤ ـ ١٩٩٩). الألباني كان عالماً سورياً من أصل ألباني ودعاه الشيخ عبد العزيز بن باز، الذي كان وقتها نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة، ليُدَرس هناك في عام ١٩٦١. الألباني كان قد أصبح مشهوراً في سوريا لأنه انتسب إلى مدرسة «أهل الحديث» في الفكر الإسلامي، وعمل على إحياء تلك المدرسة. «أهل الحديث» اشتُهروا في القرن الثامن الميلادي بمعارضتهم استخدام العقل في استنباط الأحكام الشرعية وإصرارهم على أن السُّنة فقط هي التي تقدم الأجوبة عن كل الأمور غير المشروحة بوضوح في القرآن. ولذلك طَوَّرَ علماء «أهل الحديث»

(*) طالع فقرة «سابعاً» في الملحق الرقم ٢. (المترجم).

اهتماماً خاصاً بجمع ودراسة الحديث. ومن ضمن المذاهب الفقهية الأربعة التي انبثقت بعد قرن، كان المذهب الحنبلي وحده يتبع منهج «أهل الحديث» بصورة صارمة. ولكن الحنابلة المتأخرين بدأوا يميلون تدريجياً نحو تقليد أحكام علماء المذهب الحنبلي السابقين بدلاً من ممارسة الاجتهاد بناء على القرآن والسنة. لقد كان هذا هو أهم انتقادات الألباني ضد الوهابيين الذين كانوا يدّعون الاجتهاد، ولكنهم في الحقيقة حنابلة، ولذلك فهم مذهبيون. الألباني رفض تقليد جميع المذاهب الفقهية ودعا إلى اعتماد مباشر وحصري على القرآن والسنة. كما وبّخ الألباني الوهابيين لعدم اهتمامهم بالحديث بشكل كاف. وكان الألباني يصدر أحكامه الخاصة على صحة الأحاديث وتفسيرها، ولذلك كانت أحكامه أحيانا مخالفة للأحكام السائدة والمترسخة، وبخاصة الوهابية منها وبالذات في الأمور التي تتعلق بالشعائر. وفي كتابه الشهير «صفة صلاة النبي»، قدّم الألباني العديد من الآراء المخالفة للسائد، ولذلك سببت الكثير من الجدل عند علماء سعوديين آخرين. ويقول البعض إن هذا الجدل أدى إلى طرده من المدينة في عام ١٩٦٣، على الرغم من أن الظروف الدقيقة لمغادرته لا تزال غير واضحة. ولكن الألباني حافظ على علاقة وثيقة مع العلماء السعوديين وبخاصة ابن باز. لقد تركت دروسُ وكاريزما[*] الألباني، تأثيراً قوياً على المشهد الديني السعودي لأسباب عديدة ليس أقلها أنها شكلت الأساس الأيديولوجي للجماعة المتشددة التي بزغ منها متمردو جهيمان أي تحديداً «جسم».

الجماعة السلفية المحتسبة («جسم»)

تشكلت المجموعة التي سميت بـ «جسم» في المدينة المنورة في أواسط الستينيات. لقد شكّلها مجموعة صغيرة من طلبة الدين الذين كانوا يعملون ـ لبعض الوقت ـ في مجال الدعوة في الأحياء الفقيرة[١٤]. ونظراً

(*) كاريزما: Charisma مصلح أصله كلمة يونانية معناها الهدية أو النعمة الإلهية، وببساطة يقصد بها السمة التي تتميز بها شخصية تتمتع بجاذبية أقرب لسحر طاغ وآسر لدرجة القسر غير المباشر واللاإرادي الذي يمكنه أن يلهم في الآخرين الإخلاص والطاعة والولاء والتضحية الكبرى في الخير أو الشر. وفي علم الاجتماع يشير هذا المصطلح إلى الذين يملكون قوة القيادة الفطرية (أي ما يسمى Born to Lead) ويمارسونها بصورة خارقة للعادة. (المترجم).

إلى أنهم تأثروا بالألباني، أصبح لديهم إيمان راسخ بأن المذاهب الفقهية والتيارات الإسلامية في ذلك الوقت بما في ذلك التيار الرسمي السعودي، أي الوهابية، تحتاج إلى تنقية من البدع والأفكار الخاطئة. كما عملوا على مواجهة التأثير المتزايد لجماعات أخرى موجودة على الساحة في المدينة خلال السبعينيات، وبخاصة جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين(١٥). كلا هذين الهدفين ـ أي نشر الوهابية النقية وتقديم بديل لنماذج الإسلام الحركي الموجودة ـ كان يشاركهم فيهما أهم العلماء الموجودين في المدينة في ذلك الوقت، كعبد العزيز بن باز وأبي بكر الجزائري(١٦). الأعضاء المؤسسون لـ «جسم» تواصلوا مع هذين العالمين واعتبروا ابن باز شيخهم.

لقد كان الدافع المباشر لتشكيل «جسم» هو حادثة سميت بـ «تكسير الصور» وقعت في سنة ١٩٦٥. لقد رأى بعض الدعاة أن من واجبهم فرض التمسك بالدين وقواعده [بالقوة] في أجزاء محددة من المدينة. وكان هذا الجهد الدعوي يتضمن تكسير الصور الموجودة في الأماكن العامة. وفي بداية الستينيات، حدثت بعض الاحتكاكات والمصادمات بين هؤلاء الدعاة المتعصبين والسكان المحليين(١٧). وتم تجاهل أفعال هؤلاء المتشددين الذين كانوا يتصرفون من دون أي صفة رسمية حتى قام بعض الدعاة الشباب بتكسير تماثيل لعرض الملابس النسائية(*) كانت تعرض أقمشة وملابس في وسط المدينة. ونظراً إلى أنهم أتلفوا جزءاً من منشأة تجارية، تم القبض عليهم وإيداعهم السجن لمدة أسبوع تقريباً(١٨). هذه المواجهة مع الشرطة ألهمت الناشطين الرئيسين بضرورة تنسيق وتكثيف جهودهم. وبعد فترة ليست طويلة من هذه الحادثة، قرروا تأسيس جماعة تشملهم تحت مسمى «الجماعة السلفية». ثم تواصلوا مع ابن باز وطلبوا موافقته على إنشاء الجماعة. رحب ابن باز بالفكرة واقترح إضافة لقب «المحتسبة» إلى اسمها(١٩). وهكذا أصبح ابن باز بمثابة المرشد الروحي الرسمي للجماعة، وعين أبو بكر الجزائري كنائب له(٢٠). «جسم» لم

(*) تماثيل لعرض الملابس النسائية، أي مانيكان (Mannequin)، وهو تمثال من دون ملامح محددة يستخدم لعرض الملابس والأزياء عند الخياطين ومحلات بيع الملابس أو الأقمشة. (المترجم).

يكن لها رئيس رسمي لكن كان يحكمها مجلس شورى يتكون من ٥ أو ٦ أعضاء بما في ذلك ٤ من المؤسسين، إضافة إلى الجزائري.

ثم زادت تدريجياً نشاطات «جسم» وجذبت أعداداً كبيرة نسبياً من الأتباع في المدينة. وفي بداية السبعينيات، كانوا يجتمعون في منزل بُنيَ خصّيصاً لهذا الغرض ليكون مقراً للجماعة، وعرف باسم «بيت الإخوان»، وكان يقع في منطقة الحرّة الشرقية بالمدينة، وهي منطقة مشهورة بمحافظة سكانها الدينية الصارمة. «بيت الإخوان» أصبح نقطة التجمع الطبيعية ومركز إدارة «جسم»، إضافة إلى ذلك، أصبح منتدىً للدروس اليومية والمؤتمرات الأسبوعية. لقد كان يديره أحمد حسن المعلم وهو صديق مقرّب من جهيمان، وطالب يمني سابق في الجامعة الإسلامية بالمدينة.

وبمرور الوقت، أصبح هيكل «جسم» التنظيمي أكبر حجماً وأكثر تعقيداً؛ فقد تم استحداث لجان إدارية جديدة لتنسيق بعض الأمور العملية. إحدى اللجان (وكان يرأسها في البداية جهيمان) كانت متخصصة في تنظيم سفريات الأعضاء، ولجنة أخرى متخصصة في تنظيم استقبال الضيوف، ولجنة ثالثة متخصصة في تنظيم رحلات إلى القرى لأعضاء الجماعة المسمَّيْن بـ «المسافرين الجوالين» والذين يعملون في الدعوة وتجنيد الأعضاء الجدد[٢١].

كما شجعت «جسم» أتباعها على تأسيس فروع مشابهة في مدن أخرى في المملكة. وبحلول عام ١٩٧٦، كان هناك أعضاء لـ «جسم» يوجدون بصورة عملية في جميع المدن الكبرى في السعودية بما في ذلك مكة، والرياض وجدة والطائف وحائل وأبها والدمام وبريدة. وجميع تلك الفروع كان يرأسها قائد، أو رجل اتصال محلي. بعض الفروع مثل فرع مكة، كان موجوداً في منزل خاص بني لهذا الغرض[٢٢].

ولكي نحدد الوضع الاجتماعي والاقتصادي لأعضاء «جسم»، طلبنا من الحزيمي أن يزوّدنا بأكبر قدر من المعلومات عن السيَرِ الذاتية التي يتذكرها عن أعضاء الجماعة. هذه المعلومات إضافة إلى معلومات من مصادر أخرى، سمحت لنا بجمع بيانات ديموغرافية [سكانية] أساسية لـ ٣٥ شخصاً تقريباً من أعضاء «جسم»، وسمح لنا بالتالي أن نستخرج بعض الاستنتاجات

العامة المهمة[٢٣]. **أولاً**، لقد بدا أن معظم الأعضاء كانوا شباباً، وغير متزوجين. بعض الأعضاء كان لديهم عائلات، لكن لم تؤدِّ النساء أي دور مباشر في الجماعة. وكانت أعمار الأعضاء تتوزع في مدى عريض نسبياً من العمر، يمتد من المراهقة حتى أواخر الأربعينيات، ولكن الأغلبية كانوا في منتصف العشرينيات. **ثانياً**، معظم أعضاء «جسم» كانوا من فئات هامشية أو فئات تعرّضت للتفرقة العنصرية. كما إن العديد من الأتباع كانوا من البدو[٢٤] الحديثي العهد بالحياة الحضرية، أي شباباً من خلفية بدوية[٢٥]. تاريخياً، كانت القبائل هي الخاسر الأكبر في عملية التحديث السعودية في كل من الناحية السياسية (على المستوى الجمعي) وأيضاً من الناحية الاقتصادية (على المستوى الشخصي)[٢٦]. أعضاء آخرون في «جسم» كانوا من المقيمين الأجانب غالباً من اليمن[٢٧]. وليس سراً أن الأجانب عانوا طويلاً وكثيراً من العنصرية ضدهم من الناحية السياسية والاجتماعية في السعودية، وبالضرورة من الناحية الاقتصادية[٢٨]. كما إن رفض أعضاء «جسم» العمل في الحكومة لأسباب دينية ساهم في تهميشهم. ولذلك كانوا دائماً يوصفون من الآخرين في ذلك الوقت كـ «عاطلين أو عمّال أو طلّاب»[٢٩].

ومن الناحية الأيديولوجية، ركزت «جسم» في البداية على الإصلاح الأخلاقي والديني وليس على السياسة. ومن وجهة نظر «جسم»، فقد فسد نقاء الإسلام بدخول بدع فيه ولا سيما في ممارسة الشعائر وبانحراف المجتمع عن تعاليم الدين، وهذا أمر يستحق التأنيب والتوبيخ. كما دعوا إلى اتباع تفسير حرفي صارم للكتاب والسنة بصفتهما المصدرين الوحيدين للحقيقة الدينية، ورفضوا تقليد جميع العلماء اللاحقين بما في ذلك علماء المذاهب الإسلامية الأربعة، وبخاصة أحمد بن حنبل مؤسس المذهب الحنبلي المبجّل في السعودية، وكذلك ابن تيمية وابن عبد الوهاب. ولكن «جسم» وضعت الألباني في مكانة محترمة وعالية جداً ونظمت محاضرات لأعضائها معه كلما جاء من الأردن إلى مكة للحج[٣٠]. كما أسسوا روابط قوية مع «أهل الحديث» في باكستان من خلال الشيخ بديع الدين السندي، وهو عالم باكستاني مقيم في مكة، وكان يعتبر من أهم مراجع «جسم» الدينية. كما كان هناك اتصالات بين «جسم» وجماعة «أنصار السنة

المحمدية»(*) التي كان لمجلتها **التوحيد**(**) شعبية كبيرة عند أعضاء «جسم» وكان مشايخها يلقون محاضرات في «بيت الإخوان» خلال زياراتهم إلى المدينة[٣١].

تفسير«جسم» الحَرفي للنصوص الدينية، أدى إلى اتخاذها موقفاً اجتماعياً شديد المحافظة وبالتالي إلى موقف رفضي للعديد من أوجه الحداثة. على سبيل المثال عارضوا استخدام بطاقات الهوية والجوازات لأنها في نظرهم تؤدي إلى ولاء لغير الله. وكانوا ضد صور الكائنات الحية ليس في التلفزيون والصور الشمسية فحسب، بل وحتى على العملة. والأكثر إدهاشاً، كان لدى «جسم» آراء غريبة في الشعائر والصلاة [عن ما هو سائد في المجتمع]، ما جعل الجماعة بعيدة عن التجمعات الدينية الطبيعية السائدة في ذلك الوقت، حيث كانوا يؤمنون بالعديد من تفسيرات الألباني في كتابه المعنون **صفة صلاة النبي**[٣٢]. وعلى سبيل المثال أيضاً كانوا يجادلون أن شرط الإفطار في رمضان ليس عند غروب الشمس ولكن بغياب الضوء، ولذلك يمكن الإفطار في رمضان في غرفة ذات نوافذ مغلقة. كما اعتبروا الصلاة بالأحذية جائزة، وهذا الأمر تسبب باحتكاك ونزاع مع المصلّين الآخرين في المسجد النبوي. ولذلك كان «بيت الإخوان» يحتوي أيضاً على مسجد، حيث كان الأعضاء يؤدون

(*) جماعة أنصار السنة المحمدية: جماعة إسلامية سلفية تأسست في مصر أولاً، ثم انتشرت في غيرها من الدول للدعوة إلى الإسلام على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة لتطهير الاعتقاد ونبذ البدع والخرافات كشرط لعودة الخلافة ونهضة الأمة الإسلامية. تأسست جماعة أنصار السنة المحمدية عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦ م) بمدينة القاهرة، على يد الشيخ محمد حامد الفقي وبمشاركة مجموعة من إخوانه: الشيخ محمد عبد الوهاب البنا، محمد صالح الشريف، عثمان صباح الخير، وحجازي فضل عبد الحميد؛ في الوقت الذي كانت تعجّ فيه مصر ومعظم بلدان العالم الإسلامي بالشّركيات والبدع والخرافات، فكان تأسيس الجماعة للدعوة لتجديد الدين على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة، ومحاربة الشرك والبدعة في صورهما كافة. (المترجم).

(**) مجلة التوحيد: تعد مجلة التوحيد من المجلات الإسلامية الرائدة في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة وصد خرافات المبتدعة والخارجين عن الإسلام. بدأ صدورها في مصر منذ عام ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧، وهي لسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية التي قام بإنشائها الشيخ محمد حامد الفقي. كانت تسمى في بداية صدورها بـ مجلة الهدي النبوي حتى تم تغيير اسمها إلى مجلة التوحيد. أبرز رؤساء تحرير المجلة: أحمد محمد شاكر، صفوت الشوادفي، وجمال المراكبي. (المترجم).

الصلاة بحسب ممارساتهم المخالفة للسائد. وبخلاف المساجد الأخرى، فإن مسجد «جسم» لم يكن يحتوي على محراب لأنهم كانوا يعتبرونه بدعة.

ممارسات «جسم» غير المألوفة، أزعجت علماء المدينة الذين كانوا متعاطفين في البداية مع الجماعة. ويتذكر مقبل الوادعي، وهو أحد مشايخ «جسم»، أنه تم استدعاؤه من قبل اثنين من علماء المدينة وهما عطية سالم وعمر فلاته، اللذين سألاه عن ١٢ قضية كانا يعتبرانها إشكالية[٣٣]. ثم وصلت العلاقات مع علماء المدينة إلى نقطة اللاعودة في صيف ١٩٧٧، عندما زارت مجموعة من علماء المدينة «بيت الإخوان» بقيادة أبي بكر الجزائري في محاولة لإقناع أعضاء «جسم» بالتخلي عن تلك الممارسات الغريبة، وكان الشيخ عبد العزيز بن باز قد غادر المدينة في ذلك الوقت عائداً إلى الرياض. عقد الاجتماع على سطح «بيت الإخوان»[*] ووقع تصادم عنيف بين الجزائري والمتشدد جهيمان العتيبي[٣٤]. ونتيجة لـ «حادثة السطح»، حدث انشقاق في «جسم»: الأقلية ومن ضمنهم معظم الزعماء التاريخيّون للجماعة أعلنوا ولاءهم للجزائري وغادروا «بيت الإخوان»، بينما الأغلبية التي تتكون من الشباب والمتشددين احتشدوا حول جهيمان وأصروا على مواصلة ممارسة أساليبهم. ويتذكر مقبل الوادعي، كيف حاول أن يتوسط ـ من دون نجاح ـ بين الفصيلين. الوادعي كتب أن جهيمان كان متشككاً بصورة مفرطة واتهم المنشقين علانية بأنهم عملاء للشرطة[٣٥]. وبعد «حادثة السطح»، أصبح جهيمان أكبر وأقدم شخص في «جسم» ليكون بالتالي القائد الطبيعي للجماعة بعد أن أصبحت أصغر حجماً وأكثر راديكالية[**]. ومنذ ذلك التاريخ وما بعده، أصبح اسم جهيمان مرادفاً تماماً لـ «جسم» وسمى نفسه وأتباعه بـ «الإخوان».

(*) سوف نسمي هذا الاجتماع التاريخي المهم على سطح «بيت الإخوان» بـ «حادثة السطح» في بقية الكتاب. (المترجم).

(**) هذه المجموعة الأصغر حجماً، والأكثر راديكالية المتفرعة من «جسم» بعد «حادثة السطح» أصبحت تعرف باسم «إخوان جهيمان» أو «جماعة جهيمان». (المترجم).

إخوان جهيمان

عندما أصبح جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي زعيماً لـما بقي من «جسم» بعد «حادثة السطح» في منتصف السبعينيات، كان في الأربعينيات من عمره. هناك الكثير من الأسئلة من دون أجوبة عن حياته المبكرة. نحن نعرف أنه ولد في بداية أو منتصف الثلاثينيات لعائلة بدوية في ساجر وهي هجرة للإخوان تقع غرب نجد. عائلة جهيمان كانت تنتمي إلى فرع الصقور من قبيلة عتيبة الكبيرة. وجهيمان تربى في بيئة بدوية تقليدية. جده «سيف الضان» كان فارساً غازياً وشارك بكثرة في الغزوات التي يشنها البدو ضد بعضهم البعض قبل انبثاق الدولة السعودية بقيادة الملك عبد العزيز[٣٦]. وبعكس ادعاءات بعض المؤرخين، فإن جدّ جهيمان لم يشارك في «ثورة الإخوان» [في العشرينيات]. وبحسب الحزيمي، فإن والد جهيمان، محمد ابن سيف، هو الذي شارك في «ثورة الإخوان» إلى جانب زعيم قبيلة عتيبة سلطان بن بجاد. ونجا محمد من معركة السبلة في عام ١٩٢٩، وعاش حتى عام ١٩٧٢. وكان جهيمان فخوراً بتجربة والده وحريصاً على إثارة ذكرى «ثورة الإخوان» في عقول رفاقه في «إخوان جهيمان»[٣٧]. ترك جهيمان المدرسة في مرحلة مبكرة. ويقول الحزيمي إن جهيمان اعترف بنفسه أنه درس حتى الصف الرابع ابتدائي فقط. ولذلك يبدو أن الشائعات المتداولة حول أميته صحيحة جزئياً. الحزيمي يقول إنه لم يشاهد جهيمان مطلقاً وهو يكتب، وأن لهجته بالفصحى كانت ضعيفة وتكسوها اللكنة البدوية. الكتابات المسماة **رسائل جهيمان** تم إملاء أفكارها على صديق قام بتطويرها، كما يقول الحزيمي. ولكن كما أشار جوزيف كيشيشيان [الذي كتب بحثاً عن رسائل جهيمان] بحق، فإنه من الواضح أن جهيمان لم يكن أمياً إذا أخذنا بعين الاعتبار كلامه ونقاشه في الأمور الدينية وتأليفه لبعض الأعمال باللغة العربية الفصحى[٣٨]. ولذلك فإن التفسير المحتمل هو أن جهيمان كان مصاباً بعسر القراءة، أو بعبارة أخرى كان قادراً لغوياً وعلمياً، ولكنه كان يعاني الديسلكسيا[*] أي إنه قادر علمياً ولكنه لا يرتاح في الكتابة.

(*) عسر القراءة (ديسلكسيا): Dyslexia ويسمى أيضاً خلل/ اضطراب القراءة، هو مصطلح علمي يدل على إعاقة في التعلم تضعف وتوهن قدرة الشخص على سرعة وطلاقة القراءة، والتي =

قضى جهيمان الجزء الأكبر من حياته العملية في الحرس الوطني. وبحسب معظم الروايات، انضم إليه عام ١٩٥٥ وغادره في أواخر ١٩٧٣، على الرغم أنه قد يكون قد غادر أبكر من ذلك[٣٩]. أسباب تركه الحرس الوطني غير معروفة؛ بعض المصادر تقول إنه غادر طوعاً، بينما تشير مصادر أخرى إلى أنه فصل لأسباب مشينة. وبعد مغادرته، انتقل إلى المدينة لأسباب غير معروفة أيضاً. ونظراً إلى أنه لا يملك المؤهلات الدراسية الرسمية، فإنه لم يسجل في الجامعة الإسلامية بالمدينة مطلقاً، كما اعتقد بعض المؤرخين بصورة خاطئة. ولكن بالرغم من ذلك، كان يحضر بعض الدروس لفترة من الوقت في «دار الحديث»، وهي مؤسسة قديمة متفرعة عن الجامعة الإسلامية بالمدينة. وخلال تلك الفترة الزمنية، انضم إلى «جسم». وصعد جهيمان إلى الصدارة في «جسم» بسبب كاريزميته وعمره واسم قبيلته الكبيرة. ولكن أهم صفة جعلت الأعضاء الشباب في «جسم» يعجبون به هي جرأته في نقد العلماء علانية[٤٠]. وبعد «حادثة السطح» والانشقاق في «جسم»، استطاع جهيمان السيطرة على الجماعة إلى درجة ـ بحسب الحزيمي ـ أن الجماعة تحولت إلى طائفة تقدّس رئيسها[*]. أعضاء، «إخوان جهيمان» الأصغر سناً كانوا يتنافسون لكسب رضا جهيمان، وكان يتم تصنيفهم اجتماعياً بحسب علاقتهم وقربهم من الزعيم. وفي

= يمكن أن تظهر كصعوبة في الإدراك الفُونُولُوجِيّ (Phonology)، عِلْم الأَصْواتِ الكَلامِيَّة، وفك الشفرة الصوتية، وسرعة معالجة المعلومات، وضبط الترميز الهجائي والذاكرة السمعية قصيرة المدى، والمهارات اللغوية/ الفهم الشفهي، والتسمية السريعة. عسر القراءة مختلف عن صعوبات القراءة الناجمة عن أسباب أخرى، مثل النقص في الرؤية أو السمع (لأسباب غير عصبية)، أو الصعوبات الناتجة من ضعف تعليم القراءة أو عدم كفايتها. ويخمن الخبراء في معهد ماساتشوستس للتقنية (MIT) الذي يتعبر أفضل جامعة تكنولوجية في العالم أن عسر القراءة يمكن أن يصيب ٥ ـ ١٠ في المئة من سكان أية دولة بالرغم من عدم وجود دراسات كافية لدعم هذا التخمين. ووجد الباحثون أن الناس الذين يعانون من عسر القراءة يُظهرون أعراض لضعف قدرات التعرف الصوتي. كما وجد هؤلاء الباحثين أن الراشدين المصابين بعسر القراءة يمكنهم القراءة مع فهم جيد ولكن تهجأتهم للكلمات سيئة، وهم أبطأ في القراءة من غير المصابين بعسر القراءة. وأضاف الباحثون إن عسر القراءة و حاصل الذكاء (IQ) ليسا مترابطين، ولاتوجد بينهما علاقة تبادلية حيث حصل بعض الأشخاص على أرفع الجوائز مثل نوبل وبوليتزر رغم ثبوت إصابتهم بعسر القراءة. ولعل آخرهم عالمة البيولوجيا الجزيئية الأمريكية د. كارول غريدر التي فازت بجائزة نوبل للطب عام ٢٠٠٩. (المترجم).

(*) طائفة تقدس رئيسها: أي «طائفة جهيمانية»، أو ما يعرف بـ (A Cult of Personality). وتسمى أيضاً عبادة الشخصية، أي التمادي بالتملق المفرط لرأس الدولة في النظام الشمولي. (المترجم).

المقابل، كان جهيمان يعاقب أولئك الذين يجرؤون على مجادلته، وذلك بتجاهلهم، ما يتركهم معزولين اجتماعياً عن باقي الجماعة[٤١].

وفي كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٧، وبعد «حادثة السطح» بفترة وجيزة، قررت السلطات الأمنية أن تتخذ إجراءات ضد جماعة جهيمان بعد أن علموا عن تطرفها وراديكاليتها من أعضاء سابقين منشقين[٤٢]. خططت الشرطة للقيام بمداهمة «بيت الإخوان» والقبض على جهيمان وأتباعه. ولكن جهيمان تلقّى تحذيراً من شخص من قبيلته يعمل في جهاز الإشارة عن المداهمة الوشيكة قبل وقوعها بساعات[٤٣]. ولذلك غادر جهيمان «بيت الإخوان»، فوراً، وبسرعة، وبرفقة اثنين من مساعديه كان أحدهما ناصر الحزيمي. وسعى جهيمان إلى الاختباء في الصحراء لأن وجود الشرطة فيها ضعيف وأعداد حلفائه من البدو فيها أكثر من المدن. بقي جهيمان في الصحراء لمدة سنتين تقريباً ولم يظهر علانية مرة أخرى إلا عند اقتحام المسجد الحرام؛ وفي الوقت نفسه تم القبض على ٣٠ شخصاً في المدينة، وسجنوا لمدة ٦ أسابيع بتهمة حيازة أسلحة. وفي الأيام التالية تم القبض على العديد من أعضاء «إخوان جهيمان» في المدن السعودية الأخرى ولكن بأعداد أقل[٤٤].

خلال هاتين السنتين عاش جهيمان حياة متجول في مناطق صحراوية شمالية في منطقة تشكل مثلثاً بين حائل، بريدة، وحفر الباطن. وكان يرافقه طوال الوقت مجموعة تتكون من ثلاثة إلى خمسة أشخاص، ولكنه حافظ على التواصل مع بقية أتباعه. الشرطة كانت تتعقبه بصورة مستمرة وشاعت حكايات عديدة عن مغامرات دخول جهيمان إلى بعض المناطق المسكونة. وبعد هروبه إلى الصحراء بفترة وجيزة، أراد جهيمان أن يزور أمه في ساجر، ولكنه امتنع عن ذلك في آخر لحظة عندما وصله تحذير من أن الشرطة تراقبها. وفي مرحلة معيّنة عانى جهيمان ألماً رهيباً في الأسنان، وبعد فترة انتظار طويلة ومؤلمة، نجح أتباعه في العثور على طبيب أسنان وافق على علاجه وعدم إبلاغ السلطات. وفي الوقت نفسه، عقد أتباعه اجتماعات سرية في أماكن منعزلة بانتظام ولكن في الغالب من دون حضور جهيمان[٤٥].

بعد مداهمة الشرطة لـ «بيت الإخوان»، لم يعد جهيمان يملك مقراً لمقابلة أتباعه وإيصال أفكاره إليهم. ولذلك فإن وجود جهيمان في الصحراء يمكن اعتباره نقطة بداية إنتاجه الأيديولوجي. لقد بدأ في تسجيل أفكاره

على أشرطة كاسيت وفي كراسات. لا يوجد أي أثر لتلك التسجيلات اليوم ولكن كراساته نجت وبقيت[٤٦]. وهذه الكراسات تقدم تصوراً مهماً لفكره. ولكن هناك تشويش ولغط كثير بخصوص عددها وعناوينها وهوية مؤلفيها الحقيقية[٤٧]. وعلى الرغم من أن هذه الكراسات قد شاعت تسميتها بـ **رسائل جهيمان** إلا أنّ ثمانيَ [من مجموع ١٢ رسالة] منها فقط كانت موقّعة باسمه، ونظراً إلى أنه لا يجيد الكتابة، فربما تم إملاء أفكار هذه الرسائل على رفاقه: محمد القحطاني (المهدي المزعوم)[٤٨]، وأحمد المعلم، اللذين طوراها وكتباها. ويبدو واضحاً الآن أنه توجد في المجموع ١٢ رسالة، وأنه تم نشرها على دفعات من رسالة واحدة، وسبع رسائل، وأربع رسائل. واحدة موقعة من القحطاني، وواحدة من يمني باسم حسن ابن محسن الوحيدي، واثنتان موقعتان من «أحد طلبة العلم» وهو اسم مستعار لشخص يمني آخر اسمه محمد الصغير[٤٩].

ومن المذهل أن هذه الرسائل تمت طباعتها في الكويت بواسطة مطبعة جريدة **الطليعة** اليسارية التي تعاطف أصحابها مع ما فسروه بأنه انتفاضة محتملة للطبقة العاملة بالحجاز؛ فقد قام أحد أعضاء «جسم» الكويتيين وهو عبد اللطيف الدرباس، بالاستفادة من علاقات عائلته للتفاوض، وقام بعمل صفقة مع الناشر اليساري، ثم نسّق عملية تهريب آلاف النسخ وتوزيعها عبر السعودية. ويتذكر ناصر الحزيمي، الذي شارك في توزيع الرسالة الأولى في مكة، بعض الحكايات المثيرة ذات الدلالة عن عملية نشر الرسائل؛ فعلى سبيل المثال تم طبع اسم «مطبعة الطليعة» بالخطأ على الصفحة الأولى ولذلك تم إزالتها بالمقص من كل رسالة. وظهرت مشكلة أخرى عندما وصل تعليق الشيخ ابن باز على الرسالة متأخراً بعد طباعتها، حيث كان جهيمان قد عرض عليه النص سراً لكي يصادق عليه. ولذلك قاموا بصنع ختم مطاطي يحتوي على تعليق ابن باز وتم ختمه على كل رسالة[٥٠].

الرسالة الأولى تم توزيعها في عدة مدن بصورة متزامنة بتاريخ ٣١ آب/ أغسطس ١٩٧٨[٥١]. مجموعة النصوص المعروفة بـ **الرسائل السبع** طبعت بعد ذلك بفترة وجيزة ووزعت خلال موسم الحج في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٨. وبعد بضعة شهور جاءت مجموعة من ٤ رسائل[٥٢].

الرسائل السبع والأربع، تم كذلك عرضها على ابن باز الذي ـ كما يُزْعَمْ ـ وافق على محتواها باستثناء أنها كانت تستهدف السعودية تحديداً[٥٣]. توزيعها أغضب النظام الذي أمر باعتقالات جديدة لـ «جسم». ومن ضمن الأشخاص المستهدَفين بالاعتقال كان مقبل الوادعي الذي اتُّهم بأنه مؤلف الرسائل. ولكن أطلق سراحه بعد ثلاثة أسابيع وطرد إلى اليمن[٥٤].

لم يكن توزيع الرسائل مقصوراً على السعودية فحسب، بل شمل الكويت أيضاً، حيث كانت «جسم» تمتلك عدداً كبيراً نسبياً من الأتباع. وما يدل على وجودها الكبير في الكويت، هو حقيقة أن عبد الرحمن عبد الخالق، وهو الشخصية الرئيسة للحركة السلفية السائدة هناك، كتب سلسلة مقالات في جريدة **الوطن** الكويتية أواخر عام ١٩٧٨ يفند فيها أفكار جهيمان[٥٥]. ومن اللافت أيضاً أن نذكر أنه في يوم اقتحام المسجد الحرام في مكة، تم توزيع بعض رسائل جهيمان في مساجد كويتية[٥٦].

رسائل جهميان مكتوبة بلغة دينية رتيبة نسبياً ولا تكشف عن مبدأ سياسي واضح. أكثر رسالة كانت ذات طابع سياسي هي بعنوان **الإمارة والبيعة والطاعة**، حيث اتهم جهيمان فيها النظام السعودي «باستخدام الدين كوسيلة لضمان الحصول على مصالح دنيوية وإنهاء الجهاد وموالاة النصارى (الأمريكان) وجلب الشر والفساد للمسلمين». وأضاف أنه على أية حال، فإن أصل آل سعود غير القرشي لا يؤهلهم للزعامة الإسلامية. ما قاده بالتالي إلى استنتاج أن البيعة التي تربط السعوديين مع حكامهم تعتبر باطلة وأن طاعتهم بالتالي ليست إجبارية، خاصة في تلك القضايا حيث يكون سلوكهم وأوامرهم معارضة لكلمة الله. ولذلك طلب من أتباعه الابتعاد عن مؤسسات الدولة والاستقالة منها إذا كانوا من الموظفين، أو ترك المدرسة أو الجامعة إذا كانوا لا يزالون طلبة.

ولكنه حذّر أن الحكم بتكفير الحكام محرّم طالما سموا أنفسهم بـ «مسلمين». ولذلك فرّق بين الدولة كمؤسسة كان يُعتَقد أنها غير شرعية وغير إسلامية، وبين أفراد أو أعضاء تلك الحكومة الذين رفض أن يكفرهم. وبالمثل، كان جهيمان شديد النقد للمؤسسة الدينية الرسمية كمؤسسة، ولكنه كان أكثر حذراً في التعبير عن آرائه بخصوص بعض العلماء كـ ابن باز.

ومن ناحية عقدية أكثر، أحيى جهيمان العديد من الأفكار المهمة من كتابات العلماء الوهابيين المتشددين من القرن التاسع عشر مثل سليمان بن عبد الله آل الشيخ، وحمد بن عتيق[٥٧]. **الفكرة الأولى**، كانت «مِلّة إبراهيم» التي تعتبر رمزاً مجازياً للمجتمع الإسلامي الحقيقي المنفصل عن كل أشكال المعاصي. **والفكرة الثانية**، كانت «أوثق عرى الإيمان» التي تعني الروابط التي توحّد المسلمين بعضهم ببعض، وتفرض عليهم تضامناً متبادلاً. كلتا الفكرتين التقت في مبدأ «الولاء والبراء» الذي جعله جهيمان المبدأ الرئيس للسلوك الإسلامي السليم. والمبدأ الآخر المهم في أيديولوجية جهيمان كان هو ظهور «المهدي». الرسالة الأولى من **الرسائل السبع** كانت مخصصة بالكامل لهذه القضية[٥٨]. هذا النص يقدم كل الأحاديث الصحيحة عن المهدي ويربطها بالأحداث الأخيرة في التاريخ الحديث للجزيرة العربية لإثبات أن ظهور المهدي وشيك. وفي الكراس نفسه كتب جهيمان «لقد كرسنا جميع جهودنا لهذه القضية خلال الثماني سنوات الماضية»[٥٩]. وبحسب الحزيمي، فإن قضية المهدي كانت بالفعل محلّ نقاش في «جسم» لفترة سابقة، ولكنها أصبحت الجزء المركزي في خطاب جهيمان في منتصف عام ١٩٧٨، بعد هروبه إلى الصحراء. وفي أواخر عام ١٩٧٨، أعلن جهيمان لأتباعه أنه أصبح من الثابت عنده كما رأى في أحد أحلامه أن رفيقه محمد القحطاني كان هو «المهدي»[٦٠]. وكان من أسباب تحديد أن القحطاني هو المهدي، كونه يمتلك العديد من صفات المهدي الواردة في تلك الأحاديث. **أولاً**، لقد كان اسمه محمد بن عبد الله، مثل اسم الرسول صلى الله عليه وسلم. **ثانياً**، كان يدّعي الانتماء إلى الأشراف، أي نسب الرسول صلى الله عليه وسلم[٦١]. **ثالثاً**، كان مظهره الجسدي يطابق الأوصاف الواردة عن المهدي في الأحاديث[٦٢]. اختيار وتسمية القحطاني بـ «المهدي»، سببت انشقاقاً كبيراً ثانياً في الجماعة. العديد من الأعضاء بمن فيهم ناصر الحزيمي لم يقتنعوا بقضية المهدي، وتركوا «إخوان جهيمان» نهائياً. لقد كانت تلك البقية من الأعضاء هي جوهر جماعة «إخوان جهيمان» وهم الأتباع الذين نفّذوا أكبر عملية مذهلة ومدهشة في تاريخ الإسلام الحركي المحارب، عندما اقتحموا وسيطروا على المسجد الحرام في مكة.

وفي ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩، الموافق لليوم الأول من القرن الخامس عشر الهجري، اقتحمت مجموعة من المتمردين يقدر عددها بـ ٣٠٠ شخص تقريباً، بقيادة جهيمان العتيبي، المسجد الحرام في مكة وسيطروا عليه، وهو أقدس مكان في الإسلام. وكان هدفهم مبايعة القحطاني كـ المهدي المنتظر بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم كما ورد في الأحاديث النبوية. تمترس المتمردون داخل الحرم وقبضوا على آلاف المصلين كرهائن في انتظار جيش العدوّ القادم من الشمال كما جاء في الأحاديث[٦٣]. ثم تطور الوضع إلى حصار للحرم استمر أسبوعين نتج منه عدد غير معروف من القتلى حتى الآن، وكشفت الأزمة عن عيوب جدية في قدرة السعودية على معالجة مثل هذه الأزمة. توقيت مداهمة واحتلال المسجد الحرام، حدده في الغالب جهيمان، لاعتقاده بما ورد في التراث الإسلامي السني عن «مجدِّد القرن»[*] حيث يظهر عالم عظيم في بداية كل قرن هجري[٦٤]. وربما حاول جهيمان أن يخلط بين فكرة «مجدد القرن» وفكرة «المهدي السني»، ولذلك ربما استنتج أن بداية القرن الهجري الجديد كانت اللحظة المناسبة لنجاح فكرة مبايعة القحطاني كمهدي[٦٥]. ولذلك، فإن تمرد مكة ليس له أي علاقة مطلقاً بالانتفاضة الشيعية التي حدثت في وقت متزامن معها في المنطقة الشرقية[٦٦]. ولكن وقوع حادثتين داخليتين حرجتين خلال فترة زمنية قصيرة من عام ١٩٧٩، إضافة إلى أحداث عالمية خطيرة مثل الثورة الإيرانية والغزو السوفياتي لأفغانستان، أثر بالتأكيد في موقف القيادة السياسية السعودية.

وبحسب معلومات ناصر الحزيمي، التي نتجت من حواراته العميقة في السجن مع المتمردين الذين نجوا، فإن جماعة «إخوان جهيمان» بدأت في جمع الأسلحة في أواخر عام ١٩٧٨، أي تقريباً قبل الهجوم بسنة. وكان المنسِّق الرئيس للحصول على الأسلحة هو سعيد، شقيق محمد بن عبد الله القحطاني. لقد اشترى أسلحة من مهربين يمنيين بتمويل من بعض الأثرياء في الجماعة[**]. وفي الشهور التي سبقت الهجوم، قاموا بالتدرب على

(*) عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». سنن أبي داود، حديث رقم (٤٢٩١). (المترجم).

(**) هناك رواية أخرى حول مصدر السلاح في الملحقين الرقم ١ و٢. (المترجم).

الأسلحة في ضواحي مكة والمدينة[٦٧]. المتمردون كانوا يعلمون سلفاً أن عمليتهم قد تتحول إلى حصار عليهم، ولذلك قاموا بتخزين تموينات غذائية تكفي لأسبوع (حليب مجفف، تمر، وخبز) في قبو الحرم المكي قبل العملية بقليل. كما قام العديد منهم بجلب أجهزة راديو لكي يسمعوا أخبار الخسف بجيش العدو القادم من الشمال، كما جاء في الحديث. كما ذكر الحزيمي أن العديد من الثوار ارتبكوا وتحيّروا بسبب مقتل [المهدي المزعوم] محمد القحطاني في اليوم الثالث من الحصار. ولذلك بدأ بعض المتمردين يعيدون النظر في أفكارهم، بينما أطاع الآخرون أوامر جهيمان بعدم الاعتراف بمقتل القحطاني[*]. وحتى بعد سنوات من تلك الأحداث الدامية، لا يزال بعض أتباع «جسم» يعتقدون بأن المهدي لايزال حيا[٦٨].

وفي ٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩، استعادت السلطات السعودية السيطرة على المسجد الحرام بمساعدة ثلاثة ضباط من القوات الفرنسية الخاصة بقيادة الكابتن بول باريل[**] المتمردون حوكموا وصدرت في حقهم أحكام بسرعة الضوء؛ وفي فجر ٩ كانون الثاني/يناير ١٩٨٠، تم إعدام ٦٣ متمرداً في ٨ مدن سعودية مختلفة حول المملكة. قائمة المدانين كانت قد نشرت قبل يومين في الصحافة السعودية وشملت:

٤١ سعودياً.

١٠ مصريين.

٦ من اليمن الجنوبي.

٣ من الكويت.

١ من اليمن الشمالي.

١ من العراق.

١ سوداني[٦٩].

(*) جاء في بعض المراجع أن جهيمان قال لهم إن المهدي حُصِرَ ولم يمت، أي منعه أمر من الظهور. (المترجم).

(**) راجع الملحق الرقم (٢). (المترجم).

المتمردون الذين تم إعدامهم لم يكونوا يمثلون بالضرورة أهم الأعضاء في جماعة «إخوان جهيمان»، بل كانوا الأشخاص الذين قاتلوا بشراسة كبيرة خلال المراحل الأخيرة من الحصار ومن ثم نجوا. ويؤكد الحزيمي أن المتمردين خضعوا لفحص طبي سريع لتحديد من سيتم إعدامه. المتمردون الذين ظهر عليهم كدمات أو كانوا يعانون آلاماً في أكتافهم، تم الاستنتاج بأنهم قاتلوا وأطلقوا النار على الشرطة وبالتالي تم إعدامهم. وأولئك الذين لم يعدموا حكم عليهم بسنوات طويلة في السجن. كما ألقت الشرطة السعودية القبض على عدد كبير من الناس عبر المملكة من الذين كانوا على علاقة بـ «جسم» أو «إخوان جهيمان» في مراحل معيّنة. أولئك الذين هربوا من حملة الشرطة للقبض على المتهمين (أو الذين أطلق سراحهم مبكراً)، سعوا إلى الهرب واللجوء إلى أماكن مختلفة. العديد منهم ذهب إلى الخارج، وبخاصة إلى الكويت واليمن. وآخرون سعوا إلى العيش بهدوء وصمت في الرياض أو في مدن شديدة المحافظة في نجد مثل الزلفي والرس[٧٠]. البدو الذين ساعدوا جهيمان لم يتأثروا في الغالب من حملات الشرطة، والعديد منهم لا يزالون موجودين في المناطق الصحراوية الشمالية. وخلال بضعة شهور من انتهاء تمرد مكة، تم تفكيك جماعة جهيمان بصورة كاملة، على الأقل في السعودية. ولكن الفرع الكويتي للحركة نجا وبقي نشيطاً حتى نهاية الثمانينيات، ولكن في شكل أقرب إلى حركة «جسم» الأصلية من حركة «إخوان جهيمان»[٧١].

تمرّد مكة هز النظام السعودي الذي كان يركّز سيطرته السياسية على الجماعات اليسارية ولم يتوقع مطلقاً أن يكون خصومه قادمين من الدوائر الدينية[*]. ولذلك، قرر النظام السعودي أنه يحتاج إلى تعزيز سلطات المؤسسة الدينية وإحكام سيطرتها على المجتمع السعودي فحسب، لوقاية النظام من حدوث اضطراب مماثل مستقبلاً. ولكن المفارقة هنا هي أن

(*) ترى: هل كانت عملية دعم الحكومة السعودية للمجاهدين الأفغان بقوة فيما بعد مثل السماح بجمع التبرعات على نطاق واسع بصورة شعبية وأحيانا رسمية، والسماح بل تشجيع الشباب السعودي على المشاركة في الجهاد ضد السوفيات، نوعاً ما رد فعل شعوري أو «لاشعوري» على تمرد جماعة جهيمان في مكة ووسيلة لاسترداد شيء من شرعية النظام الإسلامية التي اهتزت بعد حادثة الحرم المكي؟! (المترجم).

المستفيد الأكبر من هذا التوجه كان التيار الإسلامي الرئيس الآخر المؤسَّس جيداً والمندمج في المجتمع بصورة جذرية تحت اسم «الصحوة»، والذي زادت قوته خلال الثمانينيات حتى قام بمواجهة علنية مع النظام في بداية التسعينيات.

ثانياً: تفسير حركة جهيمان

خضعت حركة جهيمان إلى العديد من التحليلات والدراسات العميقة والتبسيطية. أحد التفسيرات الذي كان يُسمع ـ بصورة خاصة من المسؤولين السعوديين في ذلك الوقت ـ هو أن حركة جهيمان كانت نتيجة تأثير أيديولوجي خارجي، وتحديداً من الجماعات المصرية مثل «جماعة المسلمين» التابعة لشكري مصطفى والمشهورة [إعلامياً] بـ «التكفير والهجرة». هذه الادعاءات تستند إلى حقيقة أن العديد من الناس الذين قبض عليهم بعد انتهاء التمرد(*)، كانوا مواطنين مصريين، بما في ذلك ١٠ من الـ ٦٣ الذين أعدموا. حقاً، ومن دون شك، لقد كان هناك أعضاء من جماعة «التكفير والهجرة» يعيشون في السعودية أواسط السبعينيات(٧٢). ولكن يصر الحزيمي أن العنصر المصري في «جسم» كان هامشياً، وأن معظم المصريين المعتقلين انضموا إلى التمرد بالضبط قبيل احتلال المسجد الحرام. كما يعترف أنه في ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧، كان هناك بضعة أشخاص في «جسم» يعتنقون الفكر التكفيري، ولكنهم غيّروا آراءهم بعدما جلس الشيخ الألباني معهم في إحدى زياراته وأقنعهم بخلاف ذلك(٧٣). أهم تأثير أيديولوجي أجنبي على «جسم» لم يأتِ من الجماعات المصرية الإسلامية المتطرفة، ولكن من تفكير مدرسة «أهل الحديث» التي يتبناها الألباني. وإذا كانت ثمة علاقات لـ «جسم» مع جماعات أجنبية، فإنها كانت في الأساس والمقام الأول مع جماعة «أهل الحديث» الباكستانية(**)، وجماعة «أنصار السنة المحمدية» المصرية،

(*) يشير ياروسلاف تروفيموف في كتابه **حصار مكة** (ص ٢٤٠ ـ ٢٤١)، إلى أن التحقيقات بعد إنهاء التمرد كشفت عن وجود اثنين من الأمريكيين السود اللذين اعتنقا الإسلام في أمريكا وتطرفا في السعودية ضمن المتمردين. طالع الملحق الرقم ٢. (المترجم).

(**) جماعة «أهل الحديث» الباكستانية: أقدم الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية، قامت على الدعوة في اتباع الكتاب والسنة وفهمهما في ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وتقديمهما على كل قول وهدي سواء كان في العقائد أو العبادات أو =

وكلتاهما حركتان لا تتعاطيان السياسة ولا تؤمنان بالعنف. ولذلك، فإن هذه العلاقات الأجنبية لا تشرح بأي طريقة التطرف السياسي وراديكالية حركة جهيمان الذي يجب أن نفهم حركته كظاهرة سعودية محلية.

ومن ضمن تفسيرات حادثة مكة التي يمكن العثور عليها في الكتابات الأكاديمية، هي وجهة نظر تقول إن تمرد جهيمان في جوهره يعتبر إعادة حديثة لتمرد الإخوان في العشرينيات[٧٤]. وبكل تأكيد، فقد تركت ذكريات تمرد الإخوان الأصلي تأثيراً عميقاً على جهيمان الذي كان يحب أن يحكي قصص والده عن ذلك التمرد خلال اجتماعات «جسم». كما إن رسائل جهيمان تحتوي على بعض فقرات تشير إلى تمرد الإخوان الأصلي حيث كتب على سبيل المثال:

> «أريد أن أزيل كل الشكوك بخصوص «الإخوان» الذين جاهدوا في سبيل الله وكانوا مخلصين في ذلك، بينما هذه الدولة وعلماؤها الشياطين اعتبروهم خوارج لدرجة أنك تجد أناساً الآن لا يفهمون هذه القضية ولا يدعون بالرحمة لأولئك المجاهدين[٧٥]»

ولكن العديد من أعضاء «جسم» لم يكونوا بدواً، والعديد من الأعضاء البدو لم يكونوا ينتمون إلى تلك القبائل العريقة في ثورة الإخوان الأولى، ولذلك سيكون من التبسيط المخلّ اعتبار تمرد جهيمان مجرد إحياء ثأر قبلي ضد آل سعود.

= المعاملات أو الأخلاق أو السياسة والاجتماع على طريقة الفقهاء المحدثين، ومحاربة الشركيات والبدع والخرافات بأنواعها؛ ففي عام ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦م، قرر علماء أهل الحديث برئاسة شيخ الإسلام أبي الوفا ثناء الله الأمرتسري (تـ ١٣٦٧هـ) تشكيل جمعية رسمية لهم تقوم على نشر الدعوة على منهج الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، ومقاومة الحركات الهدامة ومواجهة تحديات العصر تحت اسم «مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند»، وعين شيخ الإسلام أبو الوفا ثناء الله الأمرتسري، قامع الفتنة القاديانية وصاحب التصانيف الكثيرة في الدفاع عن الإسلام أميناً للجمعية، وانتخب المحدث العلامة عبد الله الغازيفوري (تـ ١٣٣٧هـ) رئيساً للجمعية؛ فغطت جهودهما الهند وقراها. وفي عام ١٩٤٧، انقسمت شبه القارة الهندية إلى الهند وباكستان، فضعفت حركتهم لفترة ما وفقدوا بسبب ذلك أكبر مؤسسة تعليمية لهم (دار الحديث الرحمانية) بـ دلهي، فسارعوا إلى تشكيل الجمعية من جديد في كلتا الدولتين مستعيدين قوتهما. (نقلاً عن www.saaid.net)؛ للمزيد عن هذه الحركة أنظر أيضاً: الفصل الثاني. (المترجم).

ولذلك يمكن القول إن الفخر بثورة الإخوان الأصلية لا يشكل سوى جانب هامشي وثانوي من رسالة الجماعة. وبالرغم من مواقفها الرجعية، إلا أن كلاً من «جسم» و«إخوان جهيمان» كانا في جوهرهما ظاهرة حديثة ينبغي أن تفهم في سياق سعودية السبعينيات، أي مجتمع يمر بمرحلة تغيير [أي تحديث] اجتماعي/ اقتصادي سريع، وعملية تسييس راسخة.

تفسير آخر يسمع بكثرة أن جهيمان وأتباعه كانوا يؤمنون بنهاية الزمان الوشيكة، وانجرفوا بعيداً في اعتقادهم بظهور المهدي حتى فقدوا إحساسهم بالعقلانية السياسية. ولكن يبدو من الواضح نسبياً الآن، أن اعتقاد جهيمان الشخصي بالمهدي كان أصلياً وصادقاً، وأن هذا كان حقاً عنصراً رئيساً خلف احتلال المسجد الحرام. وفي الوقت نفسه، يصر ناصر الحزيمي أن بعض رفاق جهيمان لم يؤمنوا بذلك البعد القياموي في أيديولوجية جهيمان. ولكن هؤلاء الأشخاص اختاروا أن يبقوا في الجماعة لأنهم شعروا بالولاء لجهيمان بسبب كاريزميته القوية وأيضاً الولاء للجماعة، أو لأنهم كانوا مقتنعين بجوانب أخرى من أيديولوجيته، مثل الحاجة لتنقية المجتمع دينياً وأخلاقياً[٧٦]؛ فضلاً على ذلك، فإن تقليص «إخوان جهيمان» إلى مجرد طائفة «قياموية» يعني تجاهل البعد السياسي في خطاب جهيمان، إضافة إلى قضية كيف استطاعت تلك الحركة أن تجمع تلك القوة في ذلك الوقت تحديداً. ولذلك ينبغي، كما يبدو، أن نفهم حركة جهيمان على أساس أنها قياموية وسياسية في الوقت نفسه.

تفسير أخير فضّله اليساريون العرب في وقت الحادثة، هو أن تمرد مكة كان يمثل «تمرداً شعبياً» ثارت فيه الطبقة السعودية العاملة المحرومة ضد النخبة السعودية الثرية. وبعد أيام من تلك الحادثة عبّر حزب العمل الاشتراكي العربي في الجزيرة العربية عن مساندته للمتمردين، وبعد فترة وجيزة وصف ناصر السعيد[*]، القائد التاريخي لـ «إتحاد شعب الجزيرة»

(*) ناصر السعيد: (١٩٢٣ ـ ؟؟؟؟) معارض يساري لنظام الحكم في السعودية. ولد ناصر السعيد في مدينة حائل شمال وسط الجزيرة العربية عام ١٩٢٣. انتقل إلى الظهران عام ١٩٤٧ للعمل مع شركة أرامكو وشارك في سلسلة من الإضرابات العمالية للمطالبة بتحسين ظروف العمال المعيشية والسكنية. وفي عام ١٩٥٣ قاد ناصر مظاهرة للعمال، وتم اعتقاله وأرسل إلى سجن العبيد في الإحساء، ثم أفرج عنه لاحقاً. وفي عام ١٩٥٦، هرب ناصر من حائل إلى مصر بعدما وصلته معلومة =

العربية، الهجوم أنه جزء من «ثورة شعبية» تهدف إلى تأسيس جمهورية وتبنّي إصلاحات ديمقراطية(٧٧).

لقد ادّعى أن هناك قتالاً يجري في مناطق أخرى مثل تبوك والمدينة ونجران وأجزاء من نجد، وهذه هي الرواية التي اعتمدها ألكسي فاسيلييف من ضمن آخرين(٧٨). هذا الزعم من ناصر السعيد بدا مفصلاً لدرجة أنه لفت انتباه السلطات السعودية. وفي ١٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩، اختفى ناصر السعيد في بيروت ولم يظهر بعدها مطلقاً. اليوم يبدو من الواضح أن مزاعمه لم تكن حقيقية(٧٩). ولكن اليساريين كانوا مصيبين ـ إلى حدّ معيّن ـ عندما أشاروا إلى أن المتمردين كانوا في الغالب فقراء ومحرومين. وكما ذكرنا سابقاً، جذبت جماعة «إخوان جهيمان»، و«جسم» قبلها، معظم أعضائها من الشرائح المهمشة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً في المجتمع السعودي، وبخاصة القبائل المستقرة حديثاً، والمقيمين من أصل أجنبي.

وكما لاحظتم في هذا النقاش، لا يوجد تفسير مبسّط لظهور حركة جهيمان. الخطوة الأولى والمهمة في التحليل هي التمييز بين «جسم» من جهة، و«إخوان جهيمان» من جهة أخرى. انبثاق «جسم» يبدو أنه مرتبط بثلاثة تغييرات اجتماعية مهمة في السعودية في الستينيات والسبعينيات. **التغير الأول**، كان الاندفاع الراسخ والبطيء نحو المزيد من التشدد والمحافظة الاجتماعية من قبل مؤسسة دينية شعرت أنها بدأت تفقد سيطرتها بصورة متزايدة على مجتمع بدأ يتجه [عفوياً] إلى التحرر(*). **التغير الثاني**، كان وصول تيارات أيديولوجية جديدة وفرت بدائل للنظام السياسي

= عن صدور أمر بالقبض عليه. أشرف ناصر السعيد على برامج إذاعية معارضة للحكم السعودي في إذاعة «صوت العرب» في مصر، ثم انتقل إلى اليمن الجنوبي عام ١٩٦٣، وانشأ مكتباً للمعارضة هناك. أسس ناصر «اتحاد شعب الجزيرة العربية». انتقل بعدها إلى دمشق ثم إلى بيروت التي اختطف فيها في ١٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩، ولم يظهر حتى الآن. ألّف عدة كتب. قيل إن الممثل الأمريكي يول براينر (١٩٢٠ ـ ١٩٨٥)، جسد شخصية ناصر السعيد في فيلم أمريكي أنتج عام ١٩٦٢، بعنوان **«الهروب من زهرين»** (Escape from Zahrain) المقتبس من رواية بعنوان **«موعد في زهرين»** (*Appointment in Zahrain*) للكاتب مايكل باريت، طالع أفيش الفيلم في الملحق الرقم ٧. (المترجم).

(*) التحرر: ترجمنا ليبرال (Liberal) إلى تحرر. ولا يبدو أن المقصود هنا مصطلح «الليبرالية» سيء السمعة لدى التيار الإسلامي «حاليا» بل المقصود بدايات التنمية أو التطوير التحديثي (التلفزيون، الإذاعة، المسابقات الرياضية، تعليم المرأة، إلخ). والله أعلم. (المترجم).

والديني السائد. **التغير الثالث**، نتج عن التفاعلات الاجتماعية/ الاقتصادية الحرجة الناتجة من عملية التحديث السريع للسعودية.

بالنسبة إلى انبثاق «إخوان جهيمان»، يبدو أنه اتبع نمطاً كلاسيكياً لما يمكن أن نسميه «تطرف جماعي» حيث ينفصل فصيل صغير من المجموعة الأكبر حجماً والأكثر اعتدالاً بعد عملية تسييس ونقاش داخلي محتدم. بعد الانفصال، فإن سلوك الفصيل المتطرف يمكن تحديده عبر الأيديولوجيا والقيادة الكاريزمية أكثر من العناصر البنيوية، والاقتصادية/ الاجتماعية، والسياسية.

ثالثاً: إرث جهيمان

لقد افترض منذ وقت طويل أن جهيمان العتيبي وحركته يمثلان ظاهرة استثنائية قصيرة وأن تأثيرهما على التاريخ اللاحق للإسلام الحركي في السعودية كان محدوداً للغاية. ولكن، وكما سنرى، هناك شواهد عديدة أن ذكرى جهيمان حُفظت وبقيت حية في بعض دوائر الإسلاميين حتى اليوم، وأن أيديولوجيته ألهمت محاولات دورية لإحياء حركته.

الشخص الأكثر أهمية من خلفاء جهيمان فكرياً هو أبو محمد المقدسي المولود في عام ١٩٥٩، في الأردن وهو منظّر إسلامي راديكالي من أصل فلسطيني ولد(*) ونشأ في الكويت؛ وفي بداية الثمانينيات، بدأ بزيارة دوائر

(*) بل ولد أبو محمد المقدسي، في قرية «برقة» الفلسطينية. واسمه الكامل هو أبو محمد عاصم بن محمد بن طاهر البرقاوي مولداً، المقدسي شهرةً، الحافي ثم العتيبي نسباً. من قرية برقة من أعمال نابلس ولد فيها عام ١٣٧٨هـ الموافق ١٩٥٩م، وإليها نسبته بـ البرقاوي لا إلى برقا فرع عتيبة، فهو من فرع الحافي من الروقة في عتيبة. ترك فلسطين بعد ثلاث أو أربع سنين من ولادته ورحل مع عائلته إلى الكويت حيث مكث فيها إلى أن أكمل دراسته الثانوية. المصدر: أطروحة دكتوراه للباحث الهولندي د. بواس واخيماكيرس التي نشرت بالإنكليزية مؤخراً في كتاب بعنوان «الجهادي العلمي: أيديولوجية وتأثير أبو محمد المقدسي»، ٢٠١٢، مطبعة جامعة كامبريدج. وكذلك للتأكد إيميل من د. واخيماكيرس إلى المترجم بتاريخ ١٣ أغسطس ٢٠١٢. وقد شكك بعض خصومه بنسبته لعتيبة. ووصف «العلمي» في عنوان كتاب د. واخيماكيرس هو ترجمة لمصطلح حديث جدا هو (Quietist) ابتكره الباحث الأمريكي الخبير بالحركة السلفية كوينتان فيكتوروفيتش ويعني لغويا «الهادئ» ولكن لا توجد له ترجمات إصطلاحية سائدة وقدم المؤلف في إيميله للمترجم مثلين لمن ينطبق عليه هذا المصطلح: الشيخ ابن باز والشيخ الألباني رحمهما الله وأضاف المؤلف إنه يقصد الشخص المنشغل بالعلم وليس بالصراعات السياسية بما في ذلك الإنتخابات البرلمانية، ولذلك يمكن ترجمته ليكون: غير سياسي (لاسياسي) أو =

الإسلاميين بكثرة في الكويت حتى التقى بفرع «جسم» المحلي الذي زاد حجمه بعد وصول بقايا «جسم» السعودية في عام ١٩٨٠[٨٠]. لقد أصبح صديقاً لعبد اللطيف الدرباس رفيق جهيمان السابق والذي عاد من السعودية بعد إطلاق سراحه من السجن[٨١]. وفي عام ١٩٨١ أو ١٩٨٢، سافر المقدسي إلى المدينة لدراسة الدين واستطاع في الفترة التي قضاها هناك أن يتعرف على العديد من المتعاطفين مع جهيمان سابقاً.

كتابات المقدسي كانت متأثرة بشدة بأيديولوجية جهيمان واحتوت على العديد من الإشارات إلى جهيمان[٨٢]. ولكن المقدسي كان أكثر راديكالية وتطرفاً من جهيمان في العديد من القضايا. ولعل أكثرها أهمية أن المقدسي لم يتردد مطلقاً في تكفير الحكام المسلمين. وفي عام ١٩٨٩، ألف المقدسي كتاب **الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية**، الذي أشاد فيه بجهيمان وأضاف قائلاً: «للأسف، إن جهيمان اعتبر التمرد ضد هؤلاء الحكام مهما فعلوا مخالف للدين، وللأسف الشديد اعتبر هذه الدولة مسلمة»[٨٣].

أبو محمد المقدسي، لم يبقَ مع «جسم» لمدة طويلة لأنه كان يجادلهم حول قضية التكفير. وبدلاً من إكمال الدراسة، سافر إلى بيشاور في عام ١٩٨٥، لينضم إلى الأفغان العرب ويصبح بالتالي أهم منظِّر لما يسمى بـ حركة «السلفية الجهادية». ولكنه حافظ على إعجابه بجهيمان، وفي أواخر الثمانينيات سافر بصورة منتظمة إلى السعودية حيث كان يزور أصدقاء جهيمان السابقين في صحراء السعودية[٨٤]. وفي بداية التسعينيات، غادر المقدسي بيشاور واستقر في الأردن، حيث أصبح الزعيم الروحي لجماعة أردنية متطرفة تستعمل العنف، وتم سجنه في عام ١٩٩٥، ولكنه واصل الكتابة والتأليف من زنزانته.

= تقليدي، أو علمي وهي ترجمات غير دقيقة في نظرنا لأنها لا تنطبق تماماً على المقدسي. وربما كانت أقرب ترجمة لقصد المؤلف «علمي» أو «لاسياسي» مع تحفظي على دقة المصطلح. ولفت نظري إشارة د. واخيماكيرس إلى أن المقدسي فضل مؤخرا تغيير اسمه الأول من (عصام) إلى اسم مقارب له أصل إسلامي هو (عاصم) وبرر المقدسي للمؤلف ذلك لسببين: عصام لم يكن معروفا في صدر الإسلام، كما إنه اسم يمكن أن يطلق على المرأة. وهذه المرونة في تغيير الإسم قد تدعو لوضع علامة استفهام في نسبته لعتيبه وهو النسب الذي اعتمده واخيماكيرس بدون تمحيص في أطروحته عن المقدسي. (المترجم).

ولاحقاً(*)، جذب المقدسي انتباهاً شديداً بعدما انتقد علانية عمليات تلميذه السابق أبي مصعب الزرقاوي(**) التي نفذها في العراق.

لقد شهدت بداية التسعينيات إحياءً لأفكار جهيمان في دوائر إسلامية حركية محددة في السعودية. مؤلفا هذا الكتاب علما عن وجود جماعة صغيرة لإسلاميين سعوديين شباب في الرياض في بداية التسعينيات كانوا يعتبرون أنفسهم امتداداً لحركة جهيمان[٨٥]. هذه الجماعة تشكلت في جوهرها حول ثلاثة أو أربعة أشخاص في بداية العشرينيات من عمرهم وكانوا يعتبرون المجتمع بصورة عامة، وتعليم الدولة بصفة خاصة، فاسدين[٨٦]. لقد انفصلوا عن أسرهم واستقروا في شقة في حي شبرا في منطقة السويدي في الرياض، حيث كانوا يتعلمون الدين بأنفسهم في هذه الشقة. شقتهم هذه كانت تهدف لاستعادة فكرة «بيت الإخوان»، وكانت تسمى بـ «بيت شبرا»، وأصبحت بسرعة مركز تجمّع للشباب الذي يحملون

(*) أي وقت إنهاء هذا البحث عام ٢٠٠٦.

(**) أبو مصعب الزرقاوي (١٩٦٦ ـ ٢٠٠٦)، هو السلفي الجهادي الأردني أحمد فاضل آل نزال الخلايلة من عشيرة بنى الحسن التى تنتمى لقبيلة طيء. سافر إلى أفغانستان فى ثمانينيات القرن العشرين للجهاد ضد الإحتلال السوفيتي، ثم عاد إلى الأردن وقبض عليه ليقضي ٧ سنوات فى السجون الأردنية، واشتهر بعد ذهابه الى العراق للجهاد ضد الإحتلال الأمريكي. أسس «جماعة التوحيد والجهاد» في العراق. تحمل الزرقاوي المسؤولية، عبر تسجيلات صوتية وأشرطة فيديو عديدة، عن العديد من أعمال العنف الوحشية في العراق بما في ذلك التفجيرات الانتحارية العشوائية داخل المدن التي كانت تؤدي لمقتل بعض المسلمين الشيعة الأبرياء، وكذلك عمليات إعدام رهائن وحشية بقطع الرأس. وفي أواخر عام ٢٠٠٤ التحق رسميا بتنظيم القاعدة، وبايع أسامة بن لادن. بعد هذا أصبحت «جماعة التوحيد والجهاد» تعرف باسم «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين»، وحصل الزرقاوي على لقب «أمير تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين». نفذ عمليات عنف وقتل وحشية اعتبرت سيئة السمعة حتى عند قيادة تنظيم القاعدة في أفغانستان التي قيل أنها تبرأت من أعماله. أرسل الزرقاوي العديد من الانتحاريين في جميع أنحاء العراق لمهاجمة الجنود الأميركيين وكذلك المناطق التي تضم تجمعات كبيرة من الشيعة. وهو مسؤول أيضا عن عملية تفجير ثلاثة فنادق في عمّان، الأردن، في عام ٢٠٠٥ والتي أدت لمقتل المخرج السينمائي السوري العالمي مصطفى العقاد، رحمه الله، الذي أخرج فيلمي «الرسالة» و«عمر المختار». اغتالته قنبلة من طائرة أمريكية في ٧ يونيو ٢٠٠٦. وصفت الحكومة الأمريكية مقتله بأنه «انتصار مهم فى الحرب على الإرهاب». يعتبر إرثه الفكري بعد أن اغتاله الأمريكان محل خلاف لدى بعض الإسلامين السنة فهناك من من يترحم عليه باعتباره مجاهدا ضحى بحياته في سبيل الله وهناك من يعتبره مجرما وإرهابيا شوه صورة الإسلام والمسلمين وهناك من يتوسط هذين الرأيين قائلاً إنه أصاب في قتال الأمريكيين وأخطأ بل أجرم في قتل المسلمين الشيعة. (المترجم).

الفكر نفسه. وبالرغم من أنه ٥ ـ ١٠ أشخاص فقط كانوا يعيشون في هذه الشقة في معظم الأوقات، إلا أن آخرين عديدين كانوا يحضرون الدروس غير الرسمية أو يأتون للزيارة والتعارف.

سكان «بيت شبرا» لم يعتبروا أنفسهم جزءاً من تنظيم ولكن مجرد طلبة علم. ومن وجهة نظرهم فإن المعرفة التي يسعون إليها ليست متوافرة عند عدد من مشايخ المؤسسة الدينية الذين كانوا يعتبرونهم فاسدين، وليست موجودة أيضاً عند زعماء الصحوة الذين كانوا يعتبرونهم مسيَّسين أكثر من اللازم. وبدلاً عن ذلك، كانوا يقرأون كتابات جهيمان والمقدسي وبعض علماء الوهابية في القرن التاسع عشر، مثل سليمان بن عبد الله آل الشيخ(*). سكان «بيت شبرا» كانوا معجبين كثيراً بجهيمان ويعتبرون أنفسهم خلفاءه الأيديولوجيين. ونظراً إلى صغر أعمارهم لم يكونوا قد عاصروا جهيمان شخصياً، ولذلك بحثوا عن أعضاء «جسم» السابقين في أنحاء مختلفة من البلد وبخاصة في الصحراء[87]. كما قاموا بدعوة أعضاء «جسم» السابقين الموجودين بالرياض ليحاضروا في «بيت شبرا». كما زار أبو محمد المقدسي بنفسه هذه الشقة خلال إحدى زياراته للسعودية[88]. سكان «بيت شبرا» تبنّوا أفكار «جسم» المتطرفة عن المجتمع مع تركيز قوي على أمور الشعائر، إضافة إلى التشكك تجاه الدولة ومؤسساتها. ولكن أفكار جهيمان «القيامويّة» عن المهدي لا يبدو أنها كانت مهمة بالنسبة إلى سكان «بيت شبرا» بالرغم من أن بعض سكانه كانوا يواصلون الاعتقاد أن المهدي لم يقتل في عام ١٩٧٩.

ولكن مع مرور الوقت، أصبحت جماعة «بيت شبرا» تهتم أكثر وأكثر بالسياسة، وفي النهاية اتخذ بعض أعضائها مواقف أكثر راديكالية من

(*) سليمان بن عبد الله آل الشيخ: هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب حفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب وناشر مذهبه. ولد بالدرعية عام ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥ م). كان بارعاً في التفسير والحديث والفقه. قتله جنود إبراهيم باشا بن محمد علي عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٨م) بعد دخول إبراهيم باشا الدرعية واستيلائه عليها. ألف العديد من الكتب منها: **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد** (مات قبل أن يكمله)، **وأوثق عرى الإيمان**. ونسب إليه كتاب **التوضيح عن توحيد الخلّاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**. (المترجم).

جهيمان في العديد من المسائل. وبالرغم من أن جماعة «بيت شبرا» كانت في البداية متقوقعة وسلبية سياسياً، إلا أنها لم تقدر على تجنُّب النقاشات السياسية/ الدينية التي كانت سائدة في السعودية في بداية التسعينيات، وهو الوقت الذي كانت فيه المواجهة بين تيار الصحوة والدولة في ذروتها. عملية التسييس هذه نتج منها عدة خلافات، **الأول** (١٩٩٢) حول قضية تكفير الحكام، **والثاني** (١٩٩٤) حول قضية تكفير المؤسسة الدينية. وفي النهاية تفككت شبكة «بيت شبرا» إلى عدة فصائل سلك كل منها طريقه الخاص. ولكن تورُّط بعض أعضاء «بيت شبرا» السابقين في تفجيرات الرياض عام ١٩٩٥، قاد الشرطة إلى محاولة القبض على كل أعضاء الشبكة. ونجح بعض الأعضاء في الهروب والحصول على ملجأ آمن مع البدو أنفسهم الذين تعرّفوا عليهم سابقاً بسبب إعجابهم بجهيمان. الآخرون تأثروا بتجربة السجن بطرق مختلفة: بعضهم أصبحوا أكثر راديكالية (وذهب العديد منهم إلى أفغانستان)، بينما بدأ آخرون في رحلة البحث عن الذات والحقيقة واستمروا فيها حتى أصبحوا مثقفين ليبراليين[!!][*].

«بيت شبرا» كان مجرّد واحد من ضمن العديد من دوائر الدراسة المماثلة التي بزغت عبر المملكة في ذلك الوقت. وبالرغم من أن هذه المجموعات بقيت هامشية نسبياً مقارنة بالصحوة التي كانت في ذروتها في ذلك الزمن، إلا أن وجودها يقدم استنتاجين جديدين عن حركة الإسلام السياسي السعودية في بداية التسعينيات. **الأول**، هو أن أيديولوجية ومثال جهيمان كان لا يزال يتمتع بجاذبية كبيرة عند بعض الشباب السعودي بعد عشر سنوات من حادثة مكة. **والثاني**، هو أن الصحوة لم تكن تستطيع أن تحتكر حقل الإسلام الحركي في السعودية. سكان «بيت شبرا» تجنّبوا التعاون مع زعماء الصحوة حيث كانوا يعتبرونهم سياسيين أكثر من اللازم وسعوا إلى المعرفة والإلهام من تعاليم فكرية مختلفة. ومن ضمن الجماعات المتأثرة بحركة جهيمان، يعتبر «بيت شبرا» الأكثر إثارة تاريخياً لأن العديد من أعضائه، لاحقاً، أصبحوا شخصيات معروفة. بعض سكانه

(*) من العسير الموافقة مع زعم المؤلفين الظاهري هنا، في أن البحث عن الذات والحقيقة يؤديان إلى الليبرالية. (المترجم).

أصبحوا كتّاباً ليبراليين مرموقين مثل مشاري الذايدي وعبد الله العتيبي، بينما آخرون اشتهروا كمحاربين. خرّيجو «بيت شبرا» يشملون ثلاثة من بين أربعة أشخاص أُدينوا في تفجير الرياض في تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٩٥، إضافة إلى بعض المحاربين المشهورين المتورطين في التفجيرات الإرهابية التي بدأت في السعودية عام ٢٠٠٣[٨٩].

النتيجة: جهيمان والتيار الرفضي في السعودية

تفيد دراسة إرث جهيمان إلى أن تأثير جهيمان على تطور حركة الإسلام السياسي السعودية أعظم مما كان يفترض. وبالإضافة إلى ذلك، فقد سمحت لنا هذه الدراسة بأن نتعقب جذور وتطور تيار فكري معيّن داخل حركة الإسلام السياسي السعودية، وهو تيار يرفض قطعياً شرعية الدولة ومؤسساتها، ويدعو إلى الانسحاب عن فضاء الدولة، هذا التيار الفكري يمكن تسميته بـ «التيار الرفضي». حركة الإسلام السياسي الرفضي السعودية تماثل بعض الشيء جماعات إسلامية أخرى كانت صفتها الغالبة هي الانسحاب من المجتمع مثل جماعة المسلمين (التكفير والهجرة) في مصر بزعامة شكري مصطفى. ولكنها في المقام الأول والأهم ظاهرة سعودية ينبغي فهمها داخل ديناميكيات المشهد السياسي/ الديني السعودي. وبالرغم من أن «جسم» وشبكة «بيت شبرا» كانتا بلا شكّ اثنتين من أكثر الأشكال وضوحاً وتسييساً لهذا التيار من الحركة الإسلامية، فإن هناك جماعات مرتبطة بفكر هذا التيار وجدت، ولا تزال توجد في السعودية[٩٠].

أيضاً، إن تصنيف وتعريف تيار رفضي في الحركة الإسلامية السعودية يجعل من السهل التفريق بينه وبين الظاهرة المعروفة بـ «الحركة الإسلامية الإصلاحية» المعروفة بـ «الصحوة» على سبيل المثال. حركة الصحوة تكونت من أكاديميين مرموقين كانوا مندمجين تماماً في نظام الدولة، بينما الحركة الرفضية جذبت المهمّشين وتجنّبت التعليم والعمل الحكوميين. كما إن التيارين يختلفان بوضوح في موقفهما تجاه الدولة: إسلاميو الصحوة مثل سلمان العودة لم يشككوا مطلقاً في شرعية الدولة بصورة علنية، ولكنهم انتقدوا بقوة، وأحياناً بقسوة، سياساتها التي ناضلوا لتغييرها بوسائل مؤسساتية سلميّة.

كما شهدت الثمانينيات بزوغ تيار ثالث في حركة الإسلام السياسي السعودية، وهو «التيار الجهادي»، الذي تعود جذوره إلى مشاركة آلاف الشباب السعودي في الجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفياتي، هؤلاء الجهاديون حصلوا على ثقافة عسكرية متطوّرة جعلتهم مختلفين عن باقي التيارات الإسلامية. كما كانوا مهتمين علانية وبوضوح بالسياسة بعكس «التيار الرفضي». ولكنْ الجهاديون السعوديون تسيّسوا وتطرفوا في البداية في قضايا السياسة الدولية وليس في السياسة المحلية كنظرائهم في الدول الأخرى. وفي عام ١٩٩٠، لم يكن الجهاديون السعوديون قد كشفوا مناهضتهم للدولة السعودية علانية.

في النصف الأول من التسعينيات، بدأ الجهاديون والرفضيون في الاختلاط، كما أشرنا سلفاً لحالة سكان «بيت شبرا» بالرياض. وبالرغم من كونهما يمثّلان ثقافتين مختلفتين، حيث كان الرفضيون هم رجال التفكير، بينما الجهاديون كانوا رجال العضلات والفعل، إلا أن آراءهم تلاقت في العديد من القضايا المهمة. والأهم من ذلك هو أن كلاًّ منهما أثر على الآخر، حيث أصبح العديد من الرفضيين أكثر اهتماماً بالسياسة، بينما اعتنق الجهاديون فكرة كراهية الدولة السعودية. وفي أواخر التسعينيات انضم العديد من الرفضيين إلى الجهاديين وغادروا إلى أفغانستان أو أماكن أخرى. وفي بداية العشرية الأولى(*) من القرن الحادي والعشرين، أدى الاستقطاب المتزايد في الحقل الإسلامي الحركي السعودي بين الإصلاحيين والجهاديين إلى إقصاء الرفضيين. وهكذا أفل إرث جهيمان الأيديولوجي بصورة فعلية، ولكن ذكرى تمرّده بقيت أكثر من أي وقت مضى.

(*) العشرية الأولى: أي ٢٠٠١ ـ ٢٠١٠. (المترجم)

هوامش الفصل الأول

(١) هناك عدة أسباب جعلتنا نستعمل جهيمان وليس العتيبي؛ فمعظم المقالات الأكاديمية التي قرأناها تستخدم الاسم الأول. وهناك أيضاً العُرف، وهذا العُرف ناتج من أن معظم السعوديين يشيرون إليه بالاسم الأول، وهذا يعود جزئياً إلى أن جهيمان اسماً ليس شائعاً، بينما العتيبي شائع جداً.

(٢) لرواية كاملة وموثوقة للحصار، راجع كتاب **بروج مشيّدة: القاعدة والطريق إلى ١١ سبتمبر**، لورنس رايت، كنوبف للنشر، ٢٠٠٦.

(٣) المؤلفات الرئيسة عن تاريخ السعودية تذكر جهيمان بصورة موجزة جداً. انظر: مثلاً: ألكسي فاسلييف، **تاريخ العربية السعودية** (لندن، الساقي، ٢٠٠٠)؛ انظر أيضاً: مضاوي الرشيد «تاريخ العربية السعودية»، وهناك القليل جداً من الكتب الأكاديمية الإنكليزية التي ناقشت هذه الظاهرة بتفاصيل أكثر، ولكن معظمها كانت تعتمد على مصادر ثانوية.

(٤) ربما كان الكتاب الأشهر هو لرفعت سيد أحمد بعنوان **رسائل جهيمان العتيبي، قائد المقتحمين للمسجد الحرام بمكة**. كما صدر كتاب مثير بعنوان **ثورة في رحاب مكة** لمؤلف يساري استعمل اسماً مستعاراً هو أبو ذرّ، وطبع لأول مرة في مجلة **صوت الطليعة** في نيسان/ أبريل ١٩٨٠، بعنوان **أحداث الحرم بين الحقيقة والأباطيل**. كما قامت المعارضة السعودية الشيعية بلندن بإصدار عدة كتب: **انتفاضة الحرم** (لندن: منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، ١٩٨١)، والذي نشرته أولاً في مجلتها قبل أن ينشر ككتاب. وأيضاً أصدرت المعارضة الشيعية كتاب **زلزال جهيمان في مكة** باسم فهد القحطاني وهو اسم مستعار للمعارض الشيعي السعودي حمزة حسن، المقيم في لندن. وهناك كتاب آخر للشيخ المصري عبد العظيم المطعني بعنوان **جريمة العصر: قصة احتلال المسجد الحرام برواية شاهد عيان** (القاهرة: دار الأنصار، ١٩٨٠).

(٥) انظر: جريدة **الرياض**: ١٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٣. ١٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٣.

٩ أيار/ مايو ٢٠٠٤. ٦أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤؛ انظر أيضاً: مقالات مشاري الذايدي في **الشرق الأوسط** بتاريخ ٢٤ و٢٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٤؛ أيضاً عادل الطريفي، الرياض، بتاريخ ١٠ و١٣ آذار/ مارس ٢٠٠٤.

(٦) انظر: مقالة «تيار الإسلامو ـ ليبيرالين الإصلاحي في السعودية»، ستيفان لاكروا، **ميدل إيست جورنال** ٥٨، (٢٠٠٤)، ص ص٦٥ ـ ٣٤٥.

(٧) هذا البحث كشف، على سبيل المثال، أن حمزة الحسن كتب **زلزال جهيمان في مكة** بناء على مقابلات مع عضوين سابقين في«جسم» بخلاف الحزيمي. كما استنتجنا أن أبا ذر مؤلف **ثورة في رحاب مكة** ليس اسماً مستعاراً لكاتب إسلامي كما كنا نعتقد سابقاً، ولكنه اسم مستعار لناشط يساري في حزب البعث السعودي. وبحسب حمزة الحسن، فإن تحليلات أبي ذر ناتجة من حقيقة وجوده في العراق واطلاعه على معلومات استخباراتية. (المصدر: مقابلة مع حمزة الحسن، لندن، شباط/ فبراير ٢٠٠٦).

(٨) تعريف كل من السلفية والوهابية موجود في **الفصل الثاني** من الكتاب.

(٩) في هذا الكتاب ينبغي فهم مصطلح الإسلام السياسي بمعناه العريض كحركية إسلامية موجهة نحو الدولة أو المجتمع.

(١٠) انظر بحث: ستيفان لاكروا وتوماس هيغهامر، **خلفية العربية السعودية: من هم الإسلاميون؟** (بروكسل: مجموعة الأزمة الدولية، ٢٠٠٤).

(١١) انظر: فاسيلييف، **تاريخ العربية السعودية**، ص ٢٧٢.

(١٢) انظر: لاكروا وهيغهامر **خلفية العربية السعودية**، مصدر سابق.

(١٣) عبد العزيز بن باز (١٩٠٩ ـ ١٩٩٩) هو المفتي العام للسعودية من عام ١٩٩٣، حتى وفاته في عام ١٩٩٩، ويعتبر أشهر وأهم عالم في المؤسسة الدينية الوهابية في القرن العشرين.

(١٤) الأعضاء المؤسسون، كانوا يشملون سليمان الشتوي وسعد التميمي. (المصدر: مقابلات مع ناصر الحزيمي، الرياض، نيسان/ أبريل ٢٠٠٤، و نيسان/ أبريل ٢٠٠٥).

(١٥) جماعة التبليغ هي جماعة دينية دعوية لاسياسية تأسست في الهند في أواخر القرن التاسع عشر. كانت تتمتع بشعبية بين الشباب السعودي في السبعينيات ولكن انتقدها علماء الوهابية لأنها لا تلتزم بالعقيدة الوهابية تماماً حيث وصفوا بأنهم صوفيون.

(١٦) أبو بكر الجزائري ولد في عام ١٩٢٩، في جنوب الجزائر. حيث تردد على المجالس الدينية المقرّبة من الشيخ عبد الحميد بن باديس قبل أن يغادر بلده ويستقر في السعودية عام ١٩٥٢. عمل أستاذاً في الجامعة الإسلامية بالمدينة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢، حتى تقاعده عام ١٩٨٦. عرف في الدوائر السلفية بأنه قريب من جماعة التبليغ، ما قد يفسر الاهتمام الذي وجده في حركة «جسم» كنوع من الدعوة على مستوى الجذور. لسيرته الذاتية راجع كتاب محمد المجذوب، **علماء ومفكرون عرفتهم**، ج ١، (القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٨٦).

(١٧) مقابلة مع ناشط إسلامي سعودي في الرياض، تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥.

(١٨) الحزيمي يؤكد أن هناك حادثتين منفصلتين سماهما أعضاء «جسم» بـ «تكسير الصور». [ذكرنا الحادثة الأولى في النص]، أما الحادثة الثانية فقد وقعت في أواسط السبعينيات عندما اعتقل أعضاء «جسم» لتكسيرهم صور الملك خالد الذي كان قد تولى الحكم مؤخراً.

(١٩) موقف ابن باز بهذا الخصوص يمكن شرحه بموقف السلفية التقليدي تجاه تكوين الأحزاب أو الهيئات أو الجماعات التي قد تؤدي إلى تقسيم المجتمع وقد تسبب الفتنة. الاستثناء الوحيد هو مجموعة «المطوّعين» أو الشرطة الدينية كما تسمى في الغرب الذين ينظر إليهم كأناس ينفذون أوامر الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي ما يسمى بـ «الحسبة». انظر: مايكل كوك، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي**، كامبريدج: دار جامعة كامبريدج للنشر، ٢٠٠١.

(٢٠) ينبغي التأكيد هنا أن «جسم»، بزغت كحركة قانونية تقوية ورعة قامت، بحسب الحزيمي، بإنتاج وثائق تحمل اسمها مطبوعاً عليها بصورة رسمية، ولذلك فإن علاقة ابن باز بها لا يعتبر تحالفاً مع مجموعة معارضة إسلامية سرية.

(٢١) انظر: صحيفة الرياض، ٩ أيار/ مايو ٢٠٠٤.

(٢٢) مقابلة مع الحزيمي.

(٢٣) معلومات الحزيمي تعتبر فريدة لأنه حتى وقت متأخر كان المصدر الوحيد لسيَر المتمردين هو في قائمة الأسماء والجنسيات للمتمردين الـ ٦٣ الذين تم إعدامهم في كانون الثاني/ يناير ١٩٨٠، كما نشرت في الصحافة السعودية وقتها. ولكن هذه القائمة المنشورة تحتوي على عيبين رئيسين: **أولاً**، إنها لا تسمح لنا بالتفرقة بين البدوي والقبَلي ولا بين السعودي والأجنبي. **ثانياً**، من المحتمل أن تكون القائمة قد اشتملت على أسماء أشخاص انضموا للمتمردين قبل الهجوم بفترة وجيزة وبالتالي لم يكونوا بالضرورة من أتباع جهيمان منذ وقت طويل. وبعكس ذلك، استطاع الحزيمي أن يزوّدنا بخلفيات وبمعلومات مهمة عن العديد من الأشخاص الذين قابلهم شخصياً في المدينة أو عندما كان في السجن.

(٢٤) مصطلح «بدوي» جمعه «بدو»، ويرجع في العادة إلى أعضاء قبائل بدوية أصبحوا مؤخراً مقيمين غير متنقلين في معظم الحالات، في وقت إخوان العشرينيات وما بعده. أما الشخص «البدوي» فيمكن تمييزه من «القبلي» الذي هو في الأساس شخص حضري له نسب يعود إلى قبيلة. ومن ضمن الحضر يتم تفرقة القبلي عن الخضيري الذي لا يوجد له أصل قبلي.

(٢٥) من ضمن ٣٨ شخصاً، هناك ما مجموعه ١٥ بدوياً (أي ٤٣ في المئة) كالتالي: ٥ حروب، ٥ من شمر، ٣ من عتيبة، وواحد تميمي، وشخص مجهول الأصل. النسبة المرتفعة لأبناء حرب وشمّر بالنسبة إلى عتيبة، يجب أن لا تدهش القارئ لأن «جسم» تأسست في المدينة، وهي أقرب إلى أراضي هاتين القبيلتين. وجود هؤلاء الأشخاص يثبت كذلك أن عتيبة كانت فقط واحدة من العديد من العناصر البدوية في «إخوان جهيمان».

(٢٦) انظر: ستيفن هيرتوغ، **المحسوبية المقسمة: سياسات الإصلاح الاقتصادي في السعودية**، (أطروحة دكتوراه، جامعة أكسفورد).

(٢٧) تسعة من ضمن ٣٥ شخصاً (٢٥ في المئة) الذين وصفهم الحزيمي، كانوا أجانب غير سعوديين. ٦ كانوا يمنيين، وواحد ليس سعودياً كان من منطقة الحدود السعودية اليمنية. كما ذكر الحزيمي وجود سعودي من أصل مصري، وسعودي من أصل إيراني. اليمنيون كانوا على وجه الخصوص يتميزون بالأهمية في تلك الحركة. مقبل الوادعي كان أهم عالم لهم، وأحمد المعلم كان يدير «بيت الإخوان»، ويوسف باجنيد كان يدعمهم مادياً.

(٢٨) في السعودية، العلاقة بين الخلفية «الاجتماعية» من ناحية، والحالة «الاقتصادية» من ناحية أخرى تعتبر معقدة. الأشخاص ذوُو الأصل الأجنبي قد يكونون مهمشين سياسياً واجتماعياً، لكن ليس بالضرورة اقتصادياً، كما في حال يوسف باجنيد، فهو سعودي من أصل يمني، وساهم مادياً في دعم «إخوان جهيمان». وبالعكس، البدو قد يتمتعون بمنزلة اجتماعية رفيعة، ولكن بمستوى اقتصادي متواضع.

(٢٩) انظر: الياسيني، **الدين والدولة**، ص ١٢٥.

(٣٠) يتذكر الحزيمي زيارة له لخيمة في منطقة منى في موسم الحج عام ١٩٧٦. الخيمة كان يقيم فيها ٢٥٠ شخصاً معظمهم كانوا من أعضاء «جسم». الألباني وجهيمان كانا يتواصلان عن قرب. وألقى الألباني عدة محاضرات، خلال تلك الأيام.

(٣١) جماعة «أهل الحديث» الهندية، هي حركة إحيائية إسلامية تأسست في بوبال في الهند في منتصف القرن التاسع عشر. تركز بصورة عظيمة على دراسة الحديث وترفض تقليد جميع المذاهب الفقهية؛ جماعة «أنصار السنة المحمدية» تأسست في

مصر عام ١٩٢٦، بواسطة محمد حامد الفقي، وهو عالم سلفي متأثر بأفكار ابن تيمية. كلتا الجماعتين تربطهما علاقة قوية بالسعودية والمؤسسة الدينية الوهابية طوال القرن العشرين.

(٣٢) كتب مقبل الوادعي، أنه على الرغم من أنهم يتبعون العديد من آراء الألباني، إلا أنهم يختلفون معه في عدد قليل من القضايا. انظر: مقبل الوادعي، **المخرج من الفتنة**، (مكتبة صنعاء الأثرية، ٢٠٠٢)، ص ١٤٠.

(٣٣) المصدر نفسه.

(٣٤) تفاصيل وأهمية «حادثة السطح»، تم توثيقها عبر عدة مصادر مستقلة مثل: **المخرج من الفتنة**، مقابلة الحزيمي، ومقابلة الباحث د. محمد نبيل ملين (مكة، نيسان/ أبريل ٢٠٠٥) مع عالم وهابي كبير حضر ذلك الاجتماع، ونشرت في كتاب ملين **علماء الإسلام**، الشبكة العربية للدراسات والأبحاث، ٢٠١١.

(٣٥) انظر: **المخرج من الفتنة**، مصدر سابق، ص ١٤١.

(٣٦) صحيفة **الشرق الأوسط**، ٢٤ و٢٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٤.

(٣٧) مقابلة مع الحزيمي؛ انظر أيضاً: صحيفة **الشرق الأوسط** ٢٤ و٢٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٤.

(٣٨) انظر: مقالة جوزيف كيشيشيان **الإحياء الإسلامي والتغيير في السعودية**، ص ١١.

(٣٩) انظر: **انتفاضة الحرم**، مصدر سابق، ص ٣٥ ـ ٣٩.

(٤٠) مقابلة مع الحزيمي.

(٤١) انظر: صحيفة **الرياض**، ١٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٣.

(٤٢) بعد الفشل في إقناع أعضاء «جسم» بالتخلّي عن ممارساتهم الجدلية، قيل إن بعض العلماء نبهوا المسؤولين وادعوا كذباً أن «جسم» لديها أسلحة وتخطط لانقلاب. المصدر: مقابلة الحزيمي و**المخرج من الفتنة** للوادعي، ص ١٤١.

(٤٣) مقابلة مع الحزيمي.

(٤٤) في الرياض، على سبيل المثال، تم القبض على ٤ أو ٥ أشخاص من بينهم محمد القحطاني (المهدي المزعوم)، ومحمد الحيدري (رئيس فرع «جسم» بالرياض).

(٤٥) الحزيمي يتذكر اجتماعاً عامّاً لبقية الأعضاء عقد في الصحراء على طريق القصيم بين الرياض والسدير بعد بضعة أسابيع من الاعتقالات الأولى. وبحسب الحزيمي فقد حضر هذا الاجتماع ٨٠ شخصاً تقريباً.

(٤٦) هناك أشرطة لجهيمان تم توزيعها في دوائر إسلامية في السعودية على الأقل حتى بداية التسعينيات.

(٤٧) انظر: كشيشيان، مصدر سابق.

(٤٨) بحسب التراث الإسلامي، فالمهدي هو شخص يظهر في نهاية الزمان ليحقق العدل في وقت الفساد والانحلال الديني. ظهوره ينذر بقدوم المسيح.

(٤٩) مقابلة مع الحزيمي.

(٥٠) ادعى جهيمان نفسه أن ابن باز لم يجد خطأ فيها. انظر: «دعوة الإخوان» في كتاب **زلزال جهيمان في مكة**، مصدر سابق.

(٥١) مقابلة مع الحزيمي. شارك الحزيمي شخصياً في التوزيع.

(٥٢) الرسالة الأولى كانت بعنوان «رفع الالتباس عن ملّة من جعله الله إماماً للناس». مجموعة الرسائل السبع كانت بعنوان **الرسائل السبع**. مجموعة الرسائل الأربع، كانت بعنوان **مجموعة رسائل الإمارة والتوحيد ودعوة الإخوان والميزان لحياة الإنسان**. أبو ذر، **ثورة في رحاب مكة**، مصدر سابق، ص ١١٣.

(٥٣) «دعوة الإخوان» كما جاءت في كتاب القحطاني **زلزال جهيمان في مكة**، مصدر سابق، ص ٧٣.

(٥٤) مقبل الوادعي، **ترجمة مقبل بن هادي الوادعي**، صنعاء، دار الآثار، ٢٠٠٢، ص ٢٧.

(٥٥) مقابلة عبر الهاتف، مع عبد الرحمن عبد الخالق في مكتب خالد سلطان، الكويت، أيار/ مايو ٢٠٠٥. بعض هذه التفنيدات والردود المتقدمة تم جمعها في كتاب لعبد الخالق بعنوان **الولاء والبراء**.

(٥٦) مقابلات مع خالد سلطان وإسماعيل الشطي، الكويت، أيار/ مايو ٢٠٠٥.

(٥٧) كتاباتهم تم جمعها في بداية القرن العشرين في كتاب مهم بعنوان **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**.

(٥٨) **الفتنة وأخبار المهدي ونزول عيسى عليه السلام وأشراط الساعة**.

(٥٩) أحمد، **رسائل جهيمان العتيبي**، مصدر سابق، ص ٢٠٩.

(٦٠) بحسب الحزيمي، فإن القحطاني عمل إماماً في مسجد الرويل الصغير في الرياض وكان أحد مؤسسي فرع «جسم» في الرياض.

(٦١) ادّعى محمد القحطاني، أن جده الأكبر كان «شريفاً» (جمعها: أشراف)، وجاء من مصر مع جيش محمد علي في بداية القرن التاسع عشر، واستقر في إحدى القرى التي تسكنها قبيلة قحطان ولذلك أصبح قحطانياً عبر التحالف (أو التصاهر).

(٦٢) سنن أبي داوود، ٣٦، ٤٢٧٢. «المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قِسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجَوراً، ويملك سبع سنين».

(٦٣) سنن أبي داوود، مصدر سابق، ٣٦، ٤٢٧٣.

(٦٤) انظر: على سبيل المثال لنداو ـ تاسيرون، **الإصلاح الدوري: دراسة لفكرة المجدد**، ستاديا إسلاميكا ٧٠ ١٩٨٩.

(٦٥) المؤلفان يشكران البروفسور برنارد هيكل على هذا التحليل.

(٦٦) انظر مقالة: **انتفاضة على طرف السعودية، الحداثة، التهميش، وانتفاضة الشيعة لعام ١٩٧٩**، توبي كريغ جونز، **المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط**، ٣٨ (٢٠٠٦) ص ٢١٣ ـ ٢٣٣.

(٦٧) قال صحافي بريطاني كان يقيم في السعودية في ذلك الوقت، إنه قابل مزارعاً سعودياً في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩، ذكر له أنه شاهد مجموعة من الرجال الغلاظ يطلقون الأسلحة في ميدان خارج مكة في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩. المصدر: مقابلة مع جيمس بوكان، لندن، شباط/ فبراير ٢٠٠٦.

(٦٨) مقابلة مع الحزيمي.

(٦٩) أبو ذر، **ثورة في رحاب مكة**، مرجع سابق، ١٢٥.

(٧٠) **الشرق الأوسط**، ٦ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥.

(٧١) من ضمن الأعضاء الكويتيين البارزين في «جسم» في ذلك الوقت كان جابر الجلاهمة الذي أصبح لاحقاً جهادياً مشهوراً، ود. عبد الله النفيسي وهو من أهم المفكرين الإسلاميين في الكويت، وخالد العدوة الذي انضم لاحقاً إلى التيار السلفي السائد وأصبح عضواً في البرلمان. **[تعليق المترجم: نفى د. عبد الله النفيسي علاقته بـ «جسم» أو «إخوان جهيمان»، وأوضح أن الحكومة الكويتية سحبت جوازه عام ١٩٧٨ ومنع من السفر لتأليفه كتاب «الكويت الرأي الآخر»، وكان يرغب القيام بـ عمرة، فاضطر لعبور الحدود السعودية عبر الصحراء مع مجموعة من الكويتيين عددهم ٣٦، وكان ذلك الحادث متزامناً مع هروب جهيمان من السلطات السعودية التي كانت تطارده ووجود مراقبة شديدة على الحدود بسبب هروب جهيمان. ولكن الشرطة السعودية قبضت على النفيسي ومن معه. وتم سجن النفيسي لفترة في الدمام بسبب دخوله السعودية بطريقة غير نظامية، ثم أطلق سراحه بعدما**

ثبت ـ كما قال ـ عدم وجود علاقة له مع «جسم» أو جماعة «إخوان جهيمان». انظر: مقابلة النفيسي مع د. عبد العزيز قاسم في قناة دليل وهي موجودة على مقطع يوتيوب بعنوان «النفيسي وجماعة جهيمان». انتهى تعليق المترجم]

(٧٢) انظر: صحيفة **الرياض**، ١٩ و٢٦ أيار/ مايو ٢٠٠٣. جيل كيبل، **التطرف الإسلامي في مصر** (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، ٢٠٠٣)، ص ٨٩.

(٧٣) مقابلة مع الحزيمي. الوادعي، **المخرج من الفتنة**، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٧٤) انظر على سبيل المثال: رفعت سيد أحمد، **رسائل جهيمان العتيبي**، مرجع سابق، ص ص٦٢ ـ ٦٣.

(٧٥) مرجع سابق، ٨٤.

(٧٦) هناك حادث منفصل رواه الحزيمي يوضح هذا الإحساس بالولاء. عندما ترك عبد الله الحربي «جسم» لعدم إيمانه بفكرة المهدي ثم سمع بخبر اقتحام الحرم المكي، قرر تنظيم اقتحام للحرم المدني لتخفيف الضغط على جهيمان وأتباعه. ولكن أُطلق عليه الرصاص من قبل الشرطة وهو في طريقه إلى ساجر لجمع الأتباع لتنفيذ مشروعه.

(٧٧) أحد التفسيرات المحتملة إلى هذه الإعلانات هو أن المعارضة اليسارية السعودية حاولت استثمار هذه الفرصة السياسية لتعود إلى الأضواء التي خفتت عنها منذ نهاية الستينيات.

(٧٨) ناصر السعيد في **الدستور** كما نقلتها مجلة **ميدل إيست ريبورت**، عدد ٨٥ (١٩٨٠)، ص ١٧.

(٧٩) على سبيل المثال كتب أبو محمد المقدسي، أنه تلقى تأكيداً من أعضاء سابقين في «جسم» بأنه لم تكن هناك خطة أوسع ولا عمليات في مدن أخرى. انظر: أبو محمد المقدسي، **الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية**، ص ١٩٧.

(٨٠) انظر: مقابلة المقدسي في عام ١٩٩٨ مع مجلة **نداء الإسلام**.

(٨١) تزوّج المقدسي لاحقاً أخت زوجة الدرباس، انظر: **الشرق الأوسط**، ١٥ أيار/ مايو و٧ تموز/ يوليو ٢٠٠٣.

(٨٢) انظر على وجه التحديد: **ملة إبراهيم**، ١٩٨٤، الذي اقتبس فيه وطور بصورة أكبر مبادئ جهميان؛ انظر أيضاً: **إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس**، ١٩٨٩، والذي كرر المقدسي فيه رفض جهيمان نفسه للتعليم والوظيفة الحكومية.

(٨٣) المقدسي، **الكواشف الجلية**، مرجع سابق، ١٩٨.

(٨٤) مقابلة مع عبد الله العتيبي، الرياض، نيسان/ أبريل ٢٠٠٤.

(٨٥) مقابلة مع مشاري الذايدي، جدة، حزيران/ يونيو ٢٠٠٣؛ أيضاً: مقابلتان مع عبد الله العتيبي وإسلامي سعودي مجهول، الرياض، نيسان/ أبريل ٢٠٠٤.

(٨٦) القيادة الرئيسة كانت تشمل مشاري الذايدي وعبد الله العتيبي اللذين أصبحا لاحقاً كاتبين ليبراليين بارزين.

(٨٧) سكان «بيت شبرا» كانوا في المقام الأول على اتصال ببدو في شمال غرب نجد الذين وصلوا إليهم من خلال عضو باكستاني سابق في «جسم» عاش في مدينة الرس. مقابلة مع سعود السرحان، الرياض، نيسان/ أبريل ٢٠٠٤.

(٨٨) مقابلة مع إسلامي سعودي مجهول.

(٨٩) إبراهيم الريس وسعود العتيبي كانا يزوران «بيت شبرا» بانتظام. عبد العزيز المقرن، زار البيت مرة أو مرتين. **المصدر**: مقابلة مع العتيبي؛ أيضا انظر: **الشرق الأوسط**، ٩ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣ و٦ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥.

(٩٠) في خارج مدينة بريدة عاشت جماعة باسم «إخوان بريدة» في وضع شبه عزلة عن المجتمع الذي يحيط بهم. لم يكونوا يتعاملون مع الدولة وكانوا يرفضون استخدام التكنولوجيا الحديثة مثل السيارات والكهرباء والتلفونات. لقد كان هناك تماثل، وربما روابط مباشرة بين «جسم» و«إخوان بريدة». كما يوجد جماعة شديدة المحافظة والانعزال في «حي المهاجرين» في مدينة الزلفي النجدية.

الفصل الثاني

تأثير الشيخ الألباني في تشكيل السلفية المعاصرة

بقلم: د. ستيفـان لاكروا

تمهيد

عندما توفي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في ١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٩، عن عمر يناهز الخامسة والثمانين، قام بالحداد عليه تقريباً كل شخص في الإسلام السلفي. لقد كان بالنسبة إلى الكثيرين هو ثالث أهم شخصية سلفية معاصرة بعد عبد العزيز بن باز، المفتي العام للسعودية، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، الرجل الثاني في المؤسسة الدينية السعودية. وكان ابن باز قد توفي قبله ببضعة شهور. الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية السلفية أبّنت الألباني بحرارة، وهو في الأصل ابن رجل ألباني يعمل في تصليح الساعات والذي أصبح يعرف بـ «محدِّث العصر»[1] والذي اعترف به الجميع كأهم عالم حديث في جيله[2].

وعبر تقييد دور الألباني كمتخصص وخبير في الحديث فقط، فإن الإجماع الظاهر الذي تشكّل بعد وفاته أخفى الإشكاليات العميقة المرتبطة به على الأقل من ناحية المواقف التي اتخذها خلال تجربته وخبرته الدينية التي ساهمت بصورة رئيسة في تشكيل بنية السلفية منذ الستينيات. ولذلك، فإن هدف هذا البحث هو فحص دور الألباني المعقّد عبر عرض مسيرته ومواقفه، وأيضاً مواقف خلفائه الشرعيين وغير الشرعيين.

ثلاثة تيارات دينية مختلفة

لكي نستوعب أصالة فكر الألباني، يجب أولاً أن نستعرض ثلاثة تيارات دينية كانت له معها علاقة بدرجات مختلفة بالرغم من كونها معقدة وأحياناً متعارضة.

أولاً: حركة الإصلاح الإسلامي

أول هذه التيارات هي «حركة الإصلاح الإسلامي»، وهو مصطلح نقصد به مجموعة الأفكار التي دعا إليها عدد قليل من المفكرين المصريين

والسوريين في نهاية القرن التاسع عشر بهدف إنهاء تخلّف المسلمين عبر إحياء الإسلام. لقد دعوا العالم الإسلامي إلى التخلص من عوائق التقدم المتمثلة في التقليد الخانع للأسلاف عبر العمل بتفسير متجدد للنصوص، أي الاجتهاد؛ كما تميزوا بتأثرهم بكتابات تقي الدين بن تيمية (١٢٦٣ ـ ١٣٢٨) الذي يغلب على فكره العداء ونقد ممارسات ما يسمى بـ «الإسلام الشعبي» و«الصوفية». وبهذا المعنى، فهم يشتركون في الأفكار مع التيار الديني الثاني الذي سنطرحه، أي الوهابية، وهو تيار بحسب [المستشرق] هنري لاؤوست(*)، كانوا يعتنقون نسخة مخففة منه(٣).

ثانياً: الوهابية

التيار الوهابي مشتقّ من الإرث الفكري للواعظ محمد بن عبد الوهاب، الذي كان بنفسه قارئاً نهماً لابن تيمية وتشارك في عام ١٧٤٤م، مع محمد بن سعود في تأسيس الدولة السعودية الأولى. هذا التيار نتج منه لاحقاً ولادة المؤسسة الدينية السعودية التي تعتبر نفسها حامية للوهابية.

المبادئ الرئيسة التي وضعها في الأساس ابن عبد الوهاب، كانت تعكس قبل كل شيء اهتمامه بالمسائل اللاهوتية(**) بهدف تنقية العقيدة الإسلامية التي كان يعتقد أنها يجب أن تقوم على التوحيد الخالص. لقد كان يعتقد أن إيمان معاصريه انحرف عن الطريق القويم للسلف الصالح(٤)، وأن المجتمع الذي كان يعيش فيه أصبح كفترة الجاهلية وهي الحالة السائدة قبل الإسلام. وكان ابن عبد الوهاب يرى أن إعلان التوحيد ليس كافياً لكي يكون الإنسان مسلماً حقيقياً فحسب، بل من اللازم التمسك بالشعائر الدينية. وهنا تكمن كل الاختلافات التي أسسها من ناحية بين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ومن ناحية أخرى، توحيد الألوهية(٥). المبدأ الأخير كان يتعارض مع الكثير من الممارسات الدينية المختلفة الشائعة في الجزيرة العربية وقت ابن عبد الوهاب مثل التوسل بالأولياء، والتشيّع، وكليهما

(*) هنري لاؤوست: (١٩٠٥ ـ ١٩٨٣)، مستشرق فرنسي متخصص في ابن تيمية والحنابلة بوجه عام. (المترجم).

(**) المسائل اللاهوتية: أي علم الأمور المتعلقة بالألوهية أي العقيدة. (المترجم).

اعتبرهما ابن عبد الوهاب من أنواع الشرك[٦]. ولذلك، فإن الوهابية قد نشأت في الأساس لمواجهة هذين الأمرين.

ولكن بينما كانت مواقف ابن عبد الوهاب العقدية واضحة، إلا أن مواقفه الفقهية[٧] كانت أقل وضوحاً بكثير، وذلك يعود إلى أنها كانت أقل مركزية وأهمية في تعاليمه[٨]. إن المبدأ الرئيس لابن عبد الوهاب، هو أن المصادر الوحيدة التي يمكن أن تقوم عليها أحكام الشريعة الإسلامية هي القرآن والسنّة[٩] والإجماع. ومن الناحية النظرية فإن هذا يعتبر رفضاً لتقليد المذاهب السنية الأربعة، وتأسيس فكرة الاجتهاد كركن أساس في الفقه. ولكن من الناحية العملية كان ابن عبد الوهاب يتقيد بتفسير المذهب الفقهي الحنبلي للنصوص الدينية، وهو مذهب يقوم على القراءة الحرفية للنصوص المقدسة. هذا ما أوضحه في رسالته لعلماء المدينة[١٠]، والتي كان في الغالب يسعى فيها إلى إثبات صحة دعوته، وذهب فيها إلى درجة أنه أعلن أنه متَّبع غير مبتدع في المذهب الحنبلي. وفي الواقع، لقد ثبت أن ابن عبد الوهاب لم يقدم رأياً فقهياً من ابتكاره، ولكنه قيّد نفسه بالاجتهادات الموجودة داخل المذهب الحنبلي. وكما أشار فرانك فوغل[١١]، **فإن هذه المفارقة بين اجتهاد مثاليّ «معلن»، وممارسة فقهية «غير معلنة» ومقيَّدة في المذهب الحنبلي، كانت دائماً متكررة في التيار الوهابي حتى في الوقت الحاضر. هذه المفارقة، كما سنرى، أصبحت واحدة من أهم أسباب النزاع بين المؤسسة الدينية السعودية حامية الوهابية من جهة، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني من جهة أخرى.**

ثالثاً: أهل الحديث

التيار الديني الثالث، الذي يهمنا هنا، هو «أهل الحديث» الذي ظهر في شبه القارة الهندية. هذه الحركة تشكّلت في ستينيات القرن التاسع عشر حول شخصيتين دينيتين: نذير حسين في دلهي، وصدّيق حسن خان في بوبال. أفكار هذين الرجلين تتشابه كثيراً مع أفكار التيار الوهابي. ومثل ورثة ابن عبد الوهاب عارضا بقوة المذهب الشيعي والصوفية واعتبراهما انحرافات خطيرة. ومثل التيار الوهابي أيضاً، كانا يفسران النصوص المقدسة بشكل حرفي جداً ولا يلجآن للقياس إلا في ظروف محدودة جداً.

وأخيراً، كانا أيضاً من القراء المتحمسين جداً لأعمال ابن تيمية[١٢]. هذان التياران [الوهابيون وأهل الحديث] اكتَشفا بالصدفة تقارب أفكارهما خلال أحد مواسم الحج. وفي ما بعد، سافر بعض العلماء الوهابيين إلى بوبال ودلهي للدراسة مع زملائهم الهنود[١٣].

ولكن بينما كان تيار «أهل الحديث» يشترك مع الوهابية في العديد من الأمور المهمة[١٤]، إلا أنه يختلف بصورة راديكالية في أساليبه؛ فبعكس الوهابية، كان اهتمام «أهل الحديث» الرئيس هو الفقه وليس العقيدة. لقد كانت نقطة بدايتهم الفكرية هي الرفض الكامل للتقليد وبخاصة للمذاهب الفقهية الأربعة، والدعوة لأن تستخرج جميع الأحكام الفقهية مباشرة وبصورة حصرية من القرآن والسنة من دون أي وسائط. هذا الأمر يعني، ضمنياً، الاهتمام بصورة خاصة بالحديث الذي يمكنه لوحده تقديم أجوبة لجميع المسائل الفقهية التي لجأت فيها المذاهب السنية إلى رأي مؤسسي تلك المذاهب وطلابهم[١٥]. لقد كان هذا هو موقف تيار «أهل الحديث» في العصور الوسطى خلال مناظراتهم مع أهل الرأي، والحركة الهندية سعت إلى تعريف وربط نفسها مع أولئك الأسلاف من خلال اختيار اسمها. إحدى نتائج هذا البعد والانعزال عن المذاهب السنية، كان ظهور طريقة خاصة لفهم وقراءة النصوص التي تستلزم مظهراً مادياً معيّناً في ممارسة الشعائر، وطريقة خارجية للصلاة تميّز «أهل الحديث» عن باقي المسلمين.

لقد كان أول تأثير لتيار «أهل الحديث» الهندي على الفضاء الديني السعودي يعود إلى أولئك العلماء الوهابيين الذين درسوا مع المشايخ الهنود في أواخر القرن التاسع عشر، وكان أبرزهم، بلا شك، سعد بن عتيق (١٨٥٠ ـ ١٩٣٠)، الذي أرسله والده العالم الوهابي الشهير حمد بن عتيق، إلى الهند في عام ١٨٨١، حيث كان والده، الشيخ حمد بن عتيق يتراسل مع صدّيق حسن خان. قضى سعد بن عتيق تسع سنوات مع «أهل الحديث» في الهند وأصبح لاحقاً شخصية دينية رئيسة في الدولة السعودية الثالثة، حيث عينه ابن سعود قاضياً وإماماً للمسجد الكبير في الرياض[١٦]، وهذا الموقع أعطاه تأثيراً عظيماً على جيل شابٍّ من العلماء الوهابيين، كان من بينهم تلميذه الشاب عبد العزيز بن باز الذي كان متأثراً من قبل بتعاليم «أهل الحديث».

ولعل أهمية تأثير تيار «أهل الحديث» هذا، تكمن في المقام الأول في

كشف التناقض الذي ذكرناه سلفاً في الموقف الوهابي تجاه المذاهب الفقهية؛ حيث برز هذا التناقض عنوة عبر ثغرة في الوهابية فتحت بسبب الدعوة «النظرية» لرفض التقليد والتمسك «الواقعي» والعملي بتعاليم المذهب الحنبلي. لقد كان «أهل الحديث» هم الذين فتحوا الطريق لمحمد ناصر الدين الألباني لنقد الوهابية، وبخاصة بعدما أصبح الألباني نشطاً في المملكة منذ الستينيات وما تلاها.

ولادة السلفية الحديثة

السلفية تمّ تعريفها وتحديدها تقليدياً بأنها عملية الاقتداء بالسلف الصالح عبر استنباط الأحكام الفقهية من القرآن والسنة فحسب، كما فُهمت وفُسِّرت في الأجيال الثلاثة الأولى من المسلمين. ولكنها في الفكر الإسلامي الحديث تستعمل حصرياً لترمز إلى الوهابية نفسها، إضافة إلى جميع المشتقات الفكرية المهجّنة التي انبثقت عن الوهابية في السعودية خلال القرن العشرين. وضمن سياق سياسة «التضامن الإسلامي» التي وضعها الملك فيصل لمحاربة جمال عبد الناصر وحلفائه التقدميين، أصبحت المملكة في ذلك الوقت نقطة تجمُّع رئيسة لجأ إليها كل من كانوا يُلَاحَقون بسبب نشاطهم الإسلامي، ومن ضمن أوائل اللاجئين كان هناك عدد كبير من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين. **وهكذا حدث تلاقح وتمازج بين أفكار الإخوان المسلمين «السياسية» وأفكار الوهابية «العقدية»، نتج منها تيار سمي بـ «الصحوة الإسلامية»، أو باختصار، «الصحوة». إنها الشكل السياسي للسلفية التي كانت ترتكز بقوة على النظام التعليمي الذي سيطر على الفضاء الديني ـ السياسي السعودي حتى هذا الوقت.** ولكن إضافة إلى جماعة الإخوان المسلمين كان هناك عشرات الشخصيات الإسلامية المستقلة، أحياناً من خلفية «الإصلاح الإسلامي» والذين وجدوا ملجأ في السعودية في ذلك الوقت. بعضهم، مثل محمد ناصر الدين الألباني الذي نحاول تتبُّع مساره هنا، كان له، ومارس، تأثيراً حاسماً على مستقبل بنية الفكر الديني ـ السياسي السعودي.

الألباني في سوريا

ولد محمد ناصر الدين الألباني في ألبانيا عام ١٩١٤، لوالد كان عالماً في المذهب الحنفي. وفي عام ١٩٢٣، أي بعد فترة وجيزة من استقلال

ألبانيا عن الإمبراطورية العثمانية وتحولها إلى دولة علمانية، قرر والده أن يغادر ألبانيا ويستقر مع عائلته في دمشق. تعلّم الصبي ناصر الدين اللغة العربية أولاً ثم مهنة تصليح الساعات، بينما لقّنه والده مبادئ الدين بحسب تعاليم المذهب الحنفي. وكان من الممكن جداً أن يتوقف تعليمه هنا لولا أنه كان مولعاً بقراءة الكتب منذ نعومة أظفاره. وهكذا كان يقضي العديد من الساعات في وقت فراغه في المكتبة الظاهرية(١٧)، وهي أول مكتبة عامة في سوريا، حيث تأسست في عام ١٨٨٠ على يد طاهر الجزائري(١٨)،وهو أحد رواد الإصلاح الإسلامي في المنطقة. وبهذه الطريقة أصبح الشاب محمد ناصر الدين الألباني خبيراً في الإسلام إذ ثقف نفسه عبر قراءة الكتب بدلاً من التتلمذ على العلماء. أحد كتّاب سيرته أشار إلى أن الألباني كان متميزاً في الدوائر الدينية بسبب مفارقة قلّة الإجازات(١٩) التي كان يحملها(٢٠).
ونتيجة لقراءاته في مجلة **المنار** التي كانت تنشر أفكار الإصلاح الإسلامي، وحضوره(٢١) مجلس محمد بهجت البيطار وهو تلميذ لجمال الدين القاسمي رائد الإصلاح الإسلامي في سورية، تقيّد الألباني وهو في سن العشرين بتعاليم فكر الإصلاح الإسلامي الذي كان يتمتع بشعبية جارفة بين «علماء الهامش»(*) في دمشق(٢٢). ومن هذه المدرسة الفكرية ورث الألباني عداءه للصوفية والإسلام الشعبي، وكان هذا الفكر أول تنظيراته كما تجلّت في كتاب(٢٣) **تحرير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**(٢٤)، على الرغم من أن هذا الفكر أصبح على يديه أكثر راديكالية مما كان عليه في تيار الإصلاح الإسلامي. ومن هذا المصدر أيضاً جاء رفضه للتقليد عبر تركيزه على رفض المذاهب الأربعة (وهو ما لا يسرّ والده)، والدعوة إلى تجديد الاجتهاد. ولتفعيل هذا التجديد أكد رشيد رضا رائد الإصلاح الإسلامي ورئيس تحرير مجلة **المنار**، ضرورة وأهمية إعادة تقييم الحديث بصورة نقدية ولكن من دون جعل هذه النقطة أمراً مركزياً في تعاليمه(٢٥). وفي الواقع، لقد واصل رواد تيار الإصلاح الإسلامي استخدام العقل والرأي المستقلّ ليؤديا دوراً مهماً نسبياً لاستنباط الأحكام، ولذلك، حتى نقدهم، كان يقصد منه مراجعة

(*) هامش المؤلف رقم ٢٢ لا يقدم تعريف لعلماء الهامش، بل يحيل القارئ على كتاب آخر. ولكن المقصود بعلماء الهامش هو العلماء غير الرسميين (غير التابعين للدولة). مصدر التعريف: إيميل من د. لاكروا إلى المترجم بتاريخ ١٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٢. (المترجم).

«فنية» للسند، ونقداً أكثر «عقلانية» للمتن(٢٦). وهنا كان أسلوب الألباني مختلفاً بصورة راديكالية عن أساتذته في مدرسة الإصلاح الإسلامي، حيث إن الألباني الذي يدّعي انتمائه إلى مدرسة أهل الحديث الهندية التي بدورها تتبع خطوات أهل الحديث في القرون الوسطى، فإن استخدام العقل عند الألباني كان محظوراً في عملية استنباط الأحكام مهما كانت العواقب.

ومن هذا المنطلق، فإن الحديث(٢٧) الذي يوفر إجابات عن الأسئلة التي لا يوجد لها حلول في القرآن، يجب أن يكون هو محور عملية الاستنباط. وهكذا يكون الألباني، مرة أخرى، متناغماً ومنسجماً تماماً مع مدرسة أهل الحديث الهندية. ولذلك، فإنه يضع «علم الحديث» في قمة العلوم الدينية متقدماً على «علم الفقه» الذي يعتبر في عينيه لا شيء أكثر من ملحق يسميه «فقه الحديث»(٢٨). ولكن علم الحديث نفسه ينبغي حمايته من العقل؛ ولذلك فإن نقد المتن يجب أن يكون شكلياً فقط وبصورة صارمة، أي لغوياً أو نَحْوياً. وهكذا لا يمكن نقد أي شيء سوى السند، ولذلك فإن دراسة السند تحدّد صدقية وصحة الحديث. وهكذا بالنسبة إلى الألباني، فإن أهم مبدأ في علم الحديث هو «علم الرجال» الذي يقيِّم أخلاق وموثوقية ناقلي الحديث، وهذا المبدأ يعرف أيضاً بعلم «الجرح والتعديل».

الاختلاف الجِدّي الآخر عن أساتذته الإصلاحيين هو أن الألباني توسع في مدى النقد ليشمل جميع الأحاديث الموجودة، وهو ما تردد رضا، على سبيل المثال، في عمله، حيث اعتبر الحديث المتواتر الذي انتقل من جيل إلى جيل صحيحاً وفوق النقد(٢٩). ولذلك، فإن الألباني لم يتردد في وصف أحاديث معيّنة بالضعيفة(٣٠)، على الرغم من أنها موجودة في صحيحي البخاري ومسلم.

الألباني والسعـودية

لقد أصبح الألباني مشهوراً في بداية الخمسينيات في سوريا لسعة معرفته في علم الحديث، الذي كان يدرّسه أسبوعياً منذ عام ١٩٥٤ في مجلس غير رسمي(٣١). وفي عام ١٩٦٠، أصبحت شعبيته مصدر قلق للحكومة السورية، ما أدى إلى وضعه تحت المراقبة على الرغم من أنه كان لا يتحدث في السياسة(٣٢). ولذلك قبل بسعادة عرضاً للتدريس في الجامعة

الإسلامية بالمدينة التي أُسِّست للتو. لقد اقترح اسمه الشيخ عبد العزيز بن باز نائب رئيس الجامعة الذي كانت تربطه بالألباني علاقات شخصية وفكرية. وكما وضّحنا آنفاً، فإن ابن باز كان متأثراً بشدة بتعاليم سعد بن عتيق الذي كان يتبع تيار «أهل الحديث» الهندي بعد مكوثه الطويل في الهند، وكان يشارك الألباني في اهتمامه بضرورة تجديد علم الحديث[٣٣]. **ولكن منذ لحظة وصول الألباني، اندلعت مجادلات ونقاشات بين علماء الوهابية التي كانت تعاني مفارقة مكشوفة بسبب تأثرها واتّباعها «غير المعلن» للمذهب الحنبلي بقيادة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٨٩٣ ـ ١٩٦٩) حيث اعتبر الشيخ محمد بن إبراهيم أن دعوة الألباني للاجتهاد خارج أطر المذاهب الفقهية المعتمدة يشكّل خطراً وتحدّياً لسلطة علماء الوهابية. ولكن في الوقت نفسه التناقض الأصلي في الوهابية، من حيث إن دعوتها النظرية المثالية للاجتهاد تناقض واقعها العملي في اتباع المذهب الحنبلي، جعل علماءها ضعفاء «منطقياً»، وغير قادرين على الدفاع عن أنفسهم من الناحية «الفكرية»**. وما زاد الأمور سوءاً هو أن عقيدة الألباني كانت وهابية خالصة بصورة لا يمكن الطعن فيها مطلقاً. وصدرت فتاوى من الألباني في عدة مناسبات أغضبت المؤسسة الدينية السعودية. ولكن المفتي رفض أن ينزل من منزلته الرفيعة ليردّ على شخص يعتبره شاباً وعالماً من الدرجة الثانية، ولذلك فوض مهمة تفنيد وردّ فتاوى العالم السوري لأحد مساعديه الرئيسين وهو إسماعيل الأنصاري[٣٤]. ولكن شعبية الألباني كانت تزيد تدريجياً مع الوقت، ولكي يتمّ التخلص منه كان على المؤسسة الوهابية الانتظار حتى يقوم بخطأ فادح. وجاءت الفرصة عندما ألّف الألباني كتابه **حجاب المرأة المسلمة**، الذي قال فيه إن وجه المرأة ليس عورة، وهذا يخالف الأحاديث التي يعتمدها المذهب الحنبلي وتعمل بها الوهابية. هذا الموقف بدا غير مقبول للجماعات الدينية السعودية من مختلف التيارات. ولذلك لم يواجه محمد بن إبراهيم أي مشكلة عندما رفض تجديد عقد الألباني للتدريس في الجامعة، ما أجبر الأخير على مغادرة المملكة في عام ١٩٦٣[٣٥]. وفي أيار/ مايو ١٩٦٧، قبض على الألباني في سوريا، وقضى شهراً في السجن، ثم أُطلق سراحه مع مساجين سياسيين آخرين في حزيران/ يونيو[٣٦]. هذه الحادثة كانت في الغالب وراء العرض الذي قدّمه ابن باز له لكي يرأس قسم الدراسات العليا في كلية الشريعة في مكة[٣٧].

ولكن هذه المحاولة فشلت بسبب «معارضة المسؤولين»[٣٨]، ما يثبت حدة وحساسية الجدل المحيط بالألباني حتى في ذلك الوقت. ثم أُدخل الألباني السجن مرة أخرى في سوريا لمدة ٨ شهور[٣٩]، قبل أن يغادر سوريا لكي يقيم في الأردن عام ١٩٧٩[٤٠]. وبالنسبة إلى السعودية، يمكن القول إنها تصالحت معه في النهاية عبر منحه منصباً رمزياً عام ١٩٧٥، كعضو في المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة[٤١]. ولكن على الرغم من هذا المركز الرفيع، فإن الألباني درّس لوقت قصير جداً في السعودية، باستثناء الدعوات العديدة للمؤتمرات وزياراته المتكررة في موسم الحج، ولكن أفكاره تركت تأثيراً قوياً في البلاد[٤٢]. وبصورة عامة، فقد شجع الألباني على عملية إحياء كبيرة لدراسة الحديث وتحديد صحته، وهذا ترك تأثيراً قوياً على جميع التيارات الإسلامية في السعودية. وكما قال أحد الإسلاميين: «لقد أصبح لعلم الحديث، سلطة وسطوة مؤثرتان؛ فعندما ينقل العالِم حديثاً في مناسبة ما يمكن لأيّ شخص في أي لحظة أن يقاطعه سائلاً: «هل هذا الحديث صحيح؟ هل راجعه الألباني؟» ومثل هذا التأثير الواضح والملموس والمهيمن هو الذي عزز المشاعر السلبية لعلماء المؤسسة الدينية الرسمية تجاه الألباني[٤٣].

وعبر هذه الوسيلة نفسها، استطاع الألباني ـ بصورة غير مباشرة، وربما بخلاف ما يتمنّى ـ أن يمارس تأثيراً قوياً وهائلاً على الحركة السلفية السعودية، أي «الصحوة» التي اعتبرت دعواته لإحياء الاجتهاد ـ فوق كل اعتبار ـ طريقة مناسبة لتبرير وشرعنة مواقفها السياسية المخالفة للخط الرسمي. ولكن الألباني أدى دائماً دوراً ثانوياً نسبياً في حركة «الصحوة» السعودية، ولسبب وجيه جداً، حيث إن أولئك الذين اعتبروه مرجعهم الرئيس كانوا في الواقع هم أشد أعداء الصحوة.

من الألباني إلى «أهل الحديث الجدد»

أولئك الذين سمَّوا أنفسهم بـ تلاميذ الألباني، أخذوا لقب «أهل الحديث» نسبة إلى مدرسة القرون الوسطى التي كان الألباني يدّعي هو بنفسه أنه ينتمي إليها. ولكي نفرق بينهم وبين أسلافهم في هذا الفصل سوف نسميهم بـ «أهل الحديث الجدد». لقد اتخذوا موقفاً ناقداً لكل من

المؤسسة الوهابية التقليدية وأيضاً للصحوة، مبررين هذا الموقف لمعارضة هذين التيارين بمواقف محددة للألباني.

فالألباني، كما ذكرنا، شجب تمسّك علماء الوهابية بالمذهب الحنبلي ووصل إلى حد القول إن محمد بن عبد الوهاب كان سلفياً في العقيدة ولكن ليس في الفقه. وإضافة إلى ذلك، فمن وجهة نظر الألباني أنّ محمد بن عبد الوهاب لم يكن يعرف علم الحديث جيداً، مستشهداً بإحدى رسائله التي كانت تحتوي على حديث مشهور بضعفه[٤٤]. ولذلك، فإن الألباني هنا يستغل التناقض الأصلي داخل الوهابية الذي أشرنا إليه آنفاً من دون أن يجعل من نفسه خصماً للوهابية، بل مناصراً لتجديد الوهابية وتنقيتها من أي أمر مناقض أو معارض لتعاليم السلف الصالح. وباستعمال هذه الأفكار نفسها، فإن «أهل الحديث الجدد» لا يهاجمون روح الوهابية التي يزعمون الدفاع عنها فحسب، بل المؤسسة التي تعتبر نفسها حارساً للوهابية. إضافة إلى ذلك، ينبغي الإشارة إلى أن ذلك التحدي لشرعية أسلوب الوهابية لا يشمل بأي حال نقداً أوسع لمواقفها الاجتماعية مثل تحريم الصور والموسيقى والسجائر على سبيل المثال، التي يشاركهم فيها غالباً «أهل الحديث الجدد». كما إن معارضة الألباني للنقاب يجب أن لا تعطي انطباعاً أن «أهل الحديث الجدد» أكثر تحرراً [ليبرالية] من الوهابيين.

ولكن عداء «أهل الحديث الجدد» الرئيس والحقيقي، لم يكن تجاه المؤسسة الدينية الوهابية التي كانت تربطهم بها علاقة جيدة بفضل ابن باز فحسب، بل كانت تجاه «الصحوة» التي يعتبرونها أجنبية على الحقل السعودي الديني وأنها حصلت على ميزة تفضيلية منذ بداية السبعينيات. وكما في السابق، لقد برروا هذه المعارضة للصحوة بدمج معارضتهم للصحوة مع موقف الألباني من الإخوان المسلمين وكذلك موقفه من النشاط السياسي.

ويجب أن نتذكر هنا أنه في الوقت الذي كانت كل التيارات الإسلامية بما فيها الوهابية وفي مقدمتها ابن باز[٤٥] تعظّم الشهيد الراديكالي لجماعة الإخوان المسلمين المنظّر سيد قطب الذي أعدم عام ١٩٦٦، بأمر من عبد الناصر. كان الألباني واحداً من أوائل المشايخ الذين جازفوا بنقد قطب علانية. لقد كانت مشكلته مع قطب في عقيدة الأخير كما تجلّت في كتابه في ظلال القرآن. وعلى وجه الخصوص، فإن الألباني اعتقد أنه اكتشف

علامات لعقيدة وحدة الوجوه المذمومة التي ابتدعها الصوفي الأندلسي ابن عربي (ت ١٢٤٠م) والتي أصبحت جزءاً من الفكر الصوفي[٤٦]. إضافة إلى ذلك، فقد تحفّظ الألباني على حسن البنّا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وشجب بعض مواقفه لكونها مخالفة للسنة. وأصرّ أن البنّا ليس عالماً[٤٧].

هذه الهجمات كانت ترتبط بصورة مباشرة بالخطأ الرئيس الذي كان من أجله يذمّ الإخوان المسلمين (وبالتالي امتدادهم في تيار الصحوة)، وهو أنهم يهتمون بالسياسة أكثر من العلم والعقيدة. لقد أصر الألباني من جهته أن أولوياته كانت بالعكس، ولذلك كان يكرر جملته الشهيرة «من السياسة ترك السياسة»[٤٨]. حقاً لقد شرح ذلك في محاضرة ألقاها في المدينة لمّح فيها بصورة غير مباشرة إلى الإخوان المسلمين:

> «جميع المسلمين يتفقون على ضرورة إنشاء دولة إسلامية ولكنهم يختلفون في الطريقة لتحقيق ذلك الهدف. بالنسبة إليّ، فإن التمسك بالتوحيد هو الوسيلة لإزالة جميع الاختلافات لكي يصلوا إلى ذلك الهدف بصورة متحدة»[٤٩].

لقد كانت هذه هي الروح التي بنى عليها نظريته في الدعوة التي يسمّيها «التصفية والتربية» ويشرحها كما يلي:

> «أقصد بالتصفية تطهير الإسلام من كل شيء أجنبي عليه ويفسده. ولتحقيق هذا يجب تطهير السنة من جميع الأحاديث الموضوعة والضعيفة حتى يمكن تفسير القرآن على ضوء السنة الصحيحة والأفكار والمبادئ التي عمل بها السلف الصالح. وبالنسبة إلى التربية، فهي تعني غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في شبابنا كما جاءت في القرآن والسنة»[٥٠].

إن الاختلاف الراديكالي بين هذا الأسلوب الذي يضع العقيدة قبل السياسة والفرد قبل الدولة من جهة، ومن جهة أخرى، أسلوب الإخوان المسلمين يمكن توضيحه بصورة مذهلة عبر فتوى الألباني الشهيرة التي دعا فيها الفلسطينيين إلى مغادرة الأراضي المحتلة في غزة والضفة الغربية

لأنهم ـ بحسب الألباني ـ لا يستطيعون ممارسة دينهم بصورة صحيحة هناك، وعندما يتوجب عليك الاختيار بين العقيدة والأرض، يؤكد الألباني أن العقيدة ينبغي أن تكون لها الأولوية[٥١].

مواقف الألباني لقيت رعاية «أهل الحديث الجدد» عبر نموذج أيديولوجي حقيقي خلق جدلاً أكثر منهجية ضد الإخوان المسلمين وامتدادها في الصحوة. ولذلك كتب الشيخ اليمني مقبل الوادعي، الذي درس في الجامعة الإسلامية في المدينة، وكان ينتمي إلى «جسم» التي سنعود إليها بالتفصيل لاحقاً، في كتابه **المخرج من الفتنة** عام ١٩٨٢، موضِّحاً الفرق بين خمس جماعات إسلامية كالآتي:

أولاً: أصحاب الحديث (أو أهل الحديث) الذين وصفهم بـ الجماعة التي اختارها الله لحفظ دينه[٥٢]. ويصفهم بأنهم مُتَّبعون للمحدِّثين الأوائل الذين يعتبرون الأفضل بعد الرسول (ﷺ) والصحابة (رضي الله عنهم)[٥٣].

ثم وضع الوادعي في الوسط ثلاث جماعات وجّه إليهم نقداً قاسياً مع الاعتراف بفضلهم وهم:

ثانياً: أنصار السنّة المحمدية[٥٤] الذين وبّخهم لعدم اهتمامهم بالحديث، بينما أكد أهمية دعوتهم إلى التوحيد[٥٥].

ثالثاً: «جماعة التكفير» أو التكفيريون، الذين أثنى على حماسهم وإصرارهم على الدليل، ولكنه وبّخ ميلهم إلى إساءة استخدام التكفير[٥٦].

رابعاً: «جماعة التبليغ»، الذين أثنى على فعالية أسلوبهم ولكنه انتقد إهمالهم للعقيدة والعلم وتقليدهم للمذهب الحنفي.

وأخيراً،

خامساً: **«الإخوان المسلمون» الذين بعد مقدمة أثنى فيها على حسن نيّات مؤسسها البنّا، وجّه أقسى وأعنف نقد لها لعدم وجود علماء في صفوفهم ومنعهم أعضاءهم من حضور دروس العلماء «لأنهم ـ ببساطة ـ لا يحبّون العلماء»، وأيضاً لجهلهم مبادئ العلوم الدينية[٥٧]، وتفضيلهم السلطة على السنة[٥٨].**

وفي الوقت الذي كانت فيه جماعة الإخوان المسلمين في أوج وقمة تأثيرها، سبّبت مواقف الألباني وطريقة استغلالها من قبل «أهل الحديث

الجدد»، اضطراباً عظيماً. لقد نتج عن ذلك في السبعينيات مقاطعة الإخوان لدروس الألباني ولكل أمر يتعلق بدعوته، وتم نشر مقالات عديدة تهاجمه في مجلة **المجتمع** [الكويتية][٥٩].

لقد كان هذا موقفاً حرجاً ويتعذّر الدفاع عنه لشخص كان يسعى إلى أن يصبح أهمّ عالم دين في العالم الإسلامي. ونتيجة لهذا، حاول الألباني، بجهد شديد منذ الثمانينيات، الابتعاد عن الخصومات والخلافات حتى ولو كان هذا يعني أحياناً أن يتبرأ من أخلص تلاميذه. **لقد اندهش وصعق الألباني من الآثار المدمّرة لموقفه من سيد قطب، وربما خوفاً من تنفير قطاع كبير من الإسلاميين منه، سعى إلى تليين موقفه لاحقاً عندما أعلن:**

> **«نعم، يجب تفنيد أفكار سيّد قطب والرد على آرائه، لكن برصانة وعدل. نعم، يجب الرد عليه لأن هذا واجب ولكن هذا لا يعني أن نعاديه أو ننكر فضائله. الشيء المهم هو أنه مسلم وكان يكتب في حدود فهمه للإسلام كما سبق أن قلت، وقتل بسبب دعوته، وبالتأكيد هؤلاء الذين قتلوه هم أعداء الله»**[٦٠].

وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه المحاولات كانت غير مجدية. ومهما حاول الألباني بقوة أن يظهر كشخص توافقي حول سيد قطب، إلا أن الوقت كان متأخراً جداً، حيث اعتبره بعض مريديه الأب الروحي لتيار «أهل الحديث الجدد» خلافاً لرغبة الألباني.

هُويّة وممارسات «أهل الحديث الجدد»

إضافة إلى تلك الإيديولوجية التي أضفت على «أهل الحديث الجدد» هوية خاصة في الفضاء الديني، فإنهم أيضاً طوّروا مجموعة من الممارسات جعلتهم مميَّزين في الفضاء الاجتماعي. معظم هذه الممارسات يرجع إلى بعض فتاوى الألباني التي تعارض الإجماع الحنبلي الوهابي. فبخصوص الصلاة ـ مثلاً ـ مال «أهل الحديث الجدد» إلى اتباع آراء الألباني التي جمعها في كتاب صغير تسبب في ضجة، بل فضيحة كبيرة، عندما نشر بعنوان **صفة صلاة النبي**؛ في هذا الكتاب مثلاً دعا الألباني إلى إضافة «وبركاته» إلى عبارة «السلام عليكم...»، إضافة إلى مسك الأيدي في

الصلاة بطريقة تختلف كثيراً عن الصيغة الواردة في تعاليم الفقه الوهابي/ الحنبلي. أيضاً رأى الألباني أن لبس الحذاء جائز أثناء الصلاة في المسجد. الطبيعة الظاهرة الجلية لهذه الاختلافات في ممارسة الطقوس تشرح لماذا سبّب بزوغ «أهل الحديث الجدد» معارك وجدالات في مساجد ومدن أخرى ظهرت فيها تلك الحركة، ما دعا تلاميذ الألباني إلى التجمّع [للعبادة] في مساجد تحت سيطرتهم الخاصة وكانت هذه المساجد لا يوجد فيها محراب(٦١)، لأن «أهل الحديث الجدد» يعتبرونه بدعة. أما بخصوص اللباس، فقد كان «أهل الحديث الجدد» مثل الصحويين، ولكن مع تشدد أعظم، حيث شددوا على منع لبس العقال. وبالنسبة إلى الثوب، فقد كانوا يرون أنه يجب أن لا يتعدى نصف الساق (أي أربعة أصابع تحت الركبة)، وفي الغالب كان هذا لتمييز أنفسهم من الصحويين الذين يرتدون الثوب حتى الكعب. وكما قال أحد أعضاء هذه الجماعة مازحاً «لقد كان الهدف هو أن واجب إظهار تواضع الشخص أمام الله هو أقوى من سخرية الناس»(٦٢).

أخيراً، كان بعض المنتمين إلى «أهل الحديث الجدد»، يميلون إلى تقليد الرسول(ﷺ) حتى في تطويل شعرهم، وهنا كان القصد مجدداً هو التميز من الصحويين الذين كانوا يرون أن مصلحة الدعوة تقتضي أن يكون الشخص حسن المظهر(٦٣).

قواعد «أهل الحديث الجدد» المبكّرة في السعودية

لقد بدأ فصيل «أهل الحديث الجدد» في التشكل في الجامعة الإسلامية بالمدينة خلال الستينيات، وبخاصة في «دار الحديث»، وهو معهد ديني ملحق بالجامعة. إن تاريخ هذا المعهد يوضح بصورة بليغة كيف أدى تأثير تيار «أهل الحديث» الهندي في السعودية إلى بزوغ تيار «أهل الحديث الجدد». لقد تأسس معهد «دار الحديث» في عام ١٩٣١، بواسطة شيخ ينتمي إلى تيار «أهل الحديث» الهندي كان يعيش في المدينة واسمه أحمد بن محمد الدهلوي(٦٤) الذي كان مهتما بتشجيع دراسة الحديث في الحجاز، وبالطبع نشر أفكار حركته هناك. وبعد وفاته عام ١٩٥٥، أصبحت إدارة المعهد تحت سيطرة شيخ من مالي متخصص في الحديث كان اسمه عبد الرحمن الأفريقي. وبعد وفاته في عام ١٩٥٧، أصبح المعهد تحت إدارة عمر فلاتة(٦٥) الذي يعود أصله إلى

غرب أفريقيا. وفي عام ١٩٦٤، تم إلحاق المعهد بالجامعة الإسلامية بالمدينة[٦٦] حيث تم تحويله إلى قسم الحديث في تلك الجامعة حتى عام ١٩٧٦، عندما تم تأسيس قسم خاص لهذا الغرض في الجامعة[٦٧].

وخلال الستينيات، كان الألباني يزور «دار الحديث» كثيراً لإلقاء محاضرات، وكان أحد تلامذته علي المزروعي يُدَرِّس هناك. لقد كان هناك خلافات حادّة بين تلامذة الألباني، من جهة، الذين كان يُنظر إليهم كثوريين في دراسة الحديث، ومناصري الأفكار التقليدية لدراسة الحديث من جهة أخرى، مثل حمّاد الأنصاري وعمر فلاتة مدير المعهد.

وخلال السبعينيات، زاد تأثير تيار الألباني في المعهد، وهو تطور أدّى، كما سنرى، إلى الصعود القوي لـ «جسم». ولكن بسرعة وصل تأثير الألباني للمكان الرئيس الآخر لتدريس الحديث، أي الحجاز الذي بقي تحت إدارة العلماء الذين يفضلون المنهج التقليدي. وكان هذا المكان هو «دار الحديث الخيرية» في مكة وهو معهد أسسه عام ١٩٣٣ عبد الظاهر أبو السمح[٦٨]، وهو من أعضاء جماعة أنصار السنة المحمدية المصرية الذي كان قد أصبح قبلها بعدة سنوات إماماً للمسجد الحرام[٦٩]. ومنذ السبعينيات ولاحقاً، زاد عدد «أهل الحديث الجدد» هناك بصورة كبيرة. وأخيراً ظهر في كل من الرياض وبريدة مجموعات صغيرة مرتبطة بـ «أهل الحديث الجدد» بقيادة شخص له كاريزما، وفي الغالب إمام لمسجد.

خلفاء الألباني

ومع زيادة أعضاء جماعة «أهل الحديث الجدد» بصورة كبيرة، شهدت السبعينيات انقساماً بين تلاميذ الألباني حول الموقف تجاه النظام الحاكم على الرغم من زعم الجماعة الابتعاد عن السياسة. وهكذا برز موقفان خلال تلك الفترة:

الأول: يدعو إلى رفض فعّال للدولة ومؤسساتها وتبلور ليصبح ما أطلقنا عليه «التيار الرفضي» الذي كانت أولى تجلياته اقتحام المسجد الحرام في مكة عام ١٩٧٩ من قبل فصيل راديكالي من أعضاء «جسم»[*].

(*) أي «إخوان جهيمان» أو «جماعة جهيمان». (المترجم).

الثاني: يدعو إلى تأييد مطلق للحاكم، وتجلّى ذلك الموقف في أعقاب حرب الخليج(*) في ما يسمى بـ «التيار الجامي» نسبة إلى الشيخ محمد أمان الجامي الذي يعتبر الشخصية الرئيسة والمؤسسة لهذا التيار.

جهيمان والرفضيون

دلت البحوث الحديثة[٧٠] أن الجماعة التي قادها جهيمان لاقتحام واحتلال المسجد الحرام لمدة أسبوعين من ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر حتى ٤ كانون الأول/ديسمبر في ١٩٧٩، كانت، فصيلاً راديكالياً من «جسم». وكانت «جسم» قد تأسست في المدينة في أواسط الستينيات بواسطة تلاميذ للألباني كانوا غير راضين عن تزايد النفوذ الاجتماعي لجماعة الإخوان المسلمين و«الصحوة» الوليدة و«جماعة التبليغ». وكانت «جسم» قد ميزت نفسها اجتماعياً باتباع معظم ممارسات الألباني المميزة في الصلاة والملبس. واستطاعت «جسم» أن تتطور بحماية عبد العزيز بن باز الذي أصبح يقود المؤسسة السعودية الدينية بعد وفاة المفتي محمد بن إبراهيم عام ١٩٦٩، وكان قد وافق على أن يُسمّى بـ المرشد الأعلى لـ «جسم». الألباني كان يزور «جسم» دائماً عندما يأتي للحج ويلقي محاضرات في «بيت الإخوان»، وهو مركز للجماعة يقع في ضواحي المدينة.

إحدى أهم سمات «جسم»، كانت موقفها من السياسة والسلطة، حيث ابتعد أعضاؤها عن الاهتمام بالسياسة لأنها، كما قالوا، تلهي المؤمن الحقيقي عن تحصيل العلم وتؤثر في سلامة العقيدة. وبالتالي، وجّهوا ـ مثل الألباني ـ سهام نقدهم إلى جماعة الإخوان المسلمين. ولذلك عندما ادعى أعضاء في «جسم» أن النظام السعودي، مثل غيره من الحكومات في العالم الإسلامي، غير شرعي، فإنهم لم ينطلقوا ـ بداهة ـ من حافز سياسي ولكن من مبدأ ديني بسيط، وهو أن أولئك الذين يمسكون بالسلطة لا ينحدرون من قبيلة الرسول (ﷺ) قريش، وهو الشرط الضروري للحكم الذي قال به معظم الفقهاء القدامى والذي أخذ به الألباني. ونتيجة لذلك، فإن البيعة التي تربط بين النظام السعودي ومواطنيه تعتبر بالنسبة

(*) أي حرب تحرير الكويت في كانون الثاني/يناير ١٩٩١. (المترجم).

إليهم باطلة ولكن هذا لا يعني مطلقاً تكفير العائلة الحاكمة السعودية.

ولكن بالنسبة إلى البعض في «جسم» من الذين جُذبوا بخلاف إرادتهم نحو السياسة التي يرفضون الخوض فيها رسمياً، فقد كان هناك عدد من المظالم المحددة التي أخذوها ضد العائلة الحاكمة مثل تعاملها مع الغرب ووجود فساد، ولذلك اندمجوا مع فكرة هذا المبدأ(*). هذا الاهتياج المتصاعد داخل «جسم»، ساهم بصورة كبيرة في الانقسام الذي مزّقها عام ١٩٧٧، وانتهى بخروج مجموعة راديكالية صلبة تلتفّ حول جهيمان [أي إخوان جهيمان]. وعلى الرغم من ذلك، يجب أن نلاحظ أنه مهما كانت درجة تطرّفهم، إلا أن جهيمان ورفاقه لم يتخطوا أبداً الخط الأحمر، أي التكفير، وواصلوا التمسك رسمياً بمواقف «جسم» والألباني بخصوص الموقف من النظام؛ فكيف، إذاً، يمكن التوفيق بين هذه الأفكار الثورية داخل ذلك الجزء الراديكالي من «جسم» مع الموقف الفقهي الذي يرفض تكفير الحكام والذي من دونه لا يجوز ولا يمكن معارضتهم من الناحية الشرعية خاصة بالسلاح؟ لقد عُثر على الحل - إذا كان بإمكان المرء أن يجرؤ على قول ذلك - عبر تدخل إلهي؛ ففي أواخر عام ١٩٧٨، أعلن جهيمان لأعضاء جماعته أن ظهور المهدي المتوقع في نهاية الزمان ليحقق الرخاء والعدل في الأرض أصبح وشيكاً، وبعد عدة شهور علم الرفاق أن ذلك المهدي لم يكن غير محمد عبد الله القحطاني، وهو رفيق قديم لجهيمان في «جسم». ولكي تتحقق النبوءة بالكامل بحسب الحديث الشريف، فإنه ينبغي مبايعة المهدي في المسجد الحرام في مكة بين الركن والمقام. وكان التاريخ الذي اختير لتلك اللحظة هو مطلع اليوم الأول في السنة الهجرية ١٤٠٠ الموافق ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩. ولذلك يمكن فهم منطق اقتحام المسجد الحرام بحسب هذا المنطق المهدوي الذي لا يبدو أن له علاقة بأي استراتيجية سياسية(**). الاقتحام فشل

(*) أي الخلافة في قريش لقوله (ﷺ): «الأئمة من قريش» رواه أحمد وصححه الأرناؤوط، وأصله في الصحيحين بغير هذا اللفظ. كما روى مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». (المترجم).

(**) من الصعب الجزم ١٠٠ في المئة بصحة هذا الاستنتاج من دون دليل مقنع. وكنت أظن خلاف ذلك حتى سمعت مؤخراً تلميذ جهيمان الشيخ أبو محمد المقدسي يقول في حوار خاص موجود على موقع يوتيوب بعنوان (الحقيقة المغيبة، جهيمان العتيبي وحادثة الحرم ٣/ ١): «وحادث =

تماماً وتمّ القبض على جهيمان وأصحابه وأعدم العديد منهم وسجن البقية. وبعد وقت ليس بطويل، اتُّهِم الألباني بالمسؤولية الفكرية عن تكوين «جسم» وبالتالي بصورة غير مباشرة بأزمة ١٩٧٩. ثم مُنع الألباني من دخول السعودية لعدة سنوات، لكن ذلك الحظر رفع بسرعة بتدخل من ابن باز كما حدث في مرات سابقة.

المدخلي والجامية

اقتحام المسجد الحرام سبّب ضربة قاسية إلى تيار «أهل الحديث الجدد» الرفضي، وقاد داخل الحركة الأوسع لأهل الحديث الجدد، إلى شعار مبالغ فيه ظاهرياً من الولاء إلى الأسرة الحاكمة كما لو كان على سبيل التعويض، ما أدى إلى صعود فصيل موالٍ من «أهل الحديث الجدد» تحت رعاية شخصيتين مرموقتين هما الشيخ محمد أمان الجامي، الذي سمي التيار باسمه أي التيار الجامي، والشيخ ربيع المدخلي، وكلاهما أُستاذان للحديث في الجامعة الإسلامية بالمدينة(*). ومن حيث المبدأ، واصل الجاميون في الغالب اتّباع تعاليم الألباني باستثناء رأيه في رفض شرعية الحاكم غير القرشي، مثل حالة الدولة السعودية التي اعتبروها دولة إسلامية نقية.

وبينما كانوا هامشيين نسبياً في نهاية الثمانينيات، إلا أنهم وجدوا أنفسهم يندفعون نحو المقدمة بحلول حرب الخليج بعدما وصلت قوات أمريكية للدفاع عن السعودية بعد خمسة أيام من غزو العراق للكويت في ٢ آب/ أغسطس ١٩٩٢، ما أثار بعض الاهتياج في السعودية. لقد كان هذا الحادث هو الذي أدى إلى تحول حركة «الصحوة» التي يمكن اعتبارها نسخة سياسية من السلفية لتصبح حركة معارضة ضد النظام السعودي وتطالب بمغادرة الأمريكان، وإصلاح شامل للنظام السياسي. وضد موجة الاحتجاج هذه، أصبح الجاميون الذين يملكون خبرة فكرية كبيرة في مواجهة الإخوان

= الحرم عندما حدث لم يكن ـ كما صوّره بعض الكتّاب ـ ثورة ضد النظام السعودي لأن الجماعة كانت بسيطة ولا تكفّر الأنظمة فضلاً عن النظام السعودي، ولكن الجماعة دخلت الحرم وتؤولت في حمل السلاح لأنها فسّرت حرفياً أحاديث المهدي. . .». (المترجم).

(*) محمد أمان الجامي (١٩٣٠ ـ ١٩٩٥) أستاذ العقيدة، وربيع المدخلي (م. ١٩٣٢) أستاذ الحديث. (المترجم).

المسلمين والصحوة منذ الستينيات، حليفاً مهماً للنظام. وبسرعة فائقة مُنحوا موارد كبيرة ليقوموا بهجوم فكري مضاد على المعارضة الإسلامية، وهكذا حصل الجامي والمدخلي وآخرون على منابر رسمية لخطبهم التي استعملوا فيها المهارة الخطابية المجربة لـ «أهل الحديث الجدد» ضد أعدائهم في «الصحوة». لقد ادّعوا أن معارضة «الصحوة» للنظام السعودي ليست سوى نتيجة متوقعة لجهل الصحويين بالعلم الشرعي وانتهازيتهم الواضحة. وهكذا واجه الجاميون السلفية السياسية للصحوة بموقف «لاسياسي» متمكّن وعنيف مع ولاء غير مشروط للأسرة الحاكمة(٧١).

تصدير «أهل الحديث الجدد» إلى الخارج

على الرغم من أن الديناميكيات التي أدت في البداية إلى ولادة «أهل الحديث الجدد» ينبغي أن تفهم داخل سياق سعودي، إلا أن الحركة تم تصديرها بسرعة خارج جزيرة العرب حتى أصبحت اليوم تشكل عنصراً لا يمكن تجاهله للإسلام السلفي في العديد من الدول الغربية والإسلامية. لقد كانت وسيلة تصديرها تتكون من نوعين:

الوسيلة الأولى، لتصدير فكر «أهل الحديث الجدد» كانت **شخصية** [Personal]، فقد كان، على أية حال، الألباني نفسه في أي بلد جلس فيه يدرب طلاباً يناضلون لنشر رسالته، كما في سوريا، حيث أقام فيها حتى عام ١٩٧٩، والأردن التي انتقل إليها في ما بعد واستقر فيها حتى مماته. الحرية التي تمتع فيها في المملكة الهاشمية تشرح نسبياً ترسُّخ وجود «أهل الحديث الجدد» في ذلك البلد(٧٢). والناقل الكبير الآخر لمبدأ «أهل الحديث الجدد» كان اليمني مقبل الوادعي وهو أحد تلامذة الألباني، وكان عضواً في «جسم» في السبعينيات قبل طرده سنة ١٩٧٨ إلى بلده اليمن، حيث أصبح فيها الأب المؤسس للسلفية. النفوذ الديني والاجتماعي للوادعي في اليمن، يشرح الدور المركزي الذي تمتع به «أهل الحديث الجدد» في السلفية اليمنية.

أما **الوسيلة الثانية**، لتصدير «أهل الحديث الجدد»، فقد كانت **مؤسسية** [Institutional]. بينما كان «أهل الحديث الجدد» يحصلون على مراكز صغيرة نسبياً داخل المؤسسات الدينية في المملكة حتى نهاية الثمانينيات، إلا أن بروز «الجامية» في ١٩٩١/١٩٩٢ كان قوياً لدرجة أن

أنصارها مُنحوا مناصب رئيسة في عدد كبير من المؤسسات العلمية التي كان بعضها مرتبطاً بتصدير «الإسلام السعودي». أهم هذه المؤسسات كانت الجامعة الإسلامية بالمدينة التي سيطر عليها الجامي والمدخلي اللذين استطاعا فصل جميع الأساتذة المنتمين إلى الإخوان المسلمين والصحوة. لقد كان الرهان عظيماً هنا، لأن أغلبية طلاب الجامعة كانوا من الأجانب الذين سيعودون إلى أوطانهم بعد إنهاء تعليمهم. **ولذلك فإن تحويل هذه الجامعة إلى قلعة «جامية» منذ ١٩٩٢/١٩٩٣، كان له تأثير عظيم على السلفية المصدّرة من السعودية. لقد ترسخت السلفية ـ مثلاً ـ في فرنسا في الغالب عن طريق خريجي هذه الجامعة مثل الإمام عبد القادر بوزيان الذي طرد إلى الجزائر عام ٢٠٠٤[٧٣]، والذي عاد من المدينة في أواسط التسعينيات، وهذا يشرح إلى حدّ كبير لماذا يحتل تيار «أهل الحديث الجدد» و«الجامية» موقعاً مسيطراً داخل كيان الإسلام السلفي في فرنسا.**

النتيجة: «أهل الحديث الجدد» اليوم

وفّر ناصر الدين الألباني المبدأ الأساس الذي كان ضرورياً لبزوغ تيار «أهل الحديث الجدد» عبر آرائه الفقهية الأصيلة ومعارضته النفوذَ المتزايد للإخوان المسلمين وتيار الصحوة في الفضاء الديني السعودي وما بعده، مع رغبة في إعادة تشكيل وتجديد الوهابية، مع المحافظة على موقفه القوي ضد التدخل في السياسة. **هذا التيار يعتبر اليوم مسيطراً داخل الحركة السلفية في العديد من الدول مثل فرنسا واليمن. كما إن له وجوداً قوياً جداً في دول أخرى مثل السعودية والأردن والكويت والجزائر، التي أدركت أنظمتها الحاكمة منذ فترة طويلة فائدة هذا التيار لعمل توازن مع صعود نموذج من السلفية السياسية التي تشكّل تحدياً غير مسبوق لسلطاتهم. ولهذا السبب تحديداً، وفي عالم ما بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، فإن هذه الأنظمة تعتبر هذا التيار ضرورياً، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه مطلقاً. وهذا هو السبب ـ جزئياً على الأقل ـ الذي سيجعل هذا التيار يواصل الانتعاش والازدهار في السنوات القادمة ليصبح بالتالي أحد أهم مكونات الإسلام السلفي.**

هوامش الفصل الثاني

(١) المحدِّثون هم علماء متخصصون في الحديث.

(٢) بناءً على مقولة تنسب إلى الشيخ عبد العزيز بن باز.

(٣) انظر: كتاب هنري لاؤوست، **السلفية الإصلاحية وخصائصها العامة واتجاهها الحالي**.

(٤) هذا يعود إلى المسلمين الصالحين في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام.

(٥) للمزيد عن هذا المبدأ، انظر رويل ميير في مقدمة كتاب **السلفية العالمية: الحركة الإسلامية الجديدة**، (لندن، هورتس أندكومبني، ٢٠٠٩)؛ انظر أيضاً: برنارد هيكل عن **طبيعة الفكر السلفي وعمله**، مرجع سابق، ص ٣٣ ـ ٥٧.

(٦) عن فكر ابن عبد الوهاب، انظر: ديفيد كمنز **الدعوة الوهابية والعربية السعودية** (لندن: I. B. Tauris للنشر، ٢٠٠٦)؛ انظر أيضاً: عبد العزيز الفهد **من الإقصائية إلى الاستيعاب: التطور المبدئي والشرعي للوهابية**، مجلة جامعة نيويورك سيتي للقانون ٧٩، العدد ٢، أيار/ مايو، ٢٠٠٤، ص ٤٨٥ ـ ٥١٩.

(٧) مصطلح فقه يترجم أحياناً بـ «Jurisprudence»، أي «فلسفة التشريع وعلم القانون» ولكن لكون فلسفة الألباني ترفض تماماً مبدأ الفقه، فربما من الأفضل فهمه هنا كقانون.

(٨) انظر: كمنز، مرجع سابق، ص ١٢.

(٩) السنّة النبوية، عند أهل السنة والجماعة، هي ما ورد عن الرسول محمد (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير.

(١٠) الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، (د.ت ـ د.ن ص ٣٩).

(١١) انظر: فرانك فوغل، **القانون الإسلامي والنظام القانوني: دراسات عن السعودية**، (ليدن: بريل: ٢٠٠٠)، ص ٧٤ ـ ٧٦.

(١٢) باربرا ميتكالف، **الإحياء الإسلامي في الهند البريطانية: ديوبند، ١٨٦٠ ـ ١٩٠٠** (برنستون: نيوجرسي: دار جامعة برنستون للنشر، ١٩٨٢). ص ٢٧٠ ـ ٢٧٨.

(١٣) كمنز، مرجع سابق، ص ١٤٥.

(١٤) لهذا السبب يسمى أهل الحديث في الهند أحياناً بـ الوهابيين.

(١٥) ميتكالف، مرجع سابق، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧.

(١٦) انظر: عبد الله البسام، **علماء نجد خلال ثمانية قرون** (الرياض: دار العاصمة، ١٣٩٨)، ص ٢٢٣.

(١٧) انظر: إبراهيم محمد العلي، **محمد ناصر الدين الألباني ـ محدِّث العصر وناصر السنة**، (دمشق: دار القلعة، ٢٠٠١). ص ١١ ـ ١٧.

(١٨) ديفيد كمنز، الإصلاح الإسلامي: **السياسة والتغير الاجتماعي في أواخر سوريا العثمانية** (نيويورك: دار جامعة أكسفورد للنشر، ١٩٩٠). ص ٤٢.

(١٩) الإجازة هي شهادة يصدرها عالم دين لأحد طلابه الذي يعتبره قادراً على تدريس جزء أو جميع تعاليمه.

(٢٠) انظر: عبد الله بن محمد الشمراني، **ثبت مؤلفات المحدِّث الكبير الإمام محمد ناصر الدين الألباني**.

(٢١) انظر: موقع <www.saaid.net> نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية لفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين ابن الحاج نوح (رحمه الله) الألباني.

(٢٢) انظر: كمنز، **«الإصلاح الإسلامي» لتعريف مصطلح «علماء الهامش»**؛ أيضاً انظر: مليكة زيغال، **حرّاس الإسلام** (باريس: معهد الدراسات السياسية، ١٩٩٦)، ص ٢١.

(٢٣) انظر: الشمراني، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢٤) انظر: محمد المجذوب، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

(٢٥) انظر: دانيال براون، **إعادة التفكير في التراث في الفكر الإسلامي الحديث**، (كامبردج: مطبعة جامعة كامبردج، ٢٠٠٣)، ص ٤٠ ـ ٤١.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١١٣ ـ ١٧.

(٢٧) انظر: محمد المجذوب، مرجع سابق، ص٢٩١.

(٢٨) انظر: الشمراني، مرجع سابق، ص ١٠٩ ـ ١١٠

(٢٩) انظر: براون، مرجع سابق، ص ٤١.

(٣٠) يوصف الحديث بالضعيف عندما يكون هناك أسباب قوية للشك في صحته.

(٣١) العلي، مرجع سابق، ص٣٠.

(٣٢) انظر: سيرة محمد ناصر الدين الألباني على الموقع الآتي: .<www.islamway.com>

(٣٣) مقابلة مع سعود السرحان، الرياض، نيسان/ أبريل ٢٠٠٥.

(٣٤) **الرد الأول** كان بعنوان «إباحة التحلّي بالذهب المحلّق للنساء، والرد على الألباني في تحريمه». انظر الشمراني، مرجع سابق، ص ١٦١. **والرد الثاني** الذي جاء كرد فعل على ادعاء الألباني أن محمد بن عبد الوهاب كان جاهلاً في الحديث، وهو رد

بعنوان «الانتصار لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بالرد على مجانبة الألباني للصواب». انظر: الشمراني، مرجع سابق، ص ١٦٤. كما إن قائمة الشمراني تحتوي على ثلاثة عناوين لردود أخرى في الصفحات ١٦٥ ـ ١٧٥.

(٣٥) مقابلة مع تلميذ سابق للألباني، الرياض، كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥.

(٣٦) انظر الموقع: <www.islamway.com>.

(٣٧) العلي، مرجع سابق، ص ٣١.

(٨) انظر: محمد سرور زين العابدين «الشيخ محدث العصر في ذمة الله» مجلة **السنة**، عدد ٩٠، رجب ١٤٢٠، تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٩.

(٣٩) انظر الموقع: <www.islamway.com>.

(٤٠) انظر كوينتان فيكتوروفيتش، **إدارة الحركية الإسلامية: السلفيون، الإخوان المسلمين وسلطة الدولة في الأردن** (ألبني: مطبعة جامعة نيويورك، ٢٠٠٩)، ص ١٢٠.

(٤١) العلي، مرجع سابق، ص٣١.

(٤٢) هذا يفسر ملاحظة فرانك فوغل، أنه خلال الثمانينيات كان «**العلماء السعوديون أكثر ميلاً للزعم بأنهم يحملون صفة** «مجتهد» أكثر من أسلافهم الوهابيين». واليوم يمكن المرء أن يلاحظ أن هناك تحفظاً وتكتماً عن الاعتراف بأتباع أي مدرسة فكرية. انظر: فوغل، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٤٣) مقابلة مع عضو سابق في حركة «أهل الحديث الجدد»، جدة، نيسان/أبريل ٢٠٠٥.

(٤٤) التسجيلات متوافرة على الموقع الآتي: <www.albrhan.org>.

(٤٥) يتذكر عضو الإخوان المسلمين محمد المجذوب، أنه في اليوم الذي حكم على سيد قطب بالموت، طلب منه ابن باز أن يكتب برقية احتجاج لكي ترسل إلى نظام عبد الناصر. وبفعل صدمة موت قطب الوشيكة كتب المجذوب البرقية بلغة عنيفة. وعندما قرأها على ابن باز كان يعتقد أنه سيطلب منه تخفيف لهجتها، ولكنه اندهش عندما وافق الشيخ الكفيف على كل كلمة في البرقية وطلب منه أن يرسلها على الفور. وبحسب المجذوب، فإن هذه البرقية كانت الاحتجاج الوحيد الذي صدر من العالم الإسلامي واستلمه عبد الناصر في هذه المناسبة. انظر: المجذوب، مرجع سابق، ص ٩١.

(٤٦) راجع شريط الألباني: «مفاهيم يجب أن تصحح».

(٤٧) التسجيل موجود على الموقع الآتي: www.albrhan.org>.

(٤٨) راجع شريط الألباني بعنوان «صلاح الظاهر والباطن».

(٤٩) المجذوب، مرجع سابق، ص ٣٠٢.

(٥٠) المصدر نفسه.
(٥١) لهذه الفتوى انظر: فيكتوروفيتش، مرجع سابق، ص ١٦٩، هامش ٧٦.
(٥٢) مقبل الوادعي، مرجع سابق، ص ٩٠.
(٥٣) المصدر نفسه، ص ٩٦.
(٥٤) أنصار السنة المحمدية، هي جماعة مصرية متأثرة بالوهابية، تأسست في القاهرة عام ١٩٢٦.
(٥٥) الوادعي، مرجع سابق، ص ٩٠ ـ ١٠٠.
(٥٦) المصدر نفسه، ص ١٠١ ـ ١٠٢.
(٥٧) المصدر نفسه، ص ١٠٦ ـ ١٤.
(٥٨) المصدر نفسه، ص ١٢٣.
(٥٩) الألباني، شريط «مفاهيم يجب أن تُصحَّح».
(٦) التسجيل موجود على موقع الآتي: <www.islamgold.com>.
(٦١) مقابلة مع ناصر الحزيمي، الرياض، آذار/ مارس ٢٠٠٥.
(٦٢) مقابلة مع عضو سابق من حركة «أهل الحديث الجدد»، جدة، نيسان/ أبريل ٢٠٠٥.
(٦٣) المصدر نفسه.
(٦٤) الفهرس السنوي للجامعة الإسلامية بالمدينة، عام ١٩٧٨، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٦٥) المجذوب، مرجع سابق، ص ١٥١ ـ ١٧٥
(٦٦) الفهرس السنوي، مرجع سابق، ص ٢٠٩.
(٦٧) المصدر نفسه، ص ١١٣.
(٦٨) المصدر نفسه، ص ٢٢٥.
(٦٩) انظر: رينهارد شولزيه، «الأممية الإسلامية في القرن العشرين»، ص ١٤٢.
(٧٠) انظر: شرحنا في الفصل الأول.
(٧١) هذا العرض للجاميّة هو نتيجة ملاحظات ومقابلات ميدانية جرت في السعودية بين عامي ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٦.
(٧٢) انظر: كوينتان فيكتوروفيتش، مرجع سابق، ص ٤٦ ـ ١١٠.
(٧٣) انظر: سمير أمغار، السلفيون الفرنسيون: الأرستقراطية الدينية الجديدة؟، مجلة مغرب ـ مشرق ١٨٣ (ربيع ٢٠٠٥)، ص ١٥.

انتهى الكتاب الأصلي

الملاحـق

جميع هذه الملاحق من إعداد وترجمة وتعليق د. حمد العيسى.

الملحق الرقم (١): فقرة من كتاب ساندرا ماكي، «السعوديون: داخل المملكة الصحراوية».

الملحق الرقم (٢): فقرات من كتاب ياروسلاف تروفيموف: «حصار مكة: انتفاضة عام ١٩٧٩ في أقدس بقعة إسلامية».

الملحق الرقم (٣): نص حوار صاحب السمو الملكي الأمير [خادم الحرمين لاحقا] فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله مع صحيفة **السفير** اللبنانية، المنشور بتاريخ ٩ كانون الأول/ يناير ١٩٨٠.

الملحق الرقم (٤): نص حوار صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله، مع صحيفة **السفير** اللبنانية، المنشور بتاريخ ١٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٠.

الملحق (الرقم ٥): بيان من هيئة كبار العلماء بشأن الاعتداء على المسجد الحرام ويليه بيان العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

الملحق الرقم (٦): برقيات دبلوماسية أمريكية عن حادثة الحرم المكي.

الملحق الرقم (٧): معرض لبعض الصور الخاصة بحادثة الحرم المكي.

الملحق الرقم (٨): قالوا «عن حتى لا يعود جهيمان».

الملحق الرقم (١)

الموضوع: سلاح جماعة جهيمان ـ فقرة من كتاب ساندرا ماكي

المصدر: ساندرا ماكي(*)، «السعوديون: داخل المملكة الصحراوية»، نسخة شعبية بالغلاف الورقي (بيبر باك)، ٢٠٠٢، دبليو دبليو نورتون وشركاه للنشر.

تقول ساندرا ماكي في صفحة ٢٣١ من كتابها **السعوديون: داخل المملكة الصحراوية:**

«ولكن وبعد شهرين من إنهاء التمرد في مكة المكرمة، قال لي الشيخ عبد العزيز التويجري، نائب رئيس الحَرس الوطني المساعد، إن الأسلحة التي استعملتها جماعة جهيمان جاءت مباشرة من مخازن الحرس الوطني، ونقلت في قوافل من شاحنات الحرس الوطني» انتهى النقل.

Sheikh Abdul Aziz al-Tweijry, assistant deputy commander of the National Guard, told me that Juhaiman's weapons came directly from the stores of the National Guard and were driven into the mosque in convoys of National Guard trucks.

انتهى الملحق الرقم (١)

(*) ساندرا ماكي باحثة أمريكية تحمل شهادة الماجستير في الشؤون الدولية من جامعة فرجينيا ولها شغف بالعرب وحضارتهم. درّست العلوم السياسية في جامعة ولاية جورجيا. وصلت ساندرا ماكي إلى السعودية في عام ١٩٧٨، مع زوجها الذي عمل طبيباً في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض. أصدرت ٦ كتب عن الشرق الأوسط.

الملحق الرقم (٢)

الموضوع: فقرات مترجمة بتصرف وإيجاز عن جماعة جهيمان من كتاب ياروسلاف تروفيموف: «حصار مكة: انتفاضة عام ١٩٧٩ في أقدس بقعة إسلامية»:

المصدر: ياروسلاف تروفيموف(*)، «حصار مكة: انتفاضة عام ١٩٧٩ في أقدس بقعة إسلامية»، نسخة شعبية بالغلاف الورقي (بيبر باك)، ٢٠٠٨، أنكور بوكس للنشر، ٣٠١ صفحة حجم وسط.

أولاً: السلاح، يقول ياروسلاف تروفيموف في صفحة ٥٠ من الكتاب المذكور:

«بعض الأسلحة التي جمعها جهيمان أيضاً جاءت من مخازن الحرس الوطني، وكانت جديدة وفي صناديقها الأصلية. وبعض المسدسات والذخيرة الأخرى كانت مهرّبة عبر الحدود من اليمن أو من فصائل لبنان المتحاربة. فالمملكة على أية حال كانت تعجّ بالأسلحة العسكرية. ففي عام ١٩٧٨ لوحده، صادرت دوريات سلاح الحدود ١٢٠٠ بندقية مهربة، و٤٨١ مدفع رشاش، و٧٣٥٨ مسدساً، وأكثر من مليون قطعة ذخيرة. وأكثر من كل هذا

(*) ياروسلاف تروفيموف كاتب صحافي أمريكي من أصل أوكراني. ولد في أوكرانيا في عام ١٩٦٩، وانتقل إلى نيويورك لدراسة الصحافة والعلوم السياسية في جامعة نيويورك. حصل على الجنسية الأمريكية. عمل مراسلاً لصحفية وول ستريت جورنال في السعودية، وغطى مناطق الشرق الأوسط وأفريقيا وجنوب شرق آسيا. يتقن العربية. ذكر في كتابه أنه حصل على فيزا لدخول السعودية من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض لتنفيذ هذه الدراسة، وسمح له بمقابلة العديد من الشهود على حادثة الحرم المكي ليكتب القصة شبه الكاملة في كتابه المذكور.

بقي خفياً. التجمعات البدوية في السعودية تفتخر بامتلاك الأسلحة. وإذا لم تكن بنادق AK-47 (كلاشنكوف)، فعلى الأقل بنادق بريطانية قديمة» انتهى النقل بتصرف وإيجاز.

تعليق المترجم على مصدر السلاح

وللتوفيق بين روايتي مصدر السلاح أي اليمن كما ورد في الكتاب، أو الحرس الوطني بحسب ماكي وتروفيموف، يمكن القول إن السلاح حُصل عليه من هذين المصدرين معاً.

ثانياً: موقف الشيخ ابن باز حول ظهور المهدي. ويقول ياروسلاف تروفيموف في صفحة ٥١ من الكتاب المذكور:

«وتقرر في اجتماعات محمومة بين أعضاء جماعة جهيمان أن الأحلام تدعو لعمل عنيف. وقال جهيمان إن على المؤمنين أن يعملوا بأمر الله ويتجمعوا كلهم في المسجد الحرام لتحقيق النبوءة. ولتحقيق مساندة أعرض، قرر جهيمان إرسال مبعوث خاص إلى الشيخ ابن باز بنفسه. وفي اجتماع بالرياض مع مبعوث جهيمان، استمع الشيخ الأعمى بصبر للمجادلات اللاهوتية ولكنه لم يقتنع. أولاً، كما قال ابن باز للمبعوث، إنه يرفض أن يعتقد أن محمد عبد الله حقاً مؤهل لتنطبق عليه شروط المهدي. فالمهدي الحقيقي ـ يقول ابن باز ـ سوف يبزغ لوحده بمشيئة الله بدون أي حاجة لتدخل بشري، وأي فرضٍ للمهدي ومبايعة له كما يخطط جهيمان ـ حَذّر ابن باز ـ لن تلاقي قبولاً شاملاً وسينتج عنها فتنة عظيمة بين المسلمين. المبعوث لم يخبر ابن باز أن جهيمان يخطط لاستعمال السلاح أثناء مبايعة المهدي. وابن باز اختار أن لا يبلغ السلطات عن هذه المحادثة المقلقة». انتهى النقل بتصرف وإيجاز.

ثالثاً: تسامح الدولة السعودية. يشير تروفيموف في كتابه المذكور (ص ٢٥٤)، إلى أن الحكومة السعودية بالقياس والمقارنة مع المعيار الإقليمي تعتبر متسامحة ورحيمة بصورة لافتة، حيث احتضن «الحرس الوطني» أبناء جهيمان وسمح لهم بالعمل فيه.

رابعاً: المساهمة الاستشارية لفرقة القوات الفرنسية الخاصة في تحرير القبو. بحسب تروفيموف (ص ١٨٧ ـ ١٩٧)، عرض الرئيس الفرنسي ديستان على الملك خالد أن تساهم فرقة من القوات الفرنسية الخاصة لمكافحة الإرهاب (GIGN)(*) والمتخصصة في معالجة أزمات الرهائن في إنهاء تمرّد مكة. أحيل العرض الفرنسي على الجهة المختصة وتمت الموافقة حرصاً على حياة الرهائن وأهمية القبض على بقية المتمردين، وبخاصة جهيمان، وهم أحياء لاستجوابهم. وصلت الفرقة التي تتكون من ٣ ضباط إلى السعودية برئاسة الكابتن بول باريل (٣٣ عاماً)، أحد أبرز ضباط وحدة مكافحة الإرهاب، والضابط كريستيان لامبرت (٣٢ عاماً)، والضابط إيغنانس وديكي (٣٩ عاماً). طالع صور الضباط الفرنسيين الثلاثة في الملحق الرقم (٧) والتي تنشر لأول مرة في كتاب باللغة العربية. أقامت الفرقة في الطائف وقام ضباط سعوديون باستخدام خرائط الحرم لشرح الأزمة، خاصة وجود آخر المتمردين مع بعض الرهائن في قبو المسجد الحرام. وضع الكابتن بول باريل خطة لاستخدام غاز خاص يسمى «سي بي» (CB)، على شكل بودرة يشلّ الأعصاب مؤقتاً ويمنع المقاومة، ونجح سابقاً في حالات تحرير رهائن محتجزين، واقترح باريل أن يتم إدخال العبوات (أسطوانية الشكل وأطول من علب المشروبات

(*) GIGN: اختصار معكوس لـ (National Gendarmerie Intervention Group) أي «وحدة الدرك الوطني للتدخل». وهي وحدة العمليات الخاصة التابعة للقوات المسلحة الفرنسية. والدرك بالفرنسية تعني الشرطة. وهي في الأصل وحدة شرطة مدربة على مكافحة الإرهاب ومهمات إنقاذ الرهائن في فرنسا أو في أي مكان آخر في العالم. تم تشكيل GIGN في عام ١٩٧٣. والمفارقة هنا بالنسبة لنا كعرب أن تأسيس الوحدة كان رد فعل على حادثتين إرهابيتين إحداهما عربية (١) تمرد سجن كليرفو الفرنسي عام ١٩٧١ والذي نتج عنه خطف وقتل رهائن؛ ثم (٢) عملية إختطاف الرياضيين الإسرائيليين في أولمبياد ميونخ عام ١٩٧٢ التي أدت إلى مقتل ١١ رياضيا إسرائيليا وهي العملية التي نفذتها جماعة أيلول الأسود الفلسطينية (Black September Organization). وبدأت «وحدة الدرك الوطني للتدخل» بـ ١٥ عضوا ويبلغ عدد أعضائها الآن ٤٢٠. وبعد إنتهاء خدمة نائب رئيسها الكابتن بول باريل عام ١٩٨٤ نشر مذكراته بعنوان «مهمات خاصة جدا». ويشير موقع الوحدة على النت إلى أن الوحدة نفذت منذ إنشائها حتى الآن أكثر من ١،٠٠٠ عملية، وأنقذت أكثر من ٥٠٠ رهينة، واعتقلت مئات المشتبه بهم، وقتلت عشرات الإرهابيين؛ ولكنها خسرت عضوين من أفرادها قتلا في تلك العمليات. شعار الوحدة غير الرسمي هو «لإنقاذ الأرواح». (المترجم).

الغازية) عبر ثقوب في سقف القبو ثم يسحب سلك تفجير مربوط بها لتنفجر العبوة وينتشر الغاز داخل القبو. كما اقترح أن يشرف على تنفيذ العملية بنفسه لأن قصر الإليزيه أكد عليه بضرورة نجاح المهمة مهما كانت الظروف. وبعد مناقشة مع الضباط السعوديين، أعلن عن استعداده لاعتناق الإسلام حتى يدخل مكة، ولكن لم يُسمح له بذلك، وبقي في الطائف مع زميليه. وتم تنفيذ الخطة بواسطة فرقة عسكرية سعودية وبمساعدة عمال متخصصين في ثقب الخرسانة، ونجحت الخطة بصعوبة بالغة، حيث وقع ما لم يكن في الحسبان عندما قام المتمردون بإطلاق الرصاص من الأسفل إلى الأعلى عبر تلك الثقوب ليصاب بعض الواقفين في الأعلى، ولكن في النهاية تم إدخال عبوات الغاز عبر الثقوب، وانتشر الغاز، وأخيراً، تم اقتحام القبو بنجاح من قبل قوات سعودية بعد أن ضعفت مقاومة المتمردين بسبب تأثير الغاز. والأهم، كانت الخسائر قليلة للطرفين. انتهى النقل بتصرف وإيجاز.

خامساً: وجود اثنين من الأمريكيين السود ضمن المتمردين. يشير تروفيموف في كتابه المذكور (ص ٢٤٠ ـ ٢٤١)، إلى أن التحقيقات بعد إنهاء التمرد كشفت عن وجود اثنين من الأمريكيين السود (اللذين اعتنقا الإسلام في أمريكا وتطرفا في السعودية) ضمن المتمردين؛ أحدهما مات أثناء القتال والثاني كتبت له الحياة. طالع أيضاً الوثيقة الرقم ٢٩ و٣٥ في الملحق الرقم (٦). وينسب تروفيموف هذه المعلومة الهامة (وجود اثنين من الأمريكيين السود ضمن المتمردين) لناصر الحزيمي، من ضمن آخرين في هوامش كتابه (ص ٢٨٨)؛ ومثل هذه الحقيقة الهامة هي ما دعتنا إلى التحفظ على ما يقوله الحزيمي؛ حيث لم يشر إليها في كتاباته وهذا هو الفرق بين قول «حقائق» وقول «الحقائق» الذي أشرنا إليه في «كلمة المترجم».

يقول تروفيموف (ص ٢٤١):

«أولئك الذين أعدموا علناً لم يشملوا الأمريكيين الاثنين السود المتحولين للإسلام واللذين انضما للمتمردين. لقد كان هناك معلومة مزعجة عنهما. هذين الأمريكيين تحولا للإسلام بسبب حملات الدعوة التبشيرية

للإسلام التي تدعمها السعودية في أمريكا، وتطرفا بعد وصولهما إلى السعودية للدراسة. لا أحد كان يريد أن يسلط الضوء على الجانب المظلم لتلك النشاطات التبشيرية الإسلامية السعودية في أمريكا. برقيات الخارجية الأمريكية وصفتهما دبلوماسياً بـ «أمريكيين مفقودين قد يكونان ضحية لتمرد مكة في ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر».

فقط بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٧٩، سأل السفير وست وزير الداخلية نايف، عنهما بعد اجتماع أمني بينهما. رد الأمير نايف: «أحدهما كان بالتأكيد إرهابياً وليس على قيد الحياة. والثاني ما يزال تحت التحقيق». وكتب وست في دفتر يومياته بحنق: «أعتقد أن هذا يعني أن رأساً ستقطع ولكن هذا أفضل ما نستطيع عمله».

وفي اجتماع آخر مع السفير وست في ١٩ يناير ١٩٨٠، أشار الأمير نايف إلى أن «المشتبه به» الأمريكي ما يزال معتقلاً. تفاجأ السفير وست. وفي تلك الليلة كتب وست في يومياته كآخر معلومة عن هذه القضية «لقد اعتقدت أنه أعدم الأسبوع الماضي».

وبحسب موظفين دبلوماسيين أمريكيين في السعودية في ذلك الوقت، فإن السجين الأمريكي الثاني نجا من سيف السيّاف؛ فمنذ البداية، تم حبسه منعزلاً عن بقية المتمردين، وفي النهاية عومل بمبدأ «قرينة الشك» [أي (Benefit of The Doubt)، ما يعني عدم توافر أدلة كافية لإدانته]، لأنه تصادف أنه يحمل جواز سفر أمريكي. وبعد استجواب سريع من الـ «سي آي إيه»، سمح له بالعودة إلى الولايات المتحدة، ليصبح مواطنًا طليقاً مرة أخرى. إنه قد يكون على قيد الحياة وبخير اليوم، في أي بلدة أمريكية.

سادسا: تعليق للأمير بندر بن سلطان عن صلابة مبنى الحرم المكي. ينقل تروفيموف (ص ـ ١٦٢) عن يوميات السفير الأمريكي في السعودية جون كارل وست (المسماه «أوراق وست») وهي غير منشورة ولكن متوفرة للباحثين في جامعة ولاية ساوث كارولينا الأمريكية وهي مسقط رأس وست) أن الأمير بندر بن سلطان (مبعوث الأمير فهد في واشنطن وقتها) قال له عندما كان يصف صلابة أبواب ومبنى الحرم المكي: «ينبغي منح

ابن لادن وسام، ومن ثم إطلاق النار عليه»(*). ويقصد بندر جودة وصلابة مبنى الحرم المكي الذي نفذته شركة المرحوم الشيخ محمد بن لادن. ولعله كان يقصد كنوع من المزح المرحوم الشيخ سالم محمد بن لادن رئيس الشركة في ذلك الوقت.

سابعا: رواية «أخرى» لتأسيس «جسم» وتطرّف جهيمان. يقول تروفيموف (٢٨ ـ ٢٩):

«احتجاجات ابن باز على هذه التطورات التحديثية الرهيبة كان يبدو أنها تصل إلى أذان صماء؛ فبينما تتم معاملة رجل الدين هذا بكل تبجيل وإكرام، شعرت الحكومة السعودية أنها آمنة لو تجاهلت نصائحه. ولذلك، بعد فشل محاولته للتغيير من القمة، قرر ابن باز تغيير سياسته عبر فرض التغيير من الأسفل، أي الناس. ولذلك استخدم موقعه كرئيس للجامعة الإسلامية في المدينة لتدشين حركة تبشير دينية لتجديد قوة وحيوية الولاء للوهابية عبر السعودية، باسم «الجماعة السلفية المحتسبة» («جسم»).

وبإشراف ابن باز ومعه عدد من رجال الدين السعوديين ومعظمهم من العاملين في الحكومة، انتشرت تلك الحركة الوهابية التبشيرية بسرعة في أنحاء السعودية كافة. وأنتجت من خلال عمليات التجنيد فيها عجائب دعوية. إحدى طرق إنقاذ الأرواح التائهة بعيداً عن هدي الوهابية وقتها، كانت معسكرات صحراوية شبابية تقام خلال نهاية الأسبوع. يستمع المشاركون في تلك المعسكرات لمدة يومين إلى محاضرات أيديولوجية وهابية، ولا يأكلون سوى الخبز الجاف المغموس بالخل، ويقال لهم مراراً وتكراراً: «ادعوا الله وسيرزقكم». ثم بعد نهاية إحدى الصلوات يتم تدبير معجزة ربانية لمكافأة المؤمنين الصادقين؛ وفجأة، يجد الشباب المشاركون، الجائعون والمتعبون من حرارة الجو اللاهبة، أنفسهم أمام وليمة دسمة من الأرز مع الروب واللحم والسلطات والبيبسي (الكوكا كولا كانت مقاطعة وقتها)، ويقول لهم الشيخ: إنها هدية من الله لكم.

(*) Bin Laden «ought to be given a medal-and then shot»

إنها وليمة مثالية لشباب مؤمنين وجائعين. وكان جهيمان بطبعه البدوي من المشاركين الدائمين في رحلات الأدلجة الوهابية الصحراوية تلك. وبسرعة برز جهيمان في هيكل «جسم» القيادي، ليصبح منسق الجماعة لشؤون الرحلات والتجنيد في جميع أنحاء السعودية. وفي حج عام ١٩٧٦، كان قد أصبح بالفعل مسؤولا مهما في الجماعة حيث كان يشرف على معسكر الجماعة في الحج».

ثامناً: جهيمان والسادات

يقول تروفيموف (ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨):

«وبطرائق مختلفة، فإن مغامرة جهيمان التي شاركت فيها جنسيات متعددة، والتي خلطت لأول مرة التعصب الوهابي المتزمت مع المهارات المؤامراتية الجهادية المصرية، كانت مقدمة ونذير بـ «تنظيم القاعدة» نفسه. إن هذين التيارين اللذين يمثلهما على التوالي ابن لادن ونائبه أيمن الظواهري، هما من أسس بعد أكثر من عقد جوهر أعظم منظمة إرهابية أرعبت العالم.

اقتحام جهيمان الجريء للحرم المكي، هَيَّجَ وأثار الراديكاليين الإسلامويين حول العالم بطرائق لا تحصى؛ أحد الحجاج الذين شهدوا الاقتحام وأخذ معه نسخة من رسائل جهيمان عندما عاد لمصر، كان طالباً شاباً اسمه محمد شوقي الإسلامبولي، وكان ناشطاً في عملية الإحياء الإسلامي التي تعيشها مصر. محمد روى حادثة مكة لأخيه خالد الإسلامبولي، وأعطاه رسائل جهيمان. كان خالد ضابطاً في الجيش المصري، **وبدأ بعد قراءة الرسائل بما أسماه لاحقاً بـ ١٨ شهراً من «السير نحو الاستشهاد» كما قال لرفاقه في السجن، واختتم ذلك السير بتنفيذ عملية اغتيال الرئيس السادات [رحمه الله] في ٦ أكتوبر ١٩٨١».**

تاسعاً: عودة القيود على المرأة السعودية

يقول تروفيموف (ص ٢٤١):

«وكما وعد الملك خالد العلماء خلال المحادثات العصيبة في قصر المعذر في ٢٠ نوفمبر بخصوص إصدار فتوى تجيز استخدام القوة لإنهاء

التمرد، تحركت الحكومة السعودية بسرعة لإنهاء «الحريات الفاجرة» [كذا] في المجتمع التي تسامحت معها في السنوات الماضية. ونظراً إلى قلقها العميق من فقدان ولاء العلماء ولمنع وقوع تمرد آخر، قرر آل سعود تعزيز الصفقة التاريخية الكبرى بينهم وبين العلماء.

وتماماً مثل جهيمان، كان ابن باز وكبار العلماء الآخرين منزعجين، منذ فترة طويلة لتخفيف القيود على المرأة السعودية. وبعد إنهاء التمرد، أمر الأمير نايف بمنع ظهور المذيعات في التلفزيون السعودي. وأصبحت القيود على الصور «الفاجرة» [كذا] للنساء قاسية لدرجة أن جريدة «عرب نيوز» اضطرت لطمس وجه الممثلة بيتي دافيس ذات الـ ٧١ عاماً، من صورة نشرتها لها مع المذيع الشهير مايك والاس.

عاشراً: تحول الخطر على آل سعود من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين

يقول تروفيموف (ص ٢٢٩):

«ومع ظهور تفاصيل أكثر عن الاستجوابات، بدأ كبار آل سعود يفهمون مدى المساندة الكبيرة التي تحظى بها جماعة جهيمان بين الشخصيات الوهابية البارزة. الأمير تركي، مثلاً، تعجب من قلة معلومات أجهزة الأمن عن هذا الخطر الجديد. لقد قارنه بفيروس جديد ينضج داخل الجسم؛ فحتى نوفمبر ١٩٧٩، كانت أجهزة الأمن والدفاع السعودية موجهة ضد أخطار أخرى «مؤكدة»: القومية العربية، الشيوعية، ومناصرو الثورة الإيرانية. ولم يكن يُنظر إلى الراديكاليين السنة، أمثال جهيمان كخطر مطلقاً. الفيروس سُمح له أن يتكاثر، حتى أصبح يهدد حياة الجسم الذي يحتويه.

ولكن هذه الحقيقة المُرَّةُ، لم تكن شيئاً، يرغب آل سعود في الاعتراف به علانية. وبدلاً من ذلك تحرك جهاز البروباغندا السعودي، ليحاول إقناع العالم أن المملكة كانت وستبقى قاعدة صلبة للسلام والاستقرار، وأن الأحداث الدراماتيكية خلال أسبوعي التمرد، تمثل ـ كما أصر مساعدو الأمير فهد خلال الساعات الأولى للتمرد ـ مجرد حادث أمني محلي مؤسف من دون عواقب كبيرة على الدولة».

(١١) أسامة ومحروس. هل؟!!!

يقول تروفيموف (ص ٢٤٧):

«ونقل أحد أتباع أسامه ابن لادن، إنه سمعه في حديث خاص مع أصحابه في منتصف الثمانينيات، حيث كان أسامة بن لادن أكثر وضوحا: «الرجال الذين احتلوا الحرم المكي كانوا مسلمين صادقين... وأبرياء من أي جرم، وقتلوا بوحشية».

وبحسب بعض المعارف، فإن أسامة بن لادن وأخاه محروس وقعا في مواجهة شخصية مع القانون في نوفمبر ١٩٧٩، عندما ـ وهذا زعم غير مسنود ـ احتجزا للشك في كونهما من جماعة جهيمان. يقول الأمير تركي الفيصل، إنه لم يعثر على أية معلومات تثبت هذه الحادثة ما يعني أنها لو صحت، فإن الاحتجاز ربما كان لفترة وجيزة فقط».

(١٢) والجهاديون المصريون...

يقول تروفيموف (ص ٤٣، ٤٤، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٢٣٩، ٢٤٠):

«ومن أبرز هؤلاء المتشددين كان خريج حديث من كلية الطب بجامعة القاهرة، اسمه أيمن الظواهري. هو وآخرون كان يتناقشون في مسائل فكرية داخل مجموعات قراءة سرية في الحرم الجامعي والمساجد. رسائل جهيمان السبع المهربة من الكويت كانت رائجة وقتها، وتحظى بإعجاب في ذلك الوسط.

كان الراديكاليون المصريون متفقون تماما مع جهيمان بأن الحكام العرب ليسوا شرعيين بسبب فشلهم في الدفاع عن الإسلام ومواجهة الغرب. وفي عام ١٩٧٩، نشرت مجلة الإخوان المسلمين «الدعوة»، والتي تتمتع بشعبية هائلة بين أنصار «الجماعة الإسلامية» المصرية، ملفا خاصا عن الكيفية التي سقطت عبرها المملكة السعودية في الانحلال والرذيلة. وكان المستهدف بالملف ـ مثلما فعل سابقا جهيمان وابن باز ـ التلفزيون والإذاعة في السعودية.

تساءلت المجلة: إلى أين تتجه السعودية؟ وعددت الرذائل الملاحظة

حديثا في مسلسل تلفزيوني، حيث قامت البطلة بتقبيل رجل ليس زوجها. وفي برنامج إذاعي، تبادل المذيع والمذيعة كلمات حلوة على الهواء، وهما في خلوة خلف باب موصد. وحتى سائقو التكسي في السعودية بدؤوا يتصرفون بصورة غير أخلاقية بتأثير الأفلام الأمريكية. وفي النهاية، شكت المجلة أن الأطفال السعوديين بدلا من أن يتمنوا فداء الإسلام بأرواحهم، يعتبرون الآن مثلهم الأعلى ستيف أوستن؛ أي رجل الستة ملايين دولار.

مثل هذا الانحلال في السعودية أو مصر كان يشجبه ببلاغة مذهلة الشيخ **محمد إلياس**، وهو رجل دين مصري في الثلاثينيات من عمره وصاحب شعبية كبيرة. تأثر إلياس بكتابات جهيمان بشدة. وفي البداية كان يكرر آراء جهيمان السوبر ـ متطرفة في خطبه التي كانت تسجل وتوزع سرا عبر مصر بأكملها. ثم في عام ١٩٧٩، بدأ إلياس بتخطيط رحلة للسعودية، ليقابل هذا المرشد الملهم بالنسبة له.

وفي السعودية، انضم إلياس لمئات من «إخوان جهيمان» من السعودية ومن الخارج العازمين على تنفيذ أوامر زعيمهم واقتحام الحرم المكي في مطلع القرن الهجري الجديد، لمبايعة المهدي المنتظر. لقد كانوا جماعة متباينة. جوهر الجماعة كان من هِجَرْ نجد البدوية الذين انضم إليهم مجموعات من الطلاب الشباب من جميع أنحاء البلد بما في ذلك أبناء بعض أبرز العائلات السعودية الذين اعتنقوا تماما الفكرة القياموية لزعيمهم؛ أحدهم كان ابن حاكم منطقة، وآخر ابن سفير سعودي، وثالث أستاذ للإنكليزية متخرج من بريطانيا. معظمهم قدموا من مناطق قرب مكة نفسها. وكان بينهم على الأقل اثنان من الأمريكيين الأفارقة المسلمين والواعظ المصري محمد إلياس ورفاقه الجهاديون.

وحتى بعض أولئك الذين لم يشاركوا جهيمان في فكرته القياموية، وافقوا على المشاركة في الاقتحام. محمد إلياس ورفاقه الجهاديون على وجه التحديد، عبروا عن انبهارهم بترسانة الأسلحة التي نجح جهيمان في جمعها. وسواء خرج المهدي أم لا، فبالنسبة لهم كانت هذه انتفاضة ضد نظام عميل لأمريكا وجهيمان يملك كاريزما وأسلحة تبدو كافية

للنجاح، مع وجود احتمال لإشعال المنطقة برمتها في ثورة إسلامية.

....

....

....

رأس جهيمان كان الأول الذي قُطع وسقط على الرمل في مكة المكرمة، حيث ارتكب جريمته. ثم قُطع رأس أخ المهدي المزعوم سعيد الذي قابله التلفزيون. وفي الرياض، قطع رأس كل من محمد إلياس الإسلاموي المصري الذي تزعم الجهاديين المصريين المشاركين في الاقتحام، وقُطع رأس المتمرد السعودي المتردد فيصل محمد فيصل، وقطعت رؤوس متمردين أقل أهمية في المدينة والدمام وبريده وحائل وأبها وتبوك، ليكون المجموع ٣٩ سعوديا، وعشرة مصريين، وستة يمنيين، وبعض الكويتيين والعراقيين، وسوداني واحد. وتم ربط الرؤوس بالأجسام عبر الخياطة كالعادة قبل الدفن».

(١٣) مقابلة مع ياروسلاف تروفيموف: حكاية كتاب «حصار مكة»

نقلا عن موقع الناشر (١٨ سبتمبر ٢٠٠٧)

(س): كيف فكرت في تأليف الكتاب، وما مدى الصعوبة التي واجهتها لدخول المملكة العربية السعودية لتنفيذ البحث؟

تروفيموف: كانت الفكرة وراء الكتاب بسيطة: معظم المهتمين بالشرق الأوسط، يعرفون أن شيئا مهما حدث في مكة عام ١٩٧٩، ولكن لا أحد تقريبا يعرف بالضبط تفاصيل ما حدث. وكلما سمعت عن حادثة مكة أثناء السفر وعملي كمراسل في تلك المنطقة، فتنت أكثر بلغز تلك الحكاية.

ولكن في أواخر عام ٢٠٠٥، بدأت بالفعل الغوص في المواد النادرة المنشورة المتاحة في المجال العام. **وصعقت، عندما اكتشفت أن تلك الأحداث المضطربة التي استمرت لأسبوعين في أواخر عام ١٩٧٩ كانت نقطة تحول حقيقية في التاريخ الحديث. وباختصار، فإن حكاية «حصار مكة» هي في الحقيقة «مقدمة» و«إنذار مبكر» لكل شيء نعرفه عن «تنظيم**

القاعدة»، وهي «مقدمة» تساعدنا في فهم أحداث اليوم في العراق وأفغانستان وما بعدهما.

بدأت عملي بتعقب الكابتن بول باريل، وهو رئيس فرقة الكوماندوز الفرنسية التي شاركت في إنهاء التمرد. لقد وجدته في «فندق دبي إنتركونتيننتال»، وقضيت معه ساعات طويلة مستمعا لروايته الشخصية مباشرة منه وبدون وسيط. ومن خلال المعلومات التي قدمها لي، وجدت وقابلت الضابطين الفرنسيين الآخرين المشاركين في العملية. وفي نفس الوقت؛ أي في أوائل عام ٢٠٠٦، زرت «المكتبة البريطانية» (وهي المكتبة الوطنية للمملكة المتحدة ومقرها لندن) ـ وهي المكان الوحيد في أوروبا الذي يحتفظ بالصحف السعودية التي ترجع لعام ١٩٧٩ ـ، والتقيت مع عدد من المعارضين السعوديين في لندن الذين قد يملكون معلومات مباشرة عن حادثة مكة. ثم قرأت كل مطبوعات المعارضة السعودية المتوفرة عن تمرد مكة، وسافرت مرتين إلى مصر، لإجراء لقاءات مع شهود عيان مصريين.

ولكن التحدي الرئيس والأهم كان دخول المملكة العربية السعودية نفسها ـ وهي مملكة [كانت] لا تسمح بدخول الكُتاب الأجانب إلا على مضض. كنت قد كتبت كلمات قاسية عن الحكومة السعودية في الماضي، بما في ذلك في كتابي السابق، ولذلك كنت أخشى أنهم لن يسمحوا لي بالدخول ـ لا سيما إذا اكتشفوا أنني أخطط للكتابة عن مثل هذا الفصل المخزي في تاريخ بلادهم.

ثم فجأة في مارس ٢٠٠٦، وبصدفة مدهشة، بينما كنت في حيرة حول كيفية الحصول على تأشيرة دخول للسعودية، قفزت رسالة إلى سلة بريدي الإلكتروني: غرفة جدة للتجارة، ستعقد منتدى اقتصاديا وعلى استعداد لمنحي تأشيرة الدخول إذا رغبت في الحضور. طرت من الفرح، وتقدمت بطلبي فورا، وتمت الموافقة بسرعة، ولكن مدة التأشيرة كانت قصيرة للغاية، حيث سمحت لي بالبقاء ٧ أيام فقط في المملكة.

وفي محاولة للحصول على أطول وقت ممكن في السعودية، اخترت رحلة طيران تصل إلى السعودية بعد منتصف الليل مباشرة، وحجزت رحلة

مغادرة على متن طائرة ستغادر قبيل منتصف الليل من آخر يوم لي، وهكذا كسبت ٢٤ ساعة إضافية للبحث. كان المرافقون السعوديون مشغولين جدا بتدفق الصحفيين على المؤتمر، ولذلك استطعت أن أختفي وأصبح تحت شاشة رادارهم لأهرب من جدة إلى الرياض للبدء بتنفيذ البحث.

وفي جدة والرياض، استفدت من العلاقات التي أسستها على مر السنين كمراسل لصحيفة «وول ستريت جورنال». قضيت أول يومين في لقاءات مع عشرات السعوديين الذين أعرفهم من الرحلات السابقة، وسألتهم عما إذا كانوا يستطيعون تعريفي على أناس من الذين شاركوا في حصار مكة من كلا الطرفين (الحكومة والمتمردين).

وبحلول نهاية الأسبوع، تمكنت من رؤية عدد قليل من الجنود السعوديين وتمكنت كذلك من لقاء بعض أعضاء جماعة جهيمان الذين لم يشاركوا فعليا في اقتحام الحرم المكي عام ١٩٧٩. لقد أمضى هؤلاء الراديكاليون سنوات في السجن، وكانت هواتفهم لا تزال مراقبة ـ وهذا هو السبب الذي جعل بعضهم يوافق على لقائي فقط على نواصي الشوارع. لقد كان أسلوبا تآمريا لإجراء لقاءات وتنفيذ بحث، وانسحب بعضهم من مقابلات متفق عليها، مشيرين إلى ضغوط من قبل المباحث. لقد حرصت على إجراء مكالمات من هاتف محمول مدفوعة قيمته مسبقا ومجهول، حيث لا يمكن تتبعه وكنت قد اشتريته من كشك بيع الصحف في الفندق.

فقط في آخر يوم لي في السعودية، استطعت أخيرا الحصول على رقم هاتف أحد المتمردين من الناجين من المعركة في المسجد الحرام. ولكن قررت عدم الاتصال به لعدم وجود ما يكفي من الوقت لعقد اجتماع، ولأني لم أكن أريد أن أعطي المباحث الفرصة لتخويف الرجل فيما لو استطعت العودة إلى المملكة.

وعندما عدت مرة أخرى لأوروبا، تقدمت بطلب للحصول على تأشيرة دخول السعودية مرة أخرى ـ ولكن هذه المرة كباحث في التاريخ بدلا من صحافي، وطلبت كفالة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات

الإسلامية، وهو مؤسسة بحثية ليبرالية مستنيرة في الرياض، اشتهرت بمساعدة الكتاب الأجانب الزائرين.

ثم، قبل شهرين من الموعد النهائي لتسليم الكتاب للناشر، تمت الموافقة على التأشيرة السعودية الثانية. مركز الملك فيصل الذي استضافني بكرم بالغ، قدم لي رسائل تعريف سمحت لي بالوصول إلى أرشيفات الصحف السعودية التي لا تتوفر في الخارج، وأقنعت تلك الرسائل بعض المسؤولين السابقين المترددين، ليشاركوني ذكرياتهم عن المعركة. ولكن كان الإنجاز الأهم هذه المرة هو أنني تمكنت أيضا من مقابلة إرهابيين سابقين من الذين شاركوا في القتال بمكة بأنفسهم، وهي المرة الأولى التي يتحدثون فيها مع كاتب؛ أحدهم كان يشعر برعب من أن يراه رجال المباحث يتحدث معي حتى في الأماكن العامة، مثل مقهى أو لوبي فندق، ولذلك أصر أن يقابلني في غرفتي، لنستغرق الليلة بأكملها في فندق جدة ماريوت، وهو يسرد أهوال المعركة وقام بشرب كل ما كان موجودا في ثلاجة الغرفة من مشروبات... غير كحولية بالطبع.

وعلى العموم، لقد استغرق تأليف الكتاب سنة كاملة تقريبا، سافرت خلالها أكثر من مائة ألف ميل بالجو من البداية إلى النهاية.

(س) لو لم تقع حادثة ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩ مطلقا، هل تعتقد أننا كنا سنشهد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟

تروفيموف: كان تمرد مكة أول عملية لـ «الجهاد العالمي»، وطريقة قمع النظام السعودي لها كان له تأثير دائم على الشاب أسامة بن لادن. لقد كانت أحد العوامل التي جعلته يناهض آل سعود. ومن ناحية أخرى، كان رد فعل الحكومة السعودية على الانتفاضة هو محاولة شراء ذمم رجال الدين المتشددين، وأيضا التمويل السخي لحملتهم لنشر الإسلام الوهابي «السوبر - متزمت» في جميع أنحاء العالم، وهو جهد تبشيري هائل أنتج العديد من جنود تنظيم القاعدة في العقود اللاحقة.

ولذلك أقول نعم، لقد كان التمرد الذي حدث في مكة هو بداية لعملية أدت إلى مأساة ١١ سبتمبر، ويعتبر نقطة تحول في تاريخ الإسلام السياسي الراديكالي.

(س): لماذا لم تُرْوَ هذه القصة مطلقا بالكامل قبل كتابك؟

تروفيموف: في ذلك الوقت، فرضت المملكة العربية السعودية تعتيما معلوماتيا شبه كامل على الأحداث التي جرت في مكة. ولم يسمح لمراقبين مستقلين بالدخول خلال الحصار، وحتى زيارة جدة أو الرياض كانت مستحيلة تقريبا بالنسبة للصحفيين الأجانب. و، بالطبع، لا يمكن لأحد من المتمردين أن يحكي قصة ما حدث، لأن كل مسلح في الحرم اشتبه به تم اعتقاله. ثم قطعت رؤوس معظمهم بسرعة، ونجا فقط بعضهم، ليقضوا في السجن مددا طويلة، ولم يتمكنوا من سرد قصصهم.

وفي السنوات التالية، أصبح الحديث عن تمرد مكة «تابوها» (أي محرما) في المملكة العربية السعودية. لا بل وسحب من المكتبات كتاب صغير نشر بعد انتهاء الحصار بوقت قصير، وكان يحتوي على بيانات حكومية رسمية حول هذه القضية.

الآن فقط، أصبح الناس في السعودية إلى حد ما أقل رعبا للحديث عن تلك الأزمة، وهو التطور الذي سمح لي بمقابلة إرهابيين سابقين ومسؤولين عسكريين شاركوا في الحصار. أيضا، مرور الوقت جعل من السهل الحصول على وثائق أجنبية عن الحادثة بعد رفع السرية عنها.

(س): ماذا كان دور الولايات المتحدة في حصار مكة؟

تروفيموف: كان هناك مواطنون أمريكيون على جانبي النزاع؛ فقد كان من ضمن المتمردين عدد من الأميركيين الأفارقة المتحولين إلى الإسلام حديثا. كما كان هناك عسكريون متقاعدون من القوات المسلحة الأمريكية يحلقون بمروحيات الدفاع المدني السعودي فوق المسجد، لدعم قوات الحكومة في مكة. وقدمت وكالة الاستخبارات المركزية الغاز المسيل للدموع والمشورة على الأرض. ولكن في النهاية، كان دور القوات الفرنسية الخاصة حاسما في إنهاء التمرد.

(س): ماذا يعلمنا حصار مكة عن نزاعنا الحالي مع تنظيم القاعدة؟

تروفيموف: كان المتمردون في مكة مقتنعين بعمق بأنهم يتبعون أوامر الله، وكانوا في غاية الشجاعة والتفاني خلال المعركة. وجزئيا بسبب هذا

الحماس، تمكنوا من مقاومة الجيش السعودي بأكمله لمدة أسبوعين. وتمكن أيضا هذا الحماس المفرط في توحيد متمردين من جنسيات متباينة. الدرس الذي نستفيده كأمريكان لهذا اليوم، هو أن الأيديولوجية الإسلاموية الراديكالية تشكل حافزا قويا للغاية لمعتنقيها، ولذلك لا ينبغي لنا أن نقلل من شأن أعدائنا.

وفيما يلي بعض الفقرات المصورة من كتاب تروفيموف:

Some of the weaponry that Juhayman accumulated, too, came brand-new from Guard warehouses. Other guns and ammo had been smuggled across the border from Yemen, or from the battlefields of the Lebanese civil war. The kingdom, after all, was awash with military hardware: in 1978 alone, Saudi border patrols had seized 1,200 smuggled rifles, 481 machine guns, 7,358 pistols, and well over a million rounds of ammunition. Much more remained undetected. All proud Bedouin households in Saudi Arabia owned firearms, if not modern AK-47s then at least ancient British-made bolt action rifles.

The dreams, it was decided in feverish meetings, called for forceful action. The believers, Juhayman said, would do God's duty by converging en masse on the Grand Mosque and fulfilling the prophecy. Casting for wider support, Juhayman in these weeks dispatched an emissary to Bin Baz himself. At a meeting in Riyadh, the blind cleric listened patiently to the theological arguments. But he was not convinced.

First of all, Bin Baz explained to the emissary, he refused to believe that Mohammed Abdullah indeed qualified as the Mahdi. A true Mahdi, Bin Baz said, would spring up on his own, through God's will, without any need for human intervention. Any intrusion of the kind planned by Juhayman, Bin Baz cautioned, had no chance of winning universal acceptance and would result in the sin of provoking *fitna*, discord among Muslims.

The emissary did not mention that Juhayman planned to use weapons while anointing the Mahdi. And so Bin Baz chose not to inform the authorities about this unsettling conversation.

Those executed in public did not include the two African American converts who had joined the Mecca uprising.

There was another awkward detail. These American Muslims had converted to Islam because of the Saudi-funded proselytizing campaign and were drawn into radicalism on Saudi soil. Nobody wanted to throw a spotlight on the dark side of these missionary activities. In State Department cables, the two were described diplomatically as "missing Americans" who "could be victims of the insurrection that commenced at the Grand Mosque on Nov. 20."

It was only on December 30 that Ambassador West, after discussing American security help at a meeting with Prince Nayef, asked the Saudi interior minister for details. One of these two Americans, Prince Nayef replied, was "definitely a terrorist"—and no longer alive. The second American was still under investigation. "I believe that means a head will be lopped, but that's the best we can do," West noted dryly in his diary.

At another meeting with the American ambassador, on January 19, 1980, Prince Nayef mentioned again that the second American suspect remained in custody. Ambassador West was surprised. "I thought he had been hanged last week," the envoy wrote that day, in his diary's last entry on the issue.

According to American officials deployed in Saudi Arabia at the time, however, the second prisoner was spared the executioner's sword. From the very beginning, he was jailed separately from other rebels, and eventually given the benefit of the doubt because he happened to carry an American passport. After a debriefing by the CIA, he was allowed to return home to the United States, a free citizen once again. He may well be alive and well today, resident in Anytown, U.S.A.

انتهى الملحق الرقم (٢)

الملحق الرقم (٣)

الموضوع: نص حوار شامل للأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود (رحمه الله ولاحقاً خادم الحرمين الشريفين)، مع صحيفة السفير اللبنانية بعد إنتهاء تمرد مكة.

المصدر: صحيفة السفير اللبنانية بتاريخ ٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٠. أجرى الحوار رئيس التحرير الأستاذ طلال سلمان ومدير التحرير أسعد المقدم.

توزّع الحوار على عدة صفحات (١، ٨، ٩، ١٠) وسوف نستعرض عناوينه كالتالي ثم نسرد نص الحوار:

● سنرمز للعنوان أو المانشيت الرئيس بحروف غامقة.

- سنرمز للعنوان أو المانشيت الفرعي بحروف عادية.

عناوين صفحة ١:

● حوار شامل مع الأمير فهد عن: الأمريكيين والقواعد، السوفيات، الدولة الفلسطينية، شمعون والكتائب، السادات وكامب ديفيد، عملية المسجد الحرام، العلاقات مع الخميني، النفط والتهديد بغزوه، الأمراء والمملكة.

عناوين صفحة ٨:

● سنستبدل ستارنا الحديدي بستار شفاف... ونحن مستعدون لدور القيادة إذا قبلت بنا الأمة العربية.

● وليّ عهد السعودية يروي التفاصيل الكاملة للقاءات الأخيرة مع السادات.

- لماذا لم نتّخذ خطوات أشد ضد السادات وكامب ديفيد؟ لأن ما كل شيء لدينا ولا بد من الالتفاف العربي.

ـ نعم، أبلغني كارتر استعداده الاعتراف بمنظمة التحرير إذا اعترفت بالقرار ٢٤٢ معدلاً.

عناوين صفحة ٩:

● لن نقبل بإقامة قواعد عسكرية ولن نقدّم تسهيلات للأمريكيين أو غيرهم، وصداقتنا مع واشنطن تنبع من مصالحنا، ثم أين هو البديل؟!

● كان علينا الاستمرار بتأييد البيان الأمريكي ـ السوفياتي برغم تراجع واشنطن عنه.

ـ لا يمكن تحقيق الاستقرار إلا بقيام الدولة الفلسطينية. . . وهي ستقوم، وأوروبا ورجال الفكر بأميركا معها.

ـ التكامل الاقتصادي العربي هدف أسعى لتحقيقه.

ـ الأمور تتطور إيجابيا بيننا وبين الإتحاد السوفياتي.

ـ لن نقبل بالقواعد العسكرية ولن نقدّم تسهيلات للأمريكيين.

عناوين صفحة ١٠:

● مقتحمو المسجد الحرام دفعوا ٤٠ ألف ريال لأحد البوابين فأدخلوا الذخيرة والسلاح... وبعضهم جاء من باكستان والمطبوعات من الكويت ولكن ليس للحادث أبعاد سياسية.

● انفجر السادات بالغضب عندما زار الملك خالد ليبيا... وكأننا احتللنا القاهرة أو الإسكندرية.

ـ مجلس الشورى سيعيَّن خلال شهرين، و«النظام الأساسي» جاهز وسيُعرض عليه لإقراره.

ـ اليماني غير مخوّل بالتصريح عن استخدام النفط.

ـ عائلتنا ٤ آلاف أمير وليسوا جميعاً على مستوى الأحداث. . . وبين مواطنينا من هو أغنى منّا.

ـ صار لدينا الان جامعة عربية، وأمين عامّ فعلاً.

١٩٠

■ قضايا ومواقف ■

التطورات في افغانستان ، لماذا والى اين ؟ الحضور السوفياتي حتى سقوط داود خان .

[ص ١٥]

١٦ صفحة

١٠٠ قرش



يومية سياسية عربية

صاحبها ورئيس تحريرها
طلال سلمان

السفير
جريدة لبنان في الوطن العربي
وجريدة الوطن العربي في لبنان
تصدر عن
دار العروبة الوطني للصحافة والنشر

AS - SAFIR Arabic Political Daily - Jan. 9 - 1980 No. 2053 - Sixth Year

حوار شامل بين "السفير" والأمير فهد

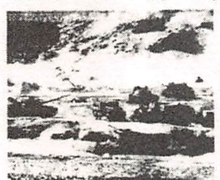
عن : الاميركيين والقواعد • السوفيات • الدولة الفلسطينية • شمعون والكتائب • السادات وكامب ديفيد
عملية المسجد الحرام • العلاقات مع الخميني • النفط والتهديد بغزوه • الأمراء والمملكة



الولايات المتحدة تدخل "بعراضة" عسكرية رداً على الموقف في افغانستان

مناورات للطيران الأميركي في مصر

واشنطن تطرد ١٧ دبلوماسياً سوفياتياً... وخبراء عسكريون لعُمان والصومال وكينيا



حديث كارتر

دينستان يتصل هاتفياً بكارتر

رسالة للأسد من القادة السوفيات

لهم افغانستان محلياً: مجلس الوزراء يناقش اليوم الخيارات

المربعلن :
٢٧ الف خط
هاتف جديد
[ص ٦]

نتائج الانتخابات في الهند
٣٠٥ مقاعد
للمؤتمر - من ٥١٥
[ص ١٦]

خروج الاعلام العربي من افغانستان الى نصرة الاسلام

بقلم : بلال الحسن

صورة فوتوغرافية لحوار السفير

مع الأمير فهد رحمه الله (ص - ١ في السفير)

"السفير" في السعودية : حوار من موقع المختلف ٢

الأمير فهد : سنستبدل ستارنا الحديدي بستار شفاف
... ونحن مستعدون لدور القيادة إذا قبلت بنا الأمة العربية!

ولي عهد السعودية يروي التفاصيل الكاملة للقاءات الأخيرة مع السادات



• لماذا لم نتخذ خطوات أشد ضد السادات وكامب ديفيد؟ لأن ما كل شيء في أيدينا، ولابد من الاتفاق العربي

• نعم، أبلغني كارتر استعداده للاعتراف بمنظمة التحرير إذا اعترفت المنظمة بالقرار ٢٤٢ معدلاً..







صورة فوتوغرافية لحوار السفير
مع الأمير فهد رحمه الله (ص ـ ٨ في السفير)

لن نقبل باقامة قواعد عسكرية ولن نقدم تسهيلات للاميركيين أو لغيرهم
... وصداقتنا مع واشنطن تنبع من مصالحنا، ثم أين هو البديل؟!

كان علينا الاستمرار بتأييد البيان الاميركي - السوفياتي برغم تراجع واشنطن عنه



● لا يمكن تحقيق الاستقرار إلا بقيام الدولة الفلسطينية وهي ستقوم ... وأوروبا ورجال الفكر بأميركا سمعوا

● التكامل الاقتصادي العربي هدف أسمى الى تحقيقه

غداً
المسجد الحرام
بالصور
ومناقشة لمختلف الروايات
مع وزير الداخلية
الأمير نايف بن عبد العزيز

● الأمور تتطور ايجابياً بيننا وبين الاتحاد السوفياتي

● لن نقبل بالقواعد العسكرية ولن نقدم تسهيلات للاميركيين

صورة فوتوغرافية لحوار السفير
مع الأمير فهد رحمه الله (ص ـ ٩ في السفير)

السفير الاربعاء ١٩٨٠/٦/١١

١٠

مقتحمو المسجد الحرام دفعوا ٤٠ الف ريال لاحد البوابين فادخلوا الذخيرة والسلاح

... وبعضهم جاء من باكستان والمطبوعات من الكويت لكن ليس للحادث ابعاد سياسية

انفجر السادات بالغضب عندما زار الملك خالد ليبيا ... وكأننا احتللنا القاهرة أو الاسكندرية





● مجلس الشورى سيعين خلال شهرين والنظام الاساسي جاهز وسيعرض عليه لاقراره

● اليماني غير مخول بالتصريح عن استخدام النفط

● عائلتنا ٤ آلاف أمير وليسوا جميعاً على مستوى الاحداث

... وبين مواطنينا من هو أغنى منا!

● صار لدينا الآن جامعة عربية وامين عام فعلاً!

صورة فوتوغرافية لحوار «السفير» مع الأمير فهد رحمه الله

(ص ـ ١٠ في السفير)

وفيما يلي نص الحوار، مع العلم بأن مناقشة حادث المسجد الحرام تبدأ في صفحة ١٤٥ :

حدد وليّ عهد السعودية الأمير فهد بن عبد العزيز، ثلاثة شروط لتوافر القوة في الموقف العربي وهي: التضامن؛ الاطمئنان الداخلي؛ تبادل حماية المصالح في إطار التكامل الاقتصادي. وقال إن اتّخاذ إجراءات أقوى في مواجهة السادات ومبادرته يتطلب «الالتفاف العربي». وإن السعودية مستعدة للقيام بتبعات القيادة إذا ما قبلت بها الأمة العربية.

وقال الأمير فهد في مقابلة مطوّلة وشاملة مع السفير أجريت معه الأسبوع الماضي في الرياض: **إن صداقتنا مع الأمريكيين تستند إلى مصالحنا. ولكننا نمد أيدينا إلى كل من هو على استعداد لمساعدتنا مع التسليم بحريتنا واستقلالنا. ولن نقدّم أية تسهيلات لا للأمريكيين ولا لغيرهم.**

واعترف الأمير فهد بنقص في روح المبادرة لدى المملكة. وبأنها كانت تبدو منغلقة على نفسها خلف ما يشبه الستار الحديدي، وأنها ستستبدله الآن بستار شفاف. وأنها لا بد أن تعترف بحقائق العصر؛ وعلى هذا، فهي تنظر بعين الرضا إلى التّطور الإيجابي في العلاقات مع الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي.

وقال إن التهديد بغزو منابع النفط موجّه لأوروبا واليابان أكثر مما هو موجه لبلاده. «فماذا سيغزون عندنا؟ الصحراء؟! حسناً، سيمكننا أن نعيش حتى بعد دمار آبار النّفط. لأننا من أهل الصحراء».

وكرّر فهد القول إن بلاده لم تكن على علم [مسبق] بزيارة السادات إلى القدس المحتلة. وقال إنها تعرّضت إلى «عملية تضليل» من الرئيس المصري الذي كان يكيل التطمينات للجميع بأنه لا ينوي عقد صفقة صلح منفرد!

وتطرق إلى السياسة النفطية السعودية؛ فنفى أن تكون تصريحات وزير النفط أحمد زكي اليماني حول رفض السعودية استخدام البترول كسلاح سياسي تعكس الموقف الرسمي لحكومته. وقال «إن أحمد زكي غير مُخوَّل بالتصريح حول هذه القضايا».

واستدرك قائلاً: «**بالتأكيد لن يكون أي مورد من موارد الثروة العربية**

أعزّ على الإنسان من نفسه. لكن الحديث عن استعمال النفط، لمجرد الحديث، يثير لنا الكثير من المشاكل من دون أن يفيدنا في شيء».

وتطرق الأمير فهد إلى القضية الفلسطينية. فقال **«إن الرئيس الأمريكي كارتر أبلغه بُعَيْدَ انتخابه أنه مستعد وعنده الرغبة والعزم على الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية إذا ما اعترفت منظمة التحرير بالقرار رقم ٢٤٢ بعد حذف الجزء الأخير منه الذي ينعت الفلسطينيين أو يشير إليهم كلاجئين. لقد أكّد لي (كارتر) أنه إذا قبلت المنظمة بالقرار معدلاً فإن الولايات المتحدة ستعترف بها».**

ولم يعلّق فهد على تصريحات كارتر المتناقضة حول القضية الفلسطينية واعتبر أن هذا من شأنه، وقال: **«لكننا كعرب كان يجب أن تكون لنا مواقف معيّنة ومحددة نلتزم بها، ويجب أن نقرر مصيرنا بأنفسنا وأن نلتزم بإطار محدد، ولو كان هذا الإطار موجوداً لسارت الأمور في اتجاهات أخرى».**

وأشاد بالبيان الأمريكي ـ السوفياتي المشترك حول الشّرق الأوسط، ولكنه أنحى باللائمة على العرب «لأنهم لم يستغلوا ذلك البيان ولم يؤيدوه دفعة واحدة».

وتحدّث عن احتمال قيام الدولة الفلسطينية فقال: **«إني مقتنع بذلك. ودول العالم الأخرى، خصوصاً أوروبا، مقتنعة أيضاً بأنه لا يمكن تحقيق الاستقرار إلا بدولة فلسطينية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى رجال الفكر في أميركا».**

وتطرّق إلى الحكومة الإسرائيلية الحالية فقال: **«لا بد أن أدلي بشهادة للتاريخ، وشهادتي هي أن الرئيس الأمريكي كارتر كان أكثر المستائين من نجاح بيغن وحزبه في الانتخابات.. لقد كان استياؤه عليه بادياً».**

وعن العلاقات مع إيران قال: **ليست لنا أية مشاكل مع إيران في الوقت الحاضر، ونحن مرتاحون من هذه الناحية، بعكس ما كان عليه الأمر خلال أيام الشاه، إن البحث يجري الآن بين البلدين على مستوى ممتاز لتوحيد الكلمة، وقد وُجهت الدعوة إلى وزير الخارجية السعودي لزيارة إيران، وسيقوم بهذه الزيارة قريباً.**

ورداً عن سؤال حول لبنان، نفى بشدّة أن يكون الرئيس كميل شمعون

أو الكتائب في عداد أصدقاء السعودية، وقال إن السعودية تبذل جهوداً مستمرّة لمعالجة الوضع في لبنان.

واتّهم ولي عهد السعودية، جماعة شمعون بنهب البضائع العائدة لتجّار سعوديين، وذلك بالاستيلاء على الباخرة التي نقلتها إلى مرفأ بيروت.

وكشف الأمير فهد النقاب عن أنه «**يدرس دعوة أكبر عدد ممكن من قادة العالم الإسلامي لمحاولة توحيد جميع المذاهب الإسلامية لكي نأخذ من كل منها الاجتهاد الأقرب إلى المنطق وإلى العصر الذي نعيش فيه**».

وقال إنه سيتمّ في خلال شهرين تعيين «مجلس الشورى» في السعودية يتراوح عدده بين ٥٠ و ٧٠ شخصاً. وسيقوم هذا المجلس بدراسة النظام الأساسي ـ أي ما يماثل الدستور ـ للمملكة الذي يجري إعداده حالياً ويتكون من نحو ٣٠٠ مادّة.

وتحدث الأمير السعودي بالتفصيل عن حادث المسجد الحرام؛ فكرر القول إنه «**لا توجد أبعاد سياسية داخلية وخارجية لهذه العملية**» **بيد أنه أضاف «ولكننا لا نزال نضع علامات استفهام، إذ قد يبرز شيء جديد في المستقبل يغيّر اعتقادنا هذا.. وأشار إلى أن بين مقتحمي المسجد من جاء من باكستان وغيرها. كما إن المنشورات طبعت في الكويت.**

وقال الأمير فهد إن السلطات في السعودية كانت تعرف بأمر الجماعة التي نفّذت هذه العملية منذ ٦ سنوات، وترصد تحركات أفرادها، وقد اعتقلت الكثير منهم في فترات معينة ثم أطلقتهم بعد الحصول على تعهدات.

واتّهم الولايات المتحدة وأوروبا بأنها استغلت الحادث أبشع استغلال «**لأنّهم يكرهون أن يكون في المملكة استقرار وأمن وتطوُّر**».

كتب طلال سلمان

الوقت ليل، والرياض جزيرة من النور والصمت، تنبثق من قلب الصحراء الأبدية السكون، والدارة عادية تقريباً، كبيوت متوسطي الحال، لا تبهرك فخامة فيها أو ضخامة، ولا تلفتك الحراسة مع أن ثمّة مركز للحرس عند المدخل، بعضهم بالثياب العسكرية والبعض الآخر بالثياب التقليدية والعباءة، وفي الخارج حارس واحد يكاد يُمحى داخل الجدار.

استقبلنا «الرائد سعد»، من قوات الأمن الخاصة، معتذراً بشيء من الودّ: «لقد تأخر سموّه بسبب موعد طارئ، ولكنه الآن في الطريق.. تفضلوا».

... وجاء الأمير فهد: باغَتنا بالعناق مشفوعاً بالاعتذار عن التأخير، واقتادنا متنقّلاً بنا من الصالة إلى غرفة المكتب، لنبدأ وعلى الفور حواراً طويلاً كان واضحاً منذ البداية أنه أعدّ نفسه له إعداداً ملحوظاً، وأنه قرر ـ بالضبط ـ ماذا يريد أن يقول فيه وعبره.

بدأ كلامه معنا وكأننا أصدقاء قدامى انقطع الحديث بينهم لأمر طارئ، ثم عاد ليستأنف من حيث توقف.

كانت الكلمات الأولى عن الرياض وطقسها وموجة البرد الطارئة التي قالت الأرصاد الجوية إنّ سببها منخفض بارد فوق سيناء... وهكذا أطل شبح السادات من الفلك والجغرافيا، ومنذ اللحظات الأولى، وبقي في القاعة المغلقة علينا حتى النهاية!

وانطلق الأمير فهد في ما يشبه «المونولوغ» عن السادات والتجربة المُرّة معه، ورحنا نتأمل هذا الرجل العريض المنكبين، الخشن العود، الجدي القسمات إلا حين يضحك فيبدو وقد صغر عمره عشر سنوات، ويشرق وجهه بالشباب، وتنبثق الملامح العربية واضحة عبر قتامة التجهّم الملكية: العينان السوداوان الواسعتان، يعلوهما حاجبان كثيفا السواد، والأنف الأمتن والوجه العريض المنتهي بلحية صغيرة مهذبة ومستوية مع استدارة الذقن، والعباءة المقصّبة تلفّ جسداً ممتلئاً، وفي الخنصر خاتم بنفسجي الفص، والساعة الذهبية الرقيقة بنفسجية الصحن، وهي الأخرى وكذا المسبحة القليلة الحبات، والكوفية حمراء مرقطة يعلوها ويحددها عقال أسود بسيط.

ليس في المظهر والملبس ما يميّز صاحبه، غير العينين تلتمعان بين الحين والآخر بفكرة، أو مع استدراكٍ هدفه التوضيح أو التوكيد، ثم تلك الدعة والإحساس الواضح بالطمأنينة، وذلك الاستعداد الواضح للغد والدور الكبير فيه.

ويلازمك، شعور ثابت أن فهد بن عبد العزيز يتعامل مع الغد، ربما أكثر من تعامله مع اليوم، أو أنه يحضّر نفسه للآتي، واثقاً من قدرته مع تكييف الحاضر وفق رغباته وطموحاته.

بدأ الكلام بلهجة دفاعية، نسبياً، واستمرت هذه اللهجة طوال الحديث عن السادات، وقد أوضح بنفسه سببها: «لقد اعتقد الجميع، لفترة، وكان من حقهم أن يعتقدوا، أن السادات إنما قام بفعلته بالاتفاق أو بالتواطؤ معنا، كانت علاقاتنا به ممتازة بالفعل، والتعاون غير محدود، وهو قد استغل هذه الحقيقة ليوحي للناس أننا موافقون على زيارته للقدس ثم على ما تلاها من فصول مبادرته المشؤومة.

واستوضح أسعد المقدم: مع أنه كان وعدك بحسب ما أبلغنا الأمير سلمان، وعداً قاطعاً بأنه لن يتنازل ولن يقبل بما هو أقل من العودة إلى حدود عام ١٩٦٧.

اللقاءات الأخيرة مع السادات

اعتدل الأمير فهد في مقعده، وبدأ يروي رواية تفصيلية دقيقة وقائع اللقاءات الأخيرة مع السادات. . . قال:

ـ صحّ، هذا الكلام حصل، وأمام وزير خارجيته ـ آنذاك ـ محمد إبراهيم كامل، ووزير خارجيتنا والأمير سلمان وبعض من كانوا من المسؤولين في مصر. لقد وجهت أنا السؤال إلى الرئيس السادات، قلت: «تدور أحاديث بين قادة الأمة العربية، ورجال الفكر والرأي والصحافة فيها مفادها أن ثمة مساعي تبذل لإنجاز صلح منفرد مع إسرائيل، ومثل هذه الأخبار مزعجة بطبيعة الحال، ولكن الإنسان يحاول ألا يجعلها ترسخ في ذهنه حتى يتبين حقيقتها، ولذا فإني لم أحاول أن أصدّق حتى أسألك..»

«وقال لي السادات: «**كيف تصدّق مثل هذه الأخبار؟! تأكد أن شيئاً من هذا لن يكون، إنها أخبار لا صحة لها ولا يمكن أن تحدث، ولو أردنا مثل هذا لكان يمكن أن ننجزه حتى في أيام عبد الناصر. وحتى أدلل لك على أن ما يتردد غير صحيح سأخبرك بواقعة أخيرة... عندي الآن أثرتون (وكيل وزارة الخارجية الأمريكية آنذاك)(*) يسعى من أجل عقد اجتماع في أي جزء من سيناء بين وزراء خارجية مصر وإسرائيل والولايات المتحدة**

(*) بل سفير أمريكا في القاهرة. (المترجم).

الأمريكية، وقد رفضت الفكرة رفضاً قاطعاً حتى لا يفسرها البعض اتجاهاً منا ودليلاً على أننا نسعى إلى صلح منفرد مع إسرائيل».

قلت: ـ «يا سيادة الرئيس، لقد جئت إليك لأن مصر تهمّنا، ولأن الشعب المصري يهمّ الأمة العربية التي يهمّها أيضاً وبالمقدار نفسه، الجيش المصري الذي أصبح يملك الآن خبرة عظيمة، فلقد خاض ثلاث حروب... وبكلمة، فإن الأمة المصرية تعنينا، ويهمنا ويؤثر علينا مصيرها ومستقبلها ولا يمكن أن نتناساها أو نتجاهلها.

قال السادات: ـ «وأنا أؤكد لك أن مثل هذا الأمر ليس وارداً في حال من الأحوال. أمامنا مؤتمر جنيف، وسنواصل التقدم في اتجاه جنيف، وعدا هذا فليس هناك شيء.

قلت: ـ «أنا مسافر إلى الأردن وإلى سوريا والعراق، ويهم إخواننا هناك أن يطّلعوا على حقائق الأمور، وأستطيع الآن وقد اطمأننت أن أنقل إليهم ما سمعته منكم».

استطرد الأمير فهد فقال: « ـ وسافرت، فعلاً إلى الأردن ثم إلى دمشق وبغداد، وشرحت الأمر لكل من الملك حسين والرئيس الأسد والأخ ياسر عرفات والرئيس أحمد حسن البكر، وكلهم أبدوا سرورهم بأن يسمعوا نفياً قاطعاً، وعلى لسان السادات مباشرة، لأخبار الصلح المنفرد. وقلت لهم مؤكداً ومستدركاً: «في أي حال، هذا ما سمعته من الرئيس السادات شخصياً، وكان معي رجال شهدوا الجلسة وسمعوا الكلام، وفيهم سعوديون ومصريون، لكني لا أستطيع أن أضمن استمرارية هذا الموقف ـ»... ثم عدت إلى الرياض فأبلغت الملك خالد والحكومة بنتائج رحلتي.

وأكمل الأمير فهد كلامه منتقلاً إلى رواية الوقائع التي سبقت زيارة القدس المحتلة، قال:

ـ بعد فترة لا أستطيع أن أحددها بدقة، كان الرئيس السادات في إيران، وأتانا خبر منه عندما طار مغادراً طهران أنه قادم لزيارتنا، رحبنا به طبعاً، وجاء فأمضى معنا يومين، وتحدثنا طويلاً عن الوضع في المنطقة وتطوّراته المحتملة، كان الحديث يتركز على المؤتمر بصرف النظر عمن سيحضره معه، فكان رأينا أن الأفضل والأنفع تأمين إجماع من الدول التي

لها علاقة بالقرار رقم ٢٤٢ (وللمناسبة، فالمملكة ليست لها أية علاقة بهذا القرار)، وأما في ما يخص الفلسطينيين فليترك لهم الحرية في أن يقرروا ما يرونه مناسباً لهم.

استدرك الأمير فهد فقال: ـ «تذكرون أن الجدل كان قائماً يومها حول كيفية الحضور العربي، وهل يحضرون كوفد واحد أو كأربعة وفود.. ولقد انتهى حديثنا مع السادات عند هذا الحد، ولم يتطرق من بعيد أو قريب إلى زيارة القدس، وبالطبع فلن يكون مثل هذا الأمر وارداً أو ممكناً تصوّره، بل إنه ظل مستبعداً حتى بعد إلقاء السادات خطابه الشهير أمام مجلس الشعب (وبحضور ياسر عرفات الذي لم يكن له علم بالموضوع)، وهو الخطاب الذي أعلن فيه استعداده لزيارة القدس. ولقد فسرنا هذا الكلام كما فسره الناس بأنه ضرب من المبالغة، أو المناورة بقصد الإحراج، وبعد ذلك قام السادات بزيارة دمشق، وأظن أنه بحث الأمر مع الرئيس الأسد، ورفض الأسد الفكرة، وأعلن السادات في مطار دمشق أن الرئيس السوري أبلغه رفضه واعتراضه، وعندئذ اتضحت الأمور تماماً.. وهكذا بادرت المملكة فبعثت برسالة إلى الرئيس السادات صباح يوم سفره إلى القدس، تحاول فيها أن تثنيه عما اعتزمه، لأن عمله غير منطقي وغير معقول، فلم يردّ علينا بحرف، وفي المساء أعلنت المملكة موقفها الرسمي المعروف من الزيارة، وكان ضرورياً أن نعلن موقفنا لأن الكثير من قادة الأمة العربية ومن أهل الفكر والرأي اعتبروا أن المملكة على علم مسبق بما تم؛ فالسادات جاء إليها من إيران، ومنها سافر إلى مصر وبعد ذلك مباشرة تمّت الخطوة. وكانت علاقاتنا به آنذاك طيبة جداً، فكان منطقياً أن يفترض المفترضون أن السعودية مطلعة على نوايا السادات، بغضّ النظر عما إذا كانت موافقة عليها أم لا.

هممنا بسؤال، إلا أن تدفق الأمير فهد فوّت علينا الفرصة، وسمعناه يتابع حديثه فيقول:

ـ لقد مضى وقت قبل أن يستوعب الناس حقيقة ما حدث، وقبل أن يستوثقوا بأنفسهم أن لا علاقة لنا بالأمر، وأن موقفنا الفعلي والحقيقي هو ما أعلناه مع لحظة بدء الزيارة ـ وأظن أن كثيرين تمنّوا لو أن خطوة السادات حققت مطالب العرب: الانسحاب الإسرائيلي من غزة والضفة الغربية بما

فيها القدس، والجولان، وسيناء، لو تحقق شيء من ذلك لأمكن تفسير الأمر بأنّ السادات بادر ليكون له مجد صياغة الحل وتحقيق السلام، ولا بأس في ذلك: فالمهم أن تتحقق مطالب العرب وليس مهماً أن نحققها نحن أو غيرنا، هذه الدولة أو تلك، أو هذه المجموعة أو تلك.. لكن الأمور انتهت إلى ما نراه الآن، فما لا يقبل به ولا يوافق عليه أي عربي، بل أي مسلم في مختلف أنحاء الدنيا. لقد انتهى كل شيء، وها نحن نسمع تصريحات يومية من قادة إسرائيل يكررون فيها إعلان رفضهم لمجرد المناقشة في هذه المطالب. وكان يمكن توقّع هذه النتيجة البائسة، منذ البداية؛ فحين أعلن السادات رغبته في زيارة القدس، أعلن بيغن ما مفاده «إذا كان قادماً من أجل استعادة الضفة الغربية أو غزة فالأفضل ألا يأتي». ولقد كرر بيغن مثل هذا الكلام في اللقاء الثاني بينه وبين السادات في الإسماعيلية، على ما أظن.

صمت فهد للحظة، ثم أضاف بشيء من الحسرة: «ـ لقد حدد السادات في الكنيست الإسرائيلي مطالب العرب، وليته قد استمر على تمسّكه بها، إذاً، ما كان لأحد أن يقول شيئاً».

نقل مسبحته من يمناه إلى يسراه، أخرج علبة السجائر والولاعة، فأشعل لفافة، وأكمل يقول:

■ لنتأمل الوضع الآن، هو مكشوف على أي حال. إن خطوة السادات لم توصل مصر ولا الأمة العربية إلى أية نتيجة ولا حتى إلى تنفيذ منطوق القرار الرقم ٢٤٢ الذي كانت قد وافقت عليه، بحسب ما أذكر، مصر وسوريا والأردن، وإسرائيل نفسها، وأعضاء مجلس الأمن، وحتى هذا القرار صار الآن خارج البحث، فإسرائيل ترفض مجرد البحث فيه..

■ عقّب أسعد المقدم: ـ هي مشغولة الآن ببناء مزيد من المستوطنات والمستعمرات.

■ أجل، وهذا الوضع القائم لا يمكن أن ينتهي إلا إذا وجد اتفاق عربي وموقف غربي موحد، في المشرق وفي المغرب، وهُيِّأت الظروف بحيث يتنامى التنسيق تدريجياً وتضمحلّ الخلافات الجانبية أو تتم محاصرتها، ويتحقق التفاف عربي شامل، عندئذٍ يمكن الوصول إلى نتيجة جيدة جداً.

عن خلافات القادة العرب

واستطرد الأمير فهد يحدد مَحاور حركته أو ما يمكن اعتباره «برنامجه» السياسي، قال:

أنا من المؤمنين بحقّ كل دولة عربي في أن تكون حرة بتصرفاتها الداخلية، ذلك شأنها مع شعبها، الحكومة ورئيس الدولة والشعب يقررون مصلحتهم وما يريدون أو يكون، وعلى أي مستوى، وليس من حق أي دولة عربية أن تتدخل، في الشؤون الداخلية للدولة الأخرى. بالطبع علينا حقوق كعرب، وكمسؤولين في تأمين الالتفاف بالنسبة إلى الإطار الخارجي والمصالح المشتركة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً واجتماعياً، وما من زعيم عربي إلا وينادي بمثل هذا، والمهم هو أن نصل بالفعل إلى مثل هذه النتيجة.

أنا أقول: إن علينا أن نصل إليها، ولا أتصورها بعيدة، صحيح أن ثمة خلافات بين بعض الدول العربية الآن، ولكن علينا ألا ننحني ونتجمد أمام هذه الخلافات، علينا أن نحلّها، علينا أن نستمر في طرق الأبواب وبذل المساعي الخيرة، ومن الضروري الحرص على عدم انقطاع العلاقات بين قادة الأمة العربية، ولا نظننا سنعجز عن إيجاد الحلول الملائمة والمناسبة.

واستدرك مرة أخرى، فقال: ما من شكّ أن ثمة دولاً عربية تريد أن تطمئن إلى الآخرين، لكن هذا لن يتأتى إلا إذا حسنت النوايا، وإلا إذا تم توفير الظروف المناسبة، وربما كان ضرورياً أن يتعهد كل طرف بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للطرف الآخر، وعلينا ألا ننسى أن الأوضاع العربية السائدة تنعكس مباشرةً على الشعب الفلسطيني، وهو بالطبع جزء من الأمة العربية وحاله حالها، وأننا ممن يقولون بأنه لا يمكن أن يلام الشعب الفلسطيني عندما نجده يعاني أو يعيش حالة خلافات في الرأي تتجسد منظماتٍ كلّ منها لها وجهة نظرها حيال بعض الأمور؛ ففي غياب إطار عربي كبير ينتظم الجميع بمن فيهم الشعب الفلسطيني، ستظل مثل هذه الحال مفهومة وقائمة.

وانتقل الأمير فهد إلى النقطة التالية في برنامجه، من غير أن يترك لنا فرصة التعقيب أو التعليق أو طرح الأسئلة، قال:

لقد نجح مؤتمر بغداد، بلا شك، في تحديد بعض الأسس وتحديد أمور معينة وهيأ الجو للقاء بين قادة البلاد العربية، وكذلك مؤتمر تونس، لكنّ المؤتمرَيْن لم يحققا كل ما نريده، وإن كان السعي متواصلاً. ومما يسرّ الخاطر أن ما من زعيم عربي، إلا ويعرب عن رغبته الأكيدة في قيام اتفاق عربي. وفي تقديرنا أن هذا يجب ألا يقتصر على قادة الأمة العربية، بل يجب أن يشمل قادة الرأي والفكر أيضاً لتطرق كل الأبواب. لماذا لا يكون اتفاق شامل، خصوصاً من ثَمّ أنه لا يمكن التأكيد بأن القواعد الداخلية والتنظيمات الداخلية سوف تحترم، إننا لا نتصور أن أي حاكم عربي يريد الإضرار بوطنه، وبحكم أننا كعرب لا نزال في دور التطور، فلنفتش معاً عن قواعد نسير عليها في تنظيماتنا الداخلية، يمكن جُرِّبت طرق وتبين أنها غير مفيدة وغير بنّاءة، إذاً، نجرب طرقاً أخرى.

وأوضح الأمير فهد قصده من خلف تلميحاته وإيماءاته بكلمات أكثر وضوحاً وتحديداً حين قال: أن تتوافر للحاكم أو للمجالس النيابية أو القيادية الراحة والطمأنينة بأن لا شيء سيفرض عليه من الخارج، وبأنّ أحداً لن يحاول أن يثير مشاكل داخلية، وعندئذٍ سوف نصل إلى النتيجة الحتمية، إلى التفاف عربي يحقق مصالح الجميع، وفي غياب مثل هذا الالتفاف لن تكون لمواقفنا الدولية الفائدة المرجوّة.

وأكّد فهد، على نقطة أخرى في برنامجه، قال: **أنا من القائلين بأن صداقتنا للعالم، شرقه أو غربه، يجب أن تظل في حدود لا تخرج عنها، ولا يجب أن نعطي الغرب أو الشرق تسهيلات تسيء إلى البلد العربي المعني أو إلى أي بلد عربي آخر. إن علاقتنا مع دول العالم واجب تفرضه مصالحنا، إذ لا نستطيع عزل أنفسنا عن العالم، خصوصاً وأننا لا نزال في المراحل الأولى من التطوير والتنظيم، أما الصداقة فتكون في حدود المصالح الوطنية، وهذا لا يقتصر على الشرق أو على الغرب: كل دولة تمدّ يدها لمساعدتي في حدود ما لا يمسّ حريتي واستقلالي أمد يدي وأرحب بها، لأني لا أستطيع أصلاً أن أستغني عنها. لم نصل بعد إلى درجة التكامل، وحتى الدول التي حققت تقدمها تتعاون في ما بينها وتمد يدها لبعضها البعض، وأحياناً نسمع من يقول: لنتجنب الدولة الفلانية، ولنمتنع عن إقامة علاقات أو عن بناء صداقة بعيدة المدى، ولا نربط**

أنفسنا بأي التزام، سواء أكان اقتصادياً أو عسكرياً أو سياسياً، إلا في حدود مصلحتنا، ولا أظن أن ثمة من لا يستطيع تقدير مصالحه، بالطبع يحصل أحياناً، وبدافع التجاهل والرغبة في تشويه السمعة، أن يحاول طرف تشويه سمعة طرف آخر، باتهامه في صداقته لهذه الدولة أو تلك، سواء أكانت الدولة الاتحاد السوفياتي أو الولايات المتحدة أو فرنسا. ومألوفة هي الحملات التي تستخدم أبواباً جانبية ويكون القصد منها التشويش لا أكثر.. في أي حال وفي ما يخصني، فلست أتصور أن ثمة بلداً عربياً واحداً يريد حقاً أن يرمي نفسه في أحضان الاستعمار، لا فرق أن يكون شرقياً أو غربياً. إننا لا نزال غير بعيدين عن عصر الاستعمار، ولم يتحقق استقلال الأقطار العربية، معظمها، إلا قبل سنوات قليلة، وبالكاد غادر الفرنسيون والايطاليون والبريطانيون أرضنا العربية، ولا أفترض، أبداً أن هناك شعباً عربياً يريد الآن أن يرتبط ارتباطات من طبيعة استعمارية مع الشرق أو مع الغرب، بقي أن نسعى وأن نعمل لتحقيق الالتفاف العربي، وأن نعمل لتصفية الخلافات والتحفظات والمخاوف المتبادلة لتحقيق الغاية المرجوة.

إمكاناتنا هائلة... ولكن

أشعل سيجارة جديدة، وأكمل شرح برنامجه السياسي، قال:

ـ لولا ما نحن فيه لما كان معقولاً أن تنتصر علينا إسرائيل: ونحن نشكّل، كعرب أكثر من ١٢٠ مليوناً وعندنا الطاقات البشرية وعندنا المال وعندنا الرجال وعندنا الإمكانات، ثم إن قضيتنا الحقيقية والأساسية، قضية الشعب الفلسطيني، لم تعد قضية مهملة وغير معروفة، بل هي أصبحت الآن معروفة دولياً، والقواعد الشعبية في أي بلد في العالم باتت تدرك أنها قضية رئيسة ولا يمكن بأي حال أن يمكن الوصول إلى أي حل إلا إذا أخذ الشعب الفلسطيني حقه كاملاً غير منقوص.

وانعطف يروي واقعة معيّنة للتوكيد، فقال الأمير فهد:

تذكرون أني قمت بزيارة لألمانيا (الغربية) قبل سنة تقريباً، يومها، ولأول مرة في ما أظن صرح المستشار شميت (هلموت) في المطار، أمام الصحافيين وبحضوري، أنه لا يمكن أن يكون استقرار إلا إذا اعترفت

شعوب العالم بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولة فلسطينية مستقلة...

وما من مؤتمر يعقد الآن في أوروبا، حتى تلك المؤتمرات التي ليس للعرب أي علاقة بها، إلا ويتطرقون إلى حق الشعب الفلسطيني وضرورة الاعتراف به، حتى في أميركا نفسها هناك الآن قادة يحاولون أن يكون نجاحهم في ترؤُّس أحزابهم أو في الوصول إلى رئاسة الولايات المتحدة على أساس حق العرب وحق الشعب الفلسطيني، وثمة رجال اقتصاد وخبراء يعملون الآن في محاولة لإقناع الشعب الأمريكي بأنه لا يمكن التغاضي عن حق الشعب الفلسطيني والأمة العربية.

وتساءل الأمير فهد: ولكن كيف نستطيع أن نقف وقفة متكاملة عربية إلا إذا تحقق الالتفاف العربي؟ قد نسمع من يقول: إن إسرائيل عندها إمكانات عسكرية ضخمة، هذا صحيح، على أن الصحيح أيضاً أنه يمكن أن تكون لدينا إمكانات عسكرية هائلة، كعرب، تزيد عما لإسرائيل، للأسباب التي عددتها (المال، الرجال، السلاح) يمكن أن تتوافر لنا قوة تمكننا من الوصول إلى حقوقنا ومطالبنا العادلة والمنصفة.

وتوقّف الأمير فهد لبعض الوقت أمام أهمية الإعلام في مرحلتنا الراهنة (وهي نقطة أخرى في البرنامج) فقال:

طبعاً في ظلّ الالتفاف العربي العتيد ستختلف نظرة العالم إلينا، وسيزيد احترامه لنا، وحتى على الصعيد الإعلامي سيكون لنا دور رئيس في أميركا وفي أوروبا وفي سائر أنحاء العالم، وبالذات آسيا وأفريقيا، يمكن أن يفتح أمامنا المجال فسيحاً لكي نبرز حقنا الثابت الذي تحاول أجهزة الصهيونية طمسه بالطرق التي نعرفها والإمكانات الإعلامية الهائلة التي تملكها، وعلينا أن نعترف بتقصيرنا في هذا المجال، خصوصاً وأن للإعلام في عصرنا مفعولاً يفوق مفعول السلاح، لأن الإنسان يقتنع بعقله ولا يمكن إلا وأن يقر بالحقائق حين تعرض أمام بصره وبصيرته، ولكن إذا حيل بين هذا الإنسان وبين الحقيقة العربية، فسيظل على الاعتقاد الذي زُرع في دماغه زوراً، أن إسرائيل مظلومة، وبأن العرب يريدون ابتلاعها.

وانتقل الأمير فهد إلى نقطة أخرى، في برنامجه، ونحن نتابعه في انتظار أن تسنح الفرصة لبدء الحوار، قال:

في قمة تونس مثلاً ومن خلالها، بدا واضحاً أنه صار لدينا أخيراً جامعة عربية، وأن لدينا أميناً عاماً للجامعة، بالفعل جامعة عربية على مستوى الأحداث وأمين عام على مستوى الأحداث، لا يمكن إلا أن نقول إنه على مستوى الأحداث. وبالتأكيد، فإن الجامعة تختلف الآن عما كانت عليه الحال قبل بضعة شهور، وهناك مساعٍ تبذل لتطوير أنظمة الجامعة ولتمكينها من أداء دورها في الإطار الصحيح.

وعاد فهد إلى التشديد على شعاره الأثير «الالتفاف العربي» قال:

على أن هذا كله لا يمكن أن يكون له قيمة ووزن إلا إذا تحقق الالتفاف العربي. ونحن نأمل أن تتكرر اللقاءات، سواء على مستوى القمة أم بشكل لقاءات ثنائية، ونثق بأن مثل هذا التوجه لا بد أن يؤدي إلى نتيجة، لماذا؟! لأنك حين تسأل أي قائد عربي عن مشكلته تتبين أنها مشكلة محدودة ويمكن حلّها، وأعتقد أن تواصل اللقاءات بين القادة العرب ضمن إطار معيّن وفي أوقات منتظمة، يساعد في الوصول إلى النتائج المرجوة. وأعتقد أن الشعوب العربية كفاها ما عانته، وأنها سئمت الأوضاع القائمة الآن. ومن ناحية المملكة السعودية، فسوف نبذل ما نستطيع من جهد في هذا السبيل. ومن حسن حظنا أن علاقاتنا طيبة مع الدول العربية جميعاً، ولا يعطّل دورنا سوء تفاهم أو خلاف مع أي طرف عربي، وسنواصل اتصالاتنا مع إخواننا في البلاد العربية على أعلى المستويات، وهذا بالطبع ليس واجبنا وحدنا بل واجب الجميع. ولا يمكن أن تدّعي المملكة أن مجهودها لوحدها ستكون له القيمة المطلوبة، بل القيمة للمجهود العربي المشترك.

واختتم الأمير فهد «المونولوغ» أو «البرنامج» بمقطع خاص عن لبنان أشعرنا وكأننا على وشك أن نصدر بياناً مشتركاً بنتائج المحادثات. . . قال:

بطبيعة الحال، ومن خلال صداقتنا المعروفة للبنان، يحزننا أن تبقى الأوضاع في لبنان على ما هي عليه، ويسرّنا لو وجدت الحلول الملائمة

للمشاكل التي يعاني منها الشعب اللبناني، وردع إسرائيل عن التمادي في عدوانها وخلق المشاكل في داخل لبنان. ولست أنوي ولا أستطيع أن أقول أكثر عن لبنان، فالأمور واضحة تماماً ولم يعد ثمة غموض أو جوانب خفية، ولا أظن أن هناك عربياً واحداً إلا ويحب أن يتحقق للبنان السلام والاستقرار، ويتمنى أن تقف هذه المشاكل التي وجدت بالرغم من إرادة الشعب اللبناني عند حد.

ومن طبائع الأمور أنه عندما تنصبّ التيارات القوية والعنيفة على بلد من البلدان، فإنها سوف تجد من يغذّيها ومن يفتح أمامها فجوات تعشش وتبقى فيها مثل جرثومة المرض في جسم الإنسان، تنتقل من جزء إلى جزء آخر، على أنّ هذا لا يمنع، بأي حال، من أن تبذل وتستمر المساعي الخيّرة من أمتنا العربية لمعالجة الوضع في لبنان. والمملكة العربية السعودية على اتصال دائم، وتحاول بصفة مستمرة، لعلنا نستطيع أن نؤدي أي خدمة للشعب اللبناني في إطار مصلحته القومية، ومعروف الآن أنه ليس ثمة لبناني إلا ويريد أن تقف هذه الأمور عند حد. وإن شاء الله، نوفّق جميعاً لما فيه فائدة لبنان.

عن السادات ورد الفعل..

عند هذه النقطة فقط بات ممكناً «أن نبدأ المناقشة أو الحوار مع ولي العهد في السعودية»، وكان ضروريا أن نعود إلى «مونولوغه» الطويل الذي تضمّن شرحاً وافياً لمنهج المملكة وخطّها السياسي العريض.

وجرياً على العادة مع الملوك، سألناه الأمان تمهيداً لأن نبدأ «الشغب» قلنا:

■ *لنعد إلى الحادثة الشهيرة، زيارة السادات وما تلاها، هناك جانبان للمسألة، السادات واتصاله أو عدم اتصاله بكم، والجانب الأمريكي، بحكم العلاقة الخاصة (قاطعنا هنا ليقول: إن علاقتنا جيدة مع الولايات المتحدة)، وبحكم ما يلاحظ بين الحين والآخر من تنسيق بينكم وبينها. ألم تتصل بكم واشنطن في حينها بهدف التشاور أو التنسيق أو مجرد الإبلاغ؟! ثم، ألم تكن هناك قدرة بالفعل على منع السادات من القيام بزيارته ووقفه عند حد،*

حتى لو ذهب؟ فإن المواطن العادي يعتبر أنه كان ممكناً منع الرجل من ارتكاب فعل الخيانة العظمى أمام مرأى الجميع ومسمعهم؟

وردد الأمير فهد: صحيح، صحيح، هذا والله صحيح.

■ *قلنا: في تقدير المواطن إنه كان بالإمكان التدخل لمنع الحدث من أن يكون، والذي حصل أن الجميع جلسوا ـ مثله ـ أمام التلفزيون يتفرجون عليه، ولم يبذلوا ما يكفي من الجهد لوقفه عند حد، بأي أسلوب، بأي طريقة، وهذه مسؤولية يحملها الجميع..*

وافقنا الأمير فهد بهزّ الرأس وبالقول: طبعاً.. طبعاً.

■ *وأكملنا ما نريد قوله: ذهب السادات إلى القدس ثم استمر في تنفيذ خطته والعرب يتفرجون على التلفزيون، مكتفين من الجهاد باستمطار اللعنات عليه أو بإصدار بيانات الشجب والاستنكار. كان هو يعمل وبقية القادة يكتفون بردود فعل باهتة وسطحية، بينما الجماهير العربية مقموعة وممنوعة من الحركة والاعتراض والتعبير عن رأيها. حتى التظاهرات لم تخرج إلا في الأرض المحتلة (أي في ظل حراب العدو الإسرائيلي)، وفي بيروت بعد استشارات واتصالات وضمان الحصول على الإذن بالتظاهر!*

قال الأمير فهد موافقاً على صحة كلامنا: صحيح، صحيح طبعاً، والله صحيح.

■ *وتساءلنا: ماذا يمكن أن تسمّي تصرف السادات؟! أليست هذه هي وبكل الأعراف الدولية، الخيانة العظمى؟*

قال الأمير فهد: ـ بلى.. بلى.

■ *وهل لها اسم آخر؟*

قال: ـ أبداً.

■ *قلنا: إن فعلته تمسّ الأمة العربية كلها، تمسّ كل مواطن فيها، داخل مصر وخارجها. لقد ألغى تاريخنا، لقد ألحق بنا جميعاً ذل العار. وسؤالي هو: في مواجهة ما فعله السادات، وهو خطير وفظيع، لماذا كان رد الفعل العربي باهتاً وغير مؤثر إلى هذا الحد؟! لماذا لم يكن في*

مستوى فعلته؟! لماذا كان ولا يزال محدوداً ولا يقاس بالتأثيرات المدمرة للفعل نفسه؟ وفي اعتقادنا أن السعودية بإمكاناتها الضخمة وبصداقاتها الدولية كان يمكنها أن تلعب دوراً أكثر فعالية، فلماذا لم تلعب هذا الدور بالكامل؟!

قال الأمير فهد، وهو على هدوئه ذاته: نحن، بطبيعة الحال لا يمكننا أن نقوم بأي مجهود عربي إلا بإجماع عربي. وأما من ناحية اتصالنا بالولايات المتحدة الأمريكية، فقد اتصلنا بها وإلى أبعد حد ممكن، ولكن عندما قام السادات بخطوته تلك، بادر العراق إلى الاتصال بالبلاد العربية حتى يصار إلى عقد اجتماع يحدد ما هي الخطوات التي يجب أن تتخذ ضد ما عمله. والخطوات التي تم إقرارها نفذت بالكامل، ويهمني أن أذكر أن المملكة العربية السعودية لم تعترض على أي إجراء أريد اتخاذه بأي حال من الأحوال، وكل ما اقترحته الدول العربية وافق عليها المؤتمر بالإجماع وهي الآن قيد التنفيذ، ولكن السؤال يظلّ موجهاً إلى السعودية طبعاً وإلى الآخرين جميعاً. وعلينا أن نعترف أنه ليس كل شيء في أيدينا، والسادات كما تفضلتم مستمر في خطه المعيّن، ويواصل خطواته بغير توقّف، ما هي الخطوات التي يمكن أن تتخذ بعد لوقفه؟! في رأيي، يتوجب على قادة الدول العربية أن يلتقوا ويناقشوا ويتخذوا ما يرونه ضرورياً من الإجراءات التي يمكن أن تواجه أو توازي خطواته المتواصلة، هذا لا يعني بأي حال، أن مقررات بغداد لم تكن إيجابية. في اعتقادنا أن ما اتخذ في قمة بغداد ولاسيما بالنسبة إلى مقاطعة مصر، كان لها تأثير كبير في مصر وحققت هدفها، لكن إذا كانت هناك ضرورة لخطوات أخرى فنحن مع اتّخاذها.

■ *وسألنا الأمير فهد: لماذا لا تبادرون أنتم؟! لماذا تنتظرون، في العادة، الآخرين؟! لماذا لا تقترحون مجموعة من الخطوات، ثم إنكم تقدرون أن تمارسوا ضغطاً غير محدود. وعلى أكثر من مستوى؟!*

قال ولي عهد السعودية: يمكن أن يحدث هذا في مؤتمر القمة المقبل أو في أي لقاء. وللمناسبة، فإن الأوضاع العربية في نظري تحتاج إلى علاج متصل، وقد يكون مفيداً ألا ننتظر سنة كاملة لكي نلتقي، ومن الممكن تقديم موعد القمة الدورية المقررة، ونرى أنه يجب على قادة الأمة العربية أن يتلاقوا باستمرار لمناقشة هذه الأمور، وأؤكد لك أن المملكة العربية

السعودية لن تتردد في أي حال، إذا اتخذت الدول العربية أية خطوة إيجابية.

■ *وما هي الخطوات الإيجابية المطلوبة في نظركم أنتم؟*

قال الأمير فهد: لقد ذكرت أن الإجراءات التي أُقرَّت في مؤتمر بغداد كان لها تأثيرها الإيجابي المباشر، لم تحقق الهدف المرجوّ مئة في المئة، لكنها أدت مفعولها، مطلوب إجراءات أخرى أكثر فعالية؟! حسناً نلتقي ونناقش الأمر ونتدارس طبيعة الخطوات المطلوبة بهدف المزيد من التأثير، والتقدم برد الفعل ليصبح أكثر قرباً من طبيعة الفعل.

جنيف والقرار ٢٤٢

ووجدنا من الأفيد أن ننتقل بالمناقشة إلى نقطة أخرى، قلنا:

■ *عند حديثكم عن مؤتمر جنيف والقرار ٢٤٢، لاحظنا مفارقة استوقفتنا، لقد ذكرتم أنكم غير معنيِّين بالقرار ٢٤٢. وقلتم أيضاً ما مفاده إنكم سعيتم إلى تأمين انعقاد مؤتمر جنيف، مع العلم أنه يرتكز على القرار ٢٤٢.*

قال الأمير فهد بسرعة، كأنه أعدّ جوابه سلفاً: لم نكن نحن معنيين بالقرار ٢٤٢. لكننا، كما قلت، مع ما تقبله الدول العربية لنفسها، والأمر ذاته بالنسبة إلى موضوع جنيف، لقد وافقت سوريا ومصر والأردن على القرار ٢٤٢، وبحسب مفهومي، فإنه حتى الشعب الفلسطيني كان يؤيد مؤتمر جنيف، وبحسب ما نذكر، فإن المباحثات كانت تدور حول هل تكون دعوة الشعب الفلسطيني من ضمن إطار وفد إحدى الدول العربية أم كوفد مستقل؟! وفي ما خصّنا، فنحن لم نعارض مؤتمر جنيف، لأننا لا نقدر أن نعترض على ما يقبله المعنيّون، بمن فيهم شعب فلسطين، ومعروف أن الدول العربية المعنية بالموافقة على القرار ٢٤٢، كانت ترى أن مؤتمر جنيف قد يكون خطوة إيجابية وعملية أفضل من أي خطوة أخرى، وكما تتذكرون، كان ثمة خلاف حول «شكل» الحضور العربي، هل تحضر أربعة وفود عربية، أم يتمّ الأمر بوفد عربي موحد؟ وظلت المناقشات مستمرة حتى كانت زيارة السادات، فجعلت جنيف غير ذي موضوع. للمناسبة ألم يكن

جنيف أفضل ألف مرة من خطوة السادات؟! كان الرأي أن المؤتمر إذا لم يحقق تقدماً عربياً على صعيد إبراز القضية بخاصّة ـ فإننا لن نخسر فيه شيئاً.

كارتر والاعتراف بالمنظّمة..

ومضينا ندقّق في «الدفاتر العتيقة» وما تتضمنه من معلومات غير مكتملة حول هذه النقطة، سألنا الأمير فهد:

■ *من المعروف أنه كان لكم دور أساسي في محاولة تعديل ٢٤٢ بما يضمن الوصول إلى اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بمنظمة التحرير الفلسطينية... هل لنا أن نسمع منكم الرواية الكاملة لهذه الواقعة التي لم تتمَّ فصولاً؟!*

قال الأمير بشيء من الحيوية:

هذا صحيح، ولقد حدث قبيل ذهابي إلى الولايات المتحدة بعد انتخاب كارتر رئيساً، أن اتفق رأي الإخوان في منظمة التحرير أن أحمل معي مذكرة تشرح رأي الشعب الفلسطيني وقضية الشعب الفلسطيني وأحقيته في العودة إلى وطنه، وقد أُعدَّت بالفعل مذكرة مفصلة وواضحة ومركزة وكُلفت بتسليمها إلى الرئيس كارتر، وبالفعل حملتها معي وعرضتها أمام الرئيس الأمريكي وسلمتها إليه، وقد تقبّلها بشكل طيب، فلا هو أبدى انزعاجاً ولا هو اعترض على شيء فيها. بل إنه قال لي وبالحرف: «يسرّني أن أطلع على قضية الشعب الفلسطيني، لأنني بحكم أنني لا أزال في مستهل ولايتي، فإن معلوماتي لا تزال غير مكتملة، ومهما كان اطلاعي على القضية، فإن هذا لا يمنع من أن أطلع عليها من أصحاب الشأن مباشرة».

بعد ذلك التقيته مرة أخرى، فقال لي ما مفاده إنه سعيد لأنه اطلع على حقائق الأمور. وترافق هذا مع الانتخابات النيابية في إسرائيل التي أوصلت بيغن وحزبه إلى الحكم، وهنا لا بد أن أدلي بشهادة، للتاريخ، وشهادتي أن الرئيس الأمريكي كارتر كان أكثر المستاءين ممن قابلت، من نجاح بيغن وحزبه، لقد كان استياؤه واضحاً وعلنياً، بل إن هذا الاستياء امتد حتى إلى

أوساط بعض الجمعيات اليهودية في أميركا التي ربما نقول إنها تحاول أن تحافظ على أنماط من التفكير المعتدل.

في أي حال، هذه حقيقة ما كان بين الرئيس كارتر وبيني (وكل هذا مدوّن ومسجّل في وثائق محفوظة) في الموضوع الفلسطيني. لقد بذل وفد المملكة العربية السعودية جهداً في شرح القضية العربية بالطريقة الصحيحة والواضحة مبيّناً حق الشعب الفلسطيني، وأظهر الوفد الأمريكي تقبّلاً لهذا الشرح، فلم يعترض ولم يتحفظ، بل إنه حتى لم يناقشنا في ما قلناه. ولقد سررت طبعاً بأن يتقبل الرئيس الأمريكي هذا الشرح بتفهُّم. وحين عدت إلى وطني التقيت بقادة الثورة الفلسطينية وعلى رأسهم الأخ ياسر عرفات، فأبلغتهم بما كان، ولمست أن لديهم استعداداً لبحث الأمور، وقلنا لهم يومئذٍ إذا أريد منا أن نبذل بعد أي مجهود فنحن على أتم الاستعداد. ولهم إذا أرادوا أن يتصلوا مباشرة أو بواسطة أي من القادة العرب الآخرين، فهذا شأنهم ولا نريد أن يفهموا هم أو يفهم غيرهم أن لدينا رغبة خاصة في هذا المجال لا تتفق مع مصلحة الشعب الفلسطيني، ذلك أننا نعتبر قضية الشعب الفلسطيني قضية المملكة العربية السعودية، بل قضية كل عربي سواء أكان دولة أم فرداً.

■ *سألناه: هل صحيح أن الرئيس كارتر كان على استعداد للاعتراف بمنظمة التحرير؟ وماذا بالنسبة إلى صيغة تعديل القرار ٢٤٢؟!*

قال الأمير فهد بلهجة حاسمة: لقد قال لي الرئيس كارتر إنه مستعد وعنده الرغبة والعزم على الاعتراف بمنظمة التحرير إذا ما اعترفت منظمة التحرير بالقرار ٢٤٢، بعد حذف الجزء الأخير منه الذي ينعت الفلسطينيين أو يشير إليهم باسم اللاجئين، لقد أكد لي أنه إذا قبلت المنظمة بالقرار ٢٤٢ معدَّلاً، فإن الولايات المتحدة ستعترف بها.

■ *هل اشترط كارتر اعتراف منظمة التحرير بدولة إسرائيل؟*

قال الأمير فهد باللهجة الحاسمة ذاتها: لا، لا، أبداً، فقط اشترط موافقتها على القرار ٢٤٢، بل إنه قال إن الجزء الذي يصف الشعب الفلسطيني باللاجئين أو ما شابه، يحذف، وقال إنه ما دامت مصر معترفة بالقرار وسوريا والأردن، فمن المفيد لمنظمة التحرير، وهذا كلام

الأمريكيين، أن تعترف بالقرار ٢٤٢ الذي ينص صراحة على الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة سنة ١٩٦٧، وأنت تعرف أن هذا المشروع إنكليزي بنصّه الأصلي، وهناك اختلاف على تفسيره بين الإنكليز والفرنسيين.

المهم، نقلت أنا الخبر مثلما سمعته من الرئيس كارتر، وبحسب ما لاحظت فإن الأخ ياسر عرفات والإخوان الآخرين تقبّلوا مثل هذا الأمر واعتبروه خطوة إلى الأمام، لأن اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بمنظمة التحرير أمر مهم، لأن أميركا دولة كبيرة ولها ثقلها.

وهنا أقول، وأشدد على القول: إننا نحن، كمملكة عربية سعودية، لم نقترح شيئاً ولا نقترح الآن شيئاً، والأمر بكلّيّته يخص قادة الشعب الفلسطيني وهم المعنيون بأن يوافقوا أو لا يوافقوا عليه، المملكة العربية السعودية معهم تقبل ما يقبلون، وما يرفضه هؤلاء القادة والشعب الفلسطيني فنحن لا نوافق عليه.

ذلك هو دورنا على هذا الصعيد، وقد انتهى عند هذا الحد. وقد أبلغت إخواننا، يومئذٍ إذا ما أردتم أن تقوم المملكة بأي مجهود، فنحن لن نتأخر، وإذا أردتم أن تقصدوا أي باب آخر، فهذا حق من حقوقكم. إنما نحن لن نوافق على أي أمر لا توافقون أنتم عليه، ولن يكون لنا أي موقف ضاغط تجاه أي أمر لا يتفق مع مصلحة الشعب الفلسطيني. نحن نقلنا الرسالة وتركنا الأمر بعد هذا إلى إخواننا قادة الشعب الفلسطيني وربما درسوه، ويمكن بعد درس الأمور من جميع جوانبها وجدوا بعض القضايا التي قد لا تتفق مع مصلحة الشعب الفلسطيني، أنا لا أدرك هذا بالضبط ولكن هذه تصوّرات.. تصوّرات من عندي... ووقف الأمر عند هذا الحد.. ونحن لم نعد إليه فنطلب بحثه أو مناقشته حتى لا يفسّر الأمر بأن للمملكة أي موقف معيّن او رغبة معينة.

■ *ألم يكن من المفروض إعلان صيغة معيّنة في الوقت نفسه من الطرفين؟!*

كان هناك شيء من هذا، لكن الأمر انتهى عند رغبة إخواننا.. رغبة الأخ ياسر عرفات بشكل خاص: بأنه سوف يبحث هذا الأمر مع إخوانه

وزملائه الآخرين، فكان جوابنا أننا على أتم الاستعداد إذا أريد منا أن نقوم بأي مجهود إضافي، وإذا رؤي أن تقوم منظمة التحرير بأي مجهود فذاك حق من حقوقها، إنما نحن لا نريد أن يساء تفسير موقف السعودية لأي سبب من الأسباب فتُنسَب إليها رغبة معيّنة، إنّ رغبتنا هي رغبتهم...

إطار عربي للضغط على أميركا

طرحنا سؤالاً مباشراً عن «كارتر العربي» قلنا:

■ *نعود إلى كارتر منذ مجيئه رئيساً وحتى اليوم كانت له تصريحات عديدة ومتناقضة ولا سيما في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية. . . كان يعلن موقفاً ثم لا يلبث حتى يعود بعد أيام ويتراجع عنه، فهل كان ذلك نتيجة ضغوط أم إن ذلك كان نوعاً من الخداع لعبه كارتر والمسؤولون الأمريكيون معنا؟*

وأجاب الأمير فهد:

والله... في تصوّري الشّخصي فإنّ الأمور كانت تتوقف على طبيعة رد الفعل العربي؛ أما أن يدلي الرئيس كارتر بتصريحات ثم يعود فيدلي بتصريحات أخرى فهذا شأنه هو، لكننا كعرب كان يجب أن تكون لنا مواقف معيّنة محدّدة نلتزم بها. وأميركا كدولة كبرى لها مواقفها ولها سياستها الخاصة ولها الأبواب التي تطرقها. ولا يجب في الواقع أن نقرر أمورنا بحسب هوى أية دولة أو أي زعيم من قادة العالم ومثلما يريد هو. يجب أن نقرر مصيرنا بأنفسنا، ويجب أن نلتزم في إطار معيّن محدد. وأنا ممن يتصورون أنه لو كان هذا الإطار موجوداً، كان يمكن أن تنعكس الأمور باتجاهات أخرى.

أتتذكرون البيان الأمريكي ـ السوفياتي؟ كان لا بأس به «ما هو بطال». حتى إخواننا قادة الشعب الفلسطيني أيدوه، لماذا لم نستغلّ ذلك البيان؟ لماذا لم نؤيّده دفعة واحدة إذا كان يحقق آمال الشعب الفلسطيني؟

■ *العرب عموما أيدوه؟!*

طيب، كان يجب متابعة التأييد.

■ *ولكن أميركا تراجعت عنه.*

حتى لو تراجعت أميركا عنه، كان يجب أن نسير في هذا الإطار ونطالب بهذا الخط، إنما التطورات العربية هي التي فرضت تجاوزه. ألم تتم عندئذ زيارة السادات؟

■ *ولكن هل كان يكفي أن نوافق ونؤيّد نحن فقط من دون الالتزام الأمريكي بالبيان، خاصة بعد التراجع الأمريكي نتيجة للموقف الإسرائيلي الشهير، وقبل أن تتم زيارة السادات؟*

لقد تغيّرت الأوضاع بمجرد بروز أمور أخرى، ومن ضمنها خطوة السادات إلى القدس، لكن مع هذا كله، أعود وأكرر مرة أخرى أن الأمور تتوقف علينا وعلى قادتنا، ولا يجب بأي حال من الأحوال أن نيأس.. لأن الأمور لا تزال في أيدينا الآن، وإذا تطرق إلينا اليأس فمعنى هذا أن قضيتنا تواجه محاولة لإذابتها، وإذا رفضنا أن تذوب قضيتنا، فلا يمكن أن تذوب.

أعدنا صياغة سؤالنا بشكل آخر، قلنا:

■ *اسمح لنا أن نناقشك قليلاً، نحن معك أن التقاعس أو التخلّي حاصل هنا، ويمكن أن يكون أمر الاعتماد على الموقف العربي الموحد، ولكن المعروف أن العقدة تكمن في الموقف الأمريكي، بيده الحل والعقد، وعلى هذا فإذا كانت المملكة هي أقوى قوى الضغط العربي على أميركا، فلماذا لم يمكن تثمير العلاقات مع أميركا بين مجموع الدول العربية من جهة، وعلاقات المملكة خاصة مع أميركا، للوصول بأميركا إلى الالتزام بما أعلنه رئيسها ووزير خارجيتها أكثر من مرة؟*

قال الأمير فهد بن عبد العزيز:

معك حقّ، علينا واجب في المملكة العربية السعودية، وعلى الدول العربية واجب، ويجب ألا نتخلّى عن هذا الواجب، وأنا أؤكد أن المملكة تطرق هذا الباب دائماً، ويمكن أن نكون نحن أكثر من يطرقونه بالنسبة إلى أميركا، لكن مثلما قلت لك: إن في الأمر مبالغة لو قلنا إن المملكة لوحدها يمكن أن تحقق شيئاً، إنما إذا وُجِد إطار عربي يضغط، وهذا ليس بضغط بل مطالبته بحق مشروع، فلا يستطيع لا الروس ولا الأمريكيان ولا

بريطانيا ولا فرنسا ولا أية دولة في العالم، أن تقول لي إن ليس لي الحق في ذلك..

■ *ولكن، طال عمرك: في غياب القوة يستطيعون أن يقولوا لا وألف لا . .*

قال الأمير فهد:

لكن القوة كيف؟ إن القوة المعنوية مهمة جداً، إنها مهمة إلى درجة متناهية، ومن أهم جوانبها في نظري أنا في الناحية الإعلامية التي يطالنا التقصير بها، أنت كإنسان مسؤول إعلامياً وعندك إدراك وتفهُّم للقضايا العربية، يمكن أن يكون الشيب في رأسك منها، مش بالنسبة إلى عمرك. لو كان عندنا حسن تصرُّف من الناحية الإعلامية لحققت قضيتنا مزيداً من النجاح. أنا أريد أن أخاطب الشعوب، يعني أخاطب الشعب الأمريكي وليس الحكومة الأمريكية، الشعوب كافة، يجب أن أخاطبهم بالطريقة المنطقية المفهومة، ولو تحقق ذلك لكسبنا الكثير. عندك في أميركا ما لا يقل عن مائة ألف عربي، أقصد من يقيم بصفة دائمة، وهناك حوالى الـ ٥٠٠ ألف عربي يروحون ويجيئون إلى ومن أميركا (هذا غير المغتربين)، ولو كسب كل عربي تأييد مواطن أمريكي واحد وأكثر، فذاك يكفي، ثم في النوادي وفي المجتمعات وفي الصحف والتلفزيون..

ولو كان هناك تنظيم لما كنا نخاف من موقف الشعب الأمريكي. يجب أن نكشف لهذا الشعب الحقائق، أن نقول له إنك كشعب أمريكي تستفيد مني كعربي آلاف الملايين من الدولارات، وفي الوقت نفسه أنت تدفع لإسرائيل آلاف الملايين. أفلا تدرك الفارق؟!

إن كل ولاية في أميركا تستفيد من العرب سواء من ناحية البيع والشراء، أو من ناحية التوظيف أو عمل الشركات أو إمدادات الدول العربية بالمنتوجات.. إذاً، فمخاطبة الشعوب لها وزن كبير، والشعوب تجبر حكومتها على الرضوخ للواقع والمنطق والمعقول، عندما تأتي وتخاطب بطريقة منطقية مقبولة فلن يكره إنسان الاستماع إليك، ولكن أنت تشاركني الرأي بأننا نفتقر إلى التنظيم في هذا المجال، ويمكن أن تحقق صحيفة كصحيفة السفير مجهوداً كبيراً وتقرأ في أميركا، ويقرأها العرب في أميركا والطلبة، ولكن مجهود طرف غير كافٍ..

وقاطعنا الأمير فهد لنقول له:

■ *عفواً، ولكننا لم نرتقِ بعد إلى هذا الحدّ.*

أعرف وأعرف أيضاً أن صحيفتكم تُقرأ في أوروبا، في لندن وباريس على الأخصّ، تقرأ بشكل قوي جداً، هذا مجهود وله تأثير فما بالك لو وجد مجهود عربيٍ على مستوى عالٍ جدّاً؟ الجامعة العربية كما تعرفون، مكاتبها في أي مكان، وبالكاد تجدون في كل منها موظفين أو ثلاثة لا يعملون أي مجهود، فالأمر أكبر بكثير من طاقتهم.

وقلنا للأمير فهد:

■ *عفواً مرة أخرى، ولكن لا تحملونا مسؤوليتكم أنتم، ولنكن واضحين في هذا ومتواضعين، الصحافي يمكن أن يكون شارحاً، مترجماً، صاحب فكرة أو رأي، ولكنه ليس هو القيادة السياسية. . إن الإعلام القويّ هو ذاك الذي يستند إلى موقف سياسي قويّ، وإذا ما افتُقد الموقف السياسي القويّ، فماذا يمكن أن ينفع الإعلام؟*

هذا صحيح.

■ *أعطني إذاً موقفاً سياسياً قوياً، عندها، يمكن الإعلام أن يلعب دوره.*

أنا معك مائة في المائة، أنا لا أحمّل صحافتنا العربية مسؤولية أي تقصير، وأعتقد أن صحافتنا العربية، أرادوا أم لم يريدوا أصبحت تُقرأ وتُتخذ دليلاً على مواقف معيّنة عربية حتى مع ضعف المجهود الذي تكلمت عنه، لكن الأمر مفروض. وما بالك لو وجد موقف عربي على مستوى الأحداث مع قوة الإعلام العربي؟

■ *أريد أن أقاطعك هنا لأذكّرك بحادثة معيّنة. في يوم من أيام الستينيات امتنع عمال مرفأ في نيويورك عن تفريغ باخرة عربية كانت تحمل اسم «كليوباترا»، فهبّ العرب جميعاً هبة رجل واحد، فنتج من ذلك موقف كان على العالم كله أن يحسب له ألف حساب. وهذا ما أريد الإشارة إليه، وأنا كإعلام أستطيع أن أرفع رأسي وأتحرك في كل موقف سياسي قوي، أما أن يذهب السادات إلى الأرض المحتلة ويجلس العرب أمام شاشات التلفزيون يشاهدونه دون أن يصدر عن حكامهم وعن شعوبهم*

المقهورة أي رد فعل في مستوى فعل السادات، فماذا تكون حجة الإعلام عندئذٍ، تكون ضعيفة جداً، وباهتة إلى أقصى حد. . .

معك حق.

■ *أنتم، كممسؤولين، مطالبون بالموقف، وأنا أدعم وفق قدرتي.*

صحيح، أنت تعمل مجهودك لكنك لن تكون المسؤول، ولو كان الإطار العربي يدعم هذا المجهود لتحققت الفائدة الكبرى.

السعودية والدولة الفلسطينية

وحاولنا العودة إلى السياق الأول للمناقشة، سألنا الأمير فهد:

■ *حسناً، قل لنا صراحة الآن: هل ستقوم الدولة الفلسطينية أم لا؟ سمعنا أن أميركا أبلغت المملكة العربية السعودية عدم موافقتها على إقامة الدولة الفلسطينية، على الأقل في المدى المنظور.*

قال الأمير فهد بلهجة المستنكر:

لا... لا... أبداً تأكد أن المملكة لن تقبل إهدار حق من حقوق الشعب الفلسطيني، ولم يصلنا من أميركا أية إشارة بهذا الخصوص.

■ *هل ترى شخصياً أن هناك احتمالاً لقيام الدولة الفلسطينية؟*

نعم أنا مقتنع بهذا. إن دول العالم وبالأخص أوروبا مقتنعة أيضاً أنه لا يمكن تحقيق الاستقرار إلا بدولة فلسطينية، ومقتنع أيضاً أن رجال الفكر في أميركا يؤيدون قيامها.

■ *أيمكن تقدير المدى الزمني المطلوب؟*

تقديري انه إذا وجد التنظيم العربي المركّز فلا بد أن تقوم دولة فلسطينية يعترف بها العالم. أؤكد مرة أخرى أنه لم يصلنا من أميركا أي شيء يشير إلى أنه في الوقت الحاضر أو في المستقبل، لن تقوم الدولة الفلسطينية.

■ *ما هو رأيكم، إن لدينا مفارقة غريبة، فالقضية الفلسطينية تضعف أو تقوى بقدر ما يقوى أو يضعف الموقف العربي، ولكنها في الوقت*

الحاضر تحقق انتصارات على الصعيد السياسي الدولي مع تزايد الضعف العربي، فهل تعتقد أن هذا التأييد يغني عن التأييد العربي والقوة الفلسطينية الذاتية؟!

في نظرنا، وفي نظري أنا شخصياً، أن الشعب الفلسطيني غير ملام إذا ابتلي بمأساة أخرى؛ فالمسؤولية تقع على قادة الأمة العربية وليس على الشعب الفلسطيني، ولذلك يجب على قادة العرب أن يكونوا على مستوى الأحداث حتى يستطيع الشعب الفلسطيني أن يتنفس الصعداء. يجب ان يؤازروه مؤازرة قوية، لأنه شعب لا يمكن أن يتنازل عن أي حق من حقوقه، إنما إذا ضعف الموقف العربي فكيف سيكون موقف الشعب الفلسطيني؟ إن قوة الشعب الفلسطيني من قوة الإطار العربي.

■ *إن البعض يرى أن هناك شيئاً مخفياً ينمو، إن شعوراً فلسطينياً إقليميا يتنامى في ظل الاعتقاد بأنه يمكن تحقيق انتصار فلسطيني في ظل هزيمة عربية.*

تأكد أن هذا الشعور خاطئ ولا يمكن أن يحقق شيئاً. إن هذا ما تترقب إسرائيل حدوثه. إن إسرائيل تترقب بالتحديد حصول مشادات عربية ـ فلسطينية داخلية، وهذا معناه انهيار قضيتنا تماماً ولو لمدة عشر سنوات أو ١٥ سنة أو عشرين سنة. في هذه الفترة ماذا ستفعل إسرائيل؟ إنها ستواصل تهجير العرب من الأرض المحتلة وتسرّحهم إلى البلاد العربية ليحل محلهم الملايين من يهود العالم. ومثلما نعرف، إسرائيل تملك الطاقات العلمية الكبيرة والإمكانات في جميع دول العالم.. إنها تنتظر، بل هي تعمل، لكي تتفجر الصراعات العربية الداخلية وبعنف، فيحدث الانهيار على جبهتنا وتدفع أمتنا العربية الثمن، لذا يجب أن نتبيّن أخطاءنا، وهذا ليس معيباً، يجب أن نقول هذه هي الأخطاء في سنة كذا كذا.. ويجب أن نتذكر أنه لا شيء يُحترم الآن في العالم إلا القوة.. ليس القوة العسكرية فقط، بل كذلك القوة المعنوية، القوة الفكرية، قوة التلاحم، ليس هناك ما يسمى ودّ وعطف بين الدول، بل هناك مصالح ولا بد من أن نصل ـ كعرب ـ إلى التلاحم: التلاحم المنطقي.. تلاحم المصالح المشتركة، فبذلك نصبح أقوياء.

وباغتنا الأمير فهد بأمر لم نكن نتوقعه منه قال: أنا مثلاً من الذين يتساءلون: لماذا يحاول كل بلد عربي، وعلى حدة: إنشاء مصانع كالمصانع الموجودة في بلد عربي آخر؟ لماذا لا نفتش كعرب على مصالحنا عند بعضنا البعض وننسّق جهودنا بدل أن تتضارب مصالحنا، على الأقل في مجال التصنيع؟ أنا ناديت بهذا دائماً وسأسعى إلى تحقيق هذا الهدف، لأن رؤوس الأموال إذا اختلطت تربط الناس بروابط أقوى، سواء أكانت رؤوس أموال من الدول أو من الشعوب. نعرف سلفاً أننا لن نستطيع منافسة أوروبا ولا أميركا ولكننا يمكن أن نصنع المواد الاستهلاكية الحقيقية التي تُدفع من أجلها الآن الملايين لأننا نستوردها من الخارج.. إن عندنا الرجال والمفكرين، ويمكننا أن نأتي بالخبراء لوقت محدد، ورجال الأمة العربية ليسوا مقصّرين. إنني من مؤيدي التكامل الاقتصادي العربي، وعندنا أفريقيا وآسيا يمكن أن تصدّرا لشعوبهما الفائض من إنتاجنا، ولكن يجب الإشارة هنا إلى أن اختلاط رؤوس الأموال بين الدول العربية يجب أن يبقى بعيداً عما يمكن أن ينشأ من توتّر في العلاقات بين أي بلدين جمعتهما مشاريع اقتصادية مشتركة. يجب أن يتوافر الاطمئنان لرأس المال، لأنه جبان كما هو معروف، وحتى لو حصل وتوترت العلاقات بيني وبين أية دولة فلا يجوز أن استخدم هذا التوتر للإساءة إلى رأس المال الذي هو عندي؛ فلتتوتر العلاقات ولكن يجب ألا تمسّ المصالح المشتركة مثلما حدث في مصر (إشارة إلى أموال مشروعات التصنيع العربي المشترك وغيرها). لهذا أشدد على ضرورة أن تكون رؤوس الأموال مشتركة وبعيدة عن المشاكل السياسية الطارئة.

■ *لماذا لا تبادر المملكة إلى الدعوة لقمة سياسية لبحث هذه الأمور؟*

هذا واجب، خصوصاً وأنه ليس هناك على ما أتصور بيننا وبين أي دولة عربية سوء تفاهم يمنع أو يعطّل القدرة على أن نتفاهم معها أو نناقش الأمور، وهذا يمكن أن يكون من حسن حظنا في السعودية.

عدنا نلحّ على موضوع المبادرة قلنا:

■ *أُخذ عليكم باستمرار نقص المبادرة، تسمعون جيداً، تجلسون*

وتنتظرون الآخرين أن يأتوا إليكم، تقولون نعم أو لا ، حتى قيل إن الستار الحديدي ليس في الاتحاد السوفياتي بل في السعودية، وإن السعودية متقوقعة، حاصرة همها في الداخل، فإذا تحركت قفزت من فوق العرب إلى العالم البعيد..

قال وليّ عهد السعودية:

أنا معك وأعزو هذا إلى محاولتنا الأكيدة لأن لا يكون هناك أي سوء تفاهم أو مشاكل بيننا وبين أي بلد عربي آخر، ولكن قد يكون حان الوقت الآن، ويجب ألا نتردد في طرق الأبواب العربية وأبواب إخواننا الآخرين لمناقشتهم لعلّنا نجد آراء أصوب. ومن الضروري ألا نتوقف عندما تتوافر القناعة عندنا بأن هناك عملاً ما يفيد سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً، وبالفعل، فإن النقص في المبادرة هو بين الأمور التي أُخذت كمآخذ علينا.

ومن أجل أن نستوثق من مضمون الجواب عندنا نسأل الأمير فهد:

■ *إذاً، أنت ترى أنه قد آن الأوان لأن تمارس السعودية هذا الدور القيادي للأمة العربية بشكل مباشر متحملة كل مسؤولياته وتبعاته؟*

ورفرفت الدبلوماسية فوق كلمات الأمير، قال:

إننا لا يمكن أن نتخلى عن أي دور يعهد به إلينا إذا كان هذا الدور مقبولاً من الأمة العربية، وأنا لا أريد أن يفسر موقفنا بأي حال بأن السعودية تريد أن تبرز على حساب الآخرين.. أما إذا لمسنا أن موقفنا حينئذ لن تكون عليه ملاحظات وعلامات استفهام أو تخلق لنا أجواء عكسية لا نستفيد منها، فيجب ألا نتردد، وعلينا اختيار الطريقة التي يمكن أن تكون قيادية بالنسبة إلى السعودية، فلنضعها في إطار واضح وصريح بحيث لا تكون موجهة ضد أحد، بل لمصلحة الأمة العربية.. ولمصلحة قاعدتنا كأمة عربية لن يعارضني أحد فيها إلا من لا يريد مصلحة الأمة العربية، وهذا واجب من الواجبات التي يجب أن تبرز فيه المملكة العربية السعودية.

حادث المسجد الحرام

بعد هذه الجولة في الخارج وحوله، بدأنا بطرح مجموعة أسئلة حول الوضع الداخلي، سألناه:

■ *بالنسبة إلى الوضع الداخلي، فإن حادث المسجد الحرام أثار ضجة في العالم وبعض أجهزة الإعلام الأجنبية تحدّث عن قرب غروب عصر الأمراء. وبغضّ النظر عن هذا الاستنتاج، فإن الحادث بحدّ ذاته قد هز صورة معينة للمملكة التي لم يعرف عنها العالم أن لديها مشاكل داخلية أو أمنية، بل كانت توصف بأنها تتمتع باستقرار داخلي ملحوظ؛ فهل طرح هذا الحادث جدياً مسألة الاستقرار الداخلي؟*

مرة أخرى لم يفاجأ الأمير فهد، ومرة أخرى انطلق يقول كمن يقرأ في كتاب مفتوح:

كويس [جيد]، هذا الحدث نحن نعيشه منذ ٦ أو ٧ سنوات ونعرفه بالضبط. هناك مجموعة تحاول جعل العقيدة الإسلامية أو التحدث باسم العقيدة الإسلامية الأساس في التوجه الذي تسير عليه، يأتي أفرادها إلى المساجد وإلى الناس البسطاء ويحاولون إفهامهم بطريقة أو بأخرى أن العقيدة الإسلامية بدأت تضعف في المملكة العربية السعودية وأنه لا بد للقاعدة الإسلامية أن تتنبه إلخ.. وبطبيعة الحال، فإن السذّج كثيرون، والإحساس والشعور الديني أعمق عندنا من أي بلد آخر.. أجل، ومع مزيد الأسف، كنا نعرف بأمر هذه الجماعة منذ ٦ سنوات، وكنا نعرف جهازهم ومستواهم، وأستطيع أن أؤكد لكم أن ليس هناك مستوى، لا مستوى ثقافي عالٍ ولا مستوى قيادي، سواء لدى من هم من البادية أو من الحضر، وفيهم من هؤلاء وأولئك، ولكنهم بمجملهم جماعة محدودة الذهن والتفكير استولت عليها المشاعر الدينية. وأتى من باكستان ومن بعض البلدان من يدفع الأمور بطريقة ساذجة جداً، فكان ما كان. وللأمانة، أذكر أننا قد اتخذنا في بعض الأحيان إجراءات ضدهم في السابق لكن رجال الدين وهم كثيرون عندنا كانوا يتدخلون للإفراج عنهم وكنا نتركهم، وتدريجياً صار عملهم روتينياً، ولكن الذي طور الأمور هو استعمالهم للسلاح. وحول السلاح لا بد من الإشارة إلى أن كل بيت في السعودية.. في البادية أو في الحاضرة يمتلك السلاح، هذه طبيعتنا من الأصل. أما الجديد في الأمر، فهو كونهم قد دخلوا بأسلحة وخبأوها في عباءاتهم أو دفعوا مبلغاً من المال لأحد البوابين في المسجد الحرام (٤٠ ألف ريال)، فساعدهم على إدخال الذخيرة والأسلحة. هذا هو الشيء المفاجئ الذي حدث.

في أي حال، لقد حدث ما حدث، وبالتحديد وقع حادث ليس له في نظرنا حتى الآن أية أعماق أو أبعاد، صدقني. فحتى الآن لم يتضح لنا أي بُعد خارجي للحادث، ربما يظهر في المستقبل، ولكن لم يتضح حتى هذه اللحظة أن لما حدث أعماق في الداخل، لا في المجتمع ولا في الجيش، ولا أعماق في الخارج. أقول لغاية الآن، ويمكن أن نكتشف أي جديد غداً أو بعد غد أو في المستقبل، ولن أخفي عليكم استغرابنا الشديد وحيرتنا أمام واقعة استعمالهم السلاح؛ نفهم أن يكونوا قد اقتنعوا بأحلام يراها الإنسان في الليل وصدّقوا أن «المهدي المنتظر» قد ظهر، وأن يأتوا بشخص كان في السجن قبل سنة ويعلنوا عند أستار الكعبة أنه المهدي المنتظر، ويطلبوا إلى الناس مبايعته. هذا كله يمكن أن يكون مفهوماً، أما استخدام السلاح فلا. لو جاؤوا والتفّوا حول الكعبة بالمصاحف وقالوا: لنا مطالب كذا وكيت سواء أكانت دينية أو اجتماعية أو سياسية، وحتى لو كانت ضد العائلة يمكن أن نقول إنها مطالب معيّنة لصرف النظر عن كونها محقة أم لا. لكنهم جاؤوا يقولون إن المهدي المنتظر معهم ويطالبون بمبايعته تحت قوة السلاح. ولقد انتهت قضية مبايعة المهدي بمقتل مدّعي الصفة من ضمن من قتلوا، عندئذ انتهت القضية تماماً وأدركوا أنه ليس هناك أي مهدي وأن الأمر «كلام فاضي». طبعاً لديهم كتب ونشرات.. وقد ثبت لنا أن الكتب كانت تطبع في الكويت بعدما صادرنا أعداداً كبيرة منها. إذاً، فهي لم تصدر ولم تطبع في المملكة، وهذا الذي اسمه «جهيمان» هو مثل أي واحد آخر منهم: رجل ساذج عادي إلى درجة متناهية لا يستطيع، ولا يحسن التعبير لا من الناحية اللغوية ولا من ناحية التفكير حتى يستطيع أن يكتب كتباً ويسجلها، ويجيب أحاديث نبوية لدعم حجته، وأنه لا يفهم شيئاً منك إذا ما تحدثت معه؛ وبالتأكيد فقد استُغِلّ من قبل ناس آخرين ربما حتى الآن لم يُعرفوا وقد يكونون في الكويت أو في أي مكان آخر. لا نعرف. ولكن هناك ٤ من الكويتيين من ضمن المقبوض عليهم، وهناك شخص جاء من الكويت في اللحظة نفسها حين دخل المسلحون الحرم ومعه كتاب مرسل من الكويت يهنّئ بظهور «المهدي» ويبدي مرسلوه أسفهم لعدم تمكّنهم من المجيء للتهنئة والمبايعة.

من جديد أؤكد لكم أنه ليست هناك أية أعماق داخلية للحدث تلفت

النظر، ولكننا لا نزال نضع علامات استفهام؛ فقد يبرز شيء في المستقبل يغيّر اعتقادنا هذا.

عن «المهدي المنتظر»

واستطرد الأمير فهد يُغرقنا بمزيد من التفاصيل المتصلة بالحادث والتي من شأنها أن تضعف أو تلغي الاحتمالات السياسية التي قد تكون كامنة خلفه.. قال:

تعرفون ولا شك أنه توجد روايات حول «المهدي»، وفي اعتقادنا أن الروايات الأكيدة هي تلك التي تقطع بأنه لا يوجد «مهدي» غير سيدنا عيسى (المسيح). وهنا الروايات الأكيدة تعتمد على «صحيح مسلم» و«صحيح البخاري»؛ أما في الروايات الأخرى الشائعة والمتداولة بغير سند سوى الخيال: فثمة رواية تقول إن «المهدي» سوف يظهر في جهات الشام، وإن نهر الفرات سيُخسَف ليكشف عن جبل من ذهب، وإن جيشاً من الشام يأتي ليغزو المهدي فتُخسَف الأرض بالجيش في الشام، وإن المهدي يأخذ العود اليابس ويغرسه في الأرض فتنبت شجراً.. الخ. طبعاً هذا كله من نسيج الخيال، لكن ثمة من تأثر بهذه الرواية وصدّق، فجاء لمبايعة المهدي. وعندما قتل مدّعي الصفة انتهى كل شيء. كان قادة العملية قد أبلغوا جمهورهم عند المغرب: اليوم ستخسف الأرض بالجيش القادم إلينا. ولم تخسف الأرض بالطبع، فقالوا لهم أُرجئ الخسف إلى صباح الغد، فلما لم تُخسف قالوا لهم أُرجئ الأمر أربعة أيام أخرى وهلمّجرّا.

في أي حال، فإن الحادث يؤسَف له لمجرد وقوعه بكل تأكيد، على أن الأبشع أن هذا الحادث قد استُغِل أسوأ استغلال في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، فقد صوّروه بطريقة خيالية خرجت به عن نطاق المنطق والمعقول، ولأسباب سياسية بطبيعة الحال. لماذا؟ لأنهم يكرهون أن يكون في هذا البلد، في هذه المملكة، أمن واستقرار وتطور، ويكرهون أن يروا المملكة تسير بخطى ثابتة إلى الأمام، وأن تتواصل مساعداتها إلى الدول العربية وبالذات إلى الشعب الفلسطيني. إنهم يريدون لنا أن ننكبّ.. أن نعود القهقرى، وهذا هدف ثابت ومعروف للصهيونية العالمية ومن يسير على خطاها.

قبل أن نطرح سؤالاً جديداً عاد الأمير فهد يؤكد على ما قاله مكرراً العديد من المعاني مرة أخرى قال:

أؤكد لكم من جديد أن ليس للحادث أبعاد سياسية أو أعماق داخلية، وأبسط دليل على صحة كلامي أن الشعب في المملكة بمدنيّيه وعسكريّيه، قد جاءنا مستنكراً ومستفظعاً. لقد كان رد الفعل الشعبي بمثابة استفتاء. لقد تحرك الجميع بمن فيهم رجال الدين الذين لا سلطة لنا عليهم فأصدروا الفتاوى، بل إن بعض من كان مع الخوارج وبعض من ساعدهم في البداية بحسن نية، ولاعتقادهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، انفضوا عنهم حين رأوهم يقاتلون في البيت الحرام الذي حرّم الله القتال فيه، ويقاتلون أمام الكعبة، ويستعملون السلاح ويقتلون الناس. لا بد أنكم قد قرأتم عن القرامطة وما فعلوه، لقد تكررت القصة مرة أخرى. لقد حدث الشيء نفسه تقريباً كما في أيام القرامطة الذين انتزعوا الحجر الأسود من الكعبة وأخذوه إلى الأحساء حيث بقي هناك ٢٢ سنة تقريباً.. ولقد ارتكب قائد القرامطة المسمى «سعيد» مجزرة في الحرم نفسه فقتل الناس وادّعى وجود «المهدي».. إلخ.

أعود إلى ما قلتموه عن الاستقرار في السعودية. ما لا شك فيه أن المملكة تعتزّ باستقرارها وبقوة الحكم فيها والقدرة غير المتناهية على التنفيذ، ولكن مثل الذي حدث عندنا يمكن أن يحدث في أي مكان. وبالأمس حصلت المجزرة الشهيرة في كاليفورنيا بأميركا(*) ومات فيها

(*) لعل المقصود هنا مذبحة «جونز تاون» في جمهورية غويانا في منطقة الكاريبي. أسس القس الأمريكي ذو الميول الشيوعية جيم جونز عام ١٩٥٥، طائفة دينية Cult، في مدينة إنديانابوليس عاصمة ولاية إنديانا الأمريكية، ذات معتقدات عجيبة وشاذة وتؤمن بقرب نهاية العالم وحلول القيامة تحت مسمى «مشروع معبد الشعوب الزراعية»، وهو مشروع تعاوني على النمط الاشتراكي. ثم انتقلت الطائفة إلى ولاية كاليفورنيا عام ١٩٦٥، وبدأت تعتنق مبادئ يسارية طوباوية؛ ومن ثم انتقلت الطائفة في عام ١٩٧٧، إلى مدينة جونز تاون في جمهورية غويانا هرباً من جحيم الرأسمالية المتوحشة ـ كما زعم جونز ـ ولكن في الحقيقة هرباً من الإعلام الأمريكي الذي بدأ ينتقد أفكار زعيمها الشاذة، وهناك استطاع جونز غسل أدمغة أتباعه بقرب نهاية الزمان وحلول القيامة بسبب حرب وشيكة بالأسلحة النووية، وأمرهم بتنفيذ ما سمي بـ «الانتحار الثوري». وفي ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر١٩٧٨، صُعِق العالم بعد تأكد انتحار ٩١٨ شخصاً بصورة جماعية بسم السيانيد، منهم ٣٠٣ أطفال أجبروا على تناول السيانيد، ومن ضمنهم أطفال جيم جونز نفسه. وتعتبر أكبر حادثة انتحار جماعي في التاريخ الحديث، وتعتبر كذلك أضخم خسارة لأرواح مواطنين أمريكيين في كارثة غير طبيعية قبل أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ الإرهابية. (المترجم).

حوالى ٩٠٠ شخص، بعضهم قتلوا أنفسهم والبعض الآخر قتلهم قائدهم الذي كان يدعو إلى عقيدة معيّنة.

ما أريد قوله، إن هذا قد يحدث في أي مكان وزمان. خذ أميركا مثلاً أو أوروبا، كم من الحوادث حصلت وتحصل في هذه البلاد التي بلغت القمة في التقدم؟ صدقني إذا قلت لك إنني أشعر بمزيد من الأمان في لبنان أو في أي بلد عربي أو أفريقي مما لو ذهبت إلى أوروبا أو أميركا.

في أوروبا أصبح من يلبس بذلة جديدة أو يركب سيارة كبيرة وجديدة في خطر وصار «الموتوسيكل» أفضل وسائل النقل!

نتائج التشدد المزمن

سألنا الأمير فهد:

■ *ألا تعتقدون أن التشدد في تطبيق أحكام الدين، أو ما يفترض أنه كذلك، ومعروف أن هذا التشدد يأخذ هنا في السعودية طابعاً حاداً وصارماً، كان في صلب الأسباب التي أدت إلى حادثة الحرم؛ لقد رأى البعض شبهاً ما بين الحادث وبين «الدُّمَّل» الذي يظهر في جسم الإنسان نتيجة المرض.*

قال الأمير فهد:

ثمة من يطالبنا الآن بمزيد من التشدد ويتهمنا بالتقصير لأننا نسمح باستعمال التلفزيون، وهو في رأيهم حرام، ونسمح بالتصوير وهو في رأيهم حرام أيضاً، ويطالبون بأشياء كثيرة أخرى لا يقبلها عقل أو تفكير ولاسيما في هذا العصر.

عدنا نوضّح السؤال، قلنا:

■ *ما نقصده غير هذا، نقصد أنكم تحصدون نتائج التشدد المزمن وأنه لا بد من التحرك للخروج من التشدد..*

قال الأمير فهد:

أنا معكم في هذا والدين أيضاً. فمن يتعمّق في العقيدة الإسلامية ويتمعّن في سيرة الرسول(ﷺ) وأصحابه، يجد أن الأمور مبسطة إلى درجة

متناهية وأنه قد وضع قيوداً قاسية على العقاب أو اتهام الناس في شرفهم أو في دينهم.

وثمة حكاية تروى عن امرأة اتُّهمت في أيام عمر بن الخطاب بالفسق والفساد، فقصد عمر وبعض من معه إلى منزلها وطرقوا الباب فلم تفتح لهم، فتسلّقوا السور الخلفي ونظروا فإذا عند المرأة ما يؤكد التهمة الموجهة إليها، لكنهم وجموا جميعاً حين بادرتهم المرأة بالقول: يا عمر، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿وَأْتُوا البيوت من أبوابها﴾، وأنتم أتيتم من الخلف، فقال عمر: صدقت المرأة وأخطأ عمر!

خذ مثلاً موضوع الزنى، لا يمكن أن يُتَّهم رجل أو تتهم امرأة بالزنى وفقاً للشرع إلا بشهادة أربعة شهود يؤكدون أنهم رأوا قضيب الرجل داخل فرج المرأة، فإذا أظهر الشك واحد منهم أو بيّن أنه لم يرَ الوقائع بأم عينه تحوّل المدعي إلى متّهم بالافتراء والتجني.

على هذا، يمكن القول إن التشدد في بعض الأمور عكس الفائدة المرجوّة منه، لكن بعض من يتبنّون العقيدة الإسلامية يمارسون تشدداً صارماً لاقتناعهم بأن هذا هو الأفضل، وأحياناً يكون المردود أو الانعكاس أو رد الفعل سيئاً جداً، ونحن اليوم في عصر يختلف كثيراً عما كان عليه الناس قبل خمسين سنة، وهناك قواعد أو أعراف في هذا المجال لا زلنا نرعاها على أنها وُضعت أو استنّها بعض رجال الدين قبل مئتين أو ثلاثمائة سنة، ولعلها كانت آنذاك مفيدة وصالحة لكنها الآن غير ذلك، ولا بد من إعادة النظر فيها في ضوء مبادئ الإسلام وأحكامه. هذا معناه أن علينا تسليح الناس بالعقيدة الصحيحة، ومن الخطأ تصوير العقيدة بأنها غير مرنة.. إنها على العكس من ذلك تماماً، تحضّ على المرونة واللطف والإخلاص والأمانة والمروءة والإقدام، ولا تأمر بالتعقيد، ومن واجبنا أن نتحرك لتوكيد هذه المعاني.

واستدرك الأمير فهد، فقال بلهجة من يفكر بصوت عال:

إن واجبنا كمسلمين وواجبنا نحن بالذات في المملكة العربية السعودية أن نخطو خطوات عملية في هذا الاتجاه، وبين ما أفكر فيه حالياً أن نبادر إلى دعوة أكبر عدد ممكن من قادة رجال العالم الإسلامي سواء من

رجال الدين أم من رجال الفكر الإسلامي لأقول لهم: إننا في عصر نحتاج فيه أن نكون على غير ما نحن عليه. وما نص عليه كتاب الله صريح وواضح، أما ما فيه اجتهاد فلننظر أي الاجتهادات أفضل فنأخذ به جميعاً وننهِ وجود الاختلاف..

لنعرض المذاهب جميعاً فنأخذ من كل منها الاجتهاد الأقرب إلى المنطق وإلى العصر الذي نعيش فيه ما دام منطلقها جميعاً كتاب الله وسيرة رسوله الكريم (ﷺ).

دعوة لإسلام بلا مذاهب

■ *أهي دعوة نحو إسلام واحد، إسلام بلا مذاهب؟!*

أجل، أجل؛ واعتماد الأقرب إلى روح الإسلام والأسهل من الاجتهادات، لماذا يتوزع المسلمون على مذاهب؟! فلتذهب الاختلافات في إطار واحد، ولنتذكر أن الدين والعبادات لله ليأت الجميع من الشيعة والسنة ليجتمعوا وليناقشوا بعضهم بعضاً وليتفقوا على اعتماد الأقرب إلى الدين وإلى روح العصر الذي نعيشه مما يمكن ان يكون ملائماً لشبابنا وشاباتنا، فننشره ونعتمده جميعاً..

إن هذا الأمر يشغل حيّزاً كبيراً من تفكيري وأرى من الضرورة بمكان أن يجتمع المسلمون جميعاً ضمن إطار دينهم وعلى منهج واحد محدد نسير عليه كلنا.

ولا أخفيكم أنني متردد في طرح أفكاري هنا لأني أريد أن أناقشها أولاً مع علماء السنة والشيعة والآخرين ممن ينتمون إلى الإسلام، سواء أكانوا رجال دين أم رجال فكر، لأطلب منهم المساعدة حتى نصل بطريقة هادئة وبنّاءة إلى قواعد ثابتة لا يمكن لأحد أن يعترض عليها إذا ما اعتمدت.

■ *قلنا للأمير فهد: فقط لبعض الوقت تتردد دعوات مثل هذه، ولعل أبرز القائلين بها الآن الثوار في إيران، والقيادة في الجماهيرية العربية الليبية . .*

قال: هذا جيد.

■ *بالطبع، ومن المعيب في أي حال أن نظل على ما نحن عليه، أليس طريفاً أن يكون للمسلمين قمران قمر للسنة وقمر آخر للشيعة، قمر يظهر اليوم والثاني لا يظهر إلا في الغد؟!*

فلنوحِّد الاجتهادات.. فلنوحِّدْها

■ *هذا، وللمناسبة نشير إلى أن مثل هذه الدعوة قد ترددت في اللقاء الإسلامي الكبير الذي انعقد قبل أيام في بيروت خلال افتتاح الاحتفالات ببدء القرن الخامس عشر الهجري.*

إن توحيد المذاهب ضرورة قصوى لنا جميعاً، وأنا أتبنى مثل هذه الدعوة لأنني مقتنع بها وبضرورتها. وإذا ما التفّت الجهود وتكاتفت وقام الإعلام بدور خير في توعية الشعب، فلسوف يتوافر المناخ الطيب لمناقشة الأمر بروح طيبة وبانفتاح حقيقي. وحتى إذا برز من يعارض، فلن يكون هؤلاء أكثرية، وهم سينضمون إلى الموكب في النهاية حرصاً على وحدة الإسلام والمسلمين ومواجهة العالم، شرقه وغربه صفاً واحداً موحداً.

مجلس شورى. . . قريباً

اندفعنا خطوة أخرى على طريق استكشاف آفاق التطور المتاحة أمام الوضع الداخلي، سألنا الأمير:

■ *منذ الستينات ترتفع أصوات في المملكة وبينها أصوات من داخل العائلة المالكة تتحدث أو تطالب بتغييرات وبإجراءات تفتح الباب أمام أي خط من الديمقراطية، وفي البيان الذي تلوته عن الملك خالد عند تنصيبه خلفاً للمغفور له الملك فيصل أشرت إلى «مجلس الشورى».*

قاطَعَنا ولي عهد السعودية ليقول بسرعة:

لقد سألت عن موضوع نحن الآن فعلاً بصدده، بل إننا نعمل في الإعداد له منذ شهر ونصف ونكاد ننجز وضعه في صيغته التنظيمية النهائية. أما لماذا تأخرنا؟ فالحقيقة أننا كنا نفتقر قبل سنوات إلى الإمكانات والطاقات والمستويات العلمية التي يمكن الاعتماد عليها. اليوم صار لدينا في المملكة مستويات علمية ممتازة ورجال ومفكرون وتفكيرهم سليم جداً...

على هذا، فسوف يكون لنا قريباً «مجلس شورى» يتألف من عدد لم نحدده بالضبط بعد: ربما ٥٠ أو ٦٠ أو ٧٠.. لا أعرف تماماً الآن.

■ *وهل سيكون هذا المجلس بالانتخاب؟*

لا، بل سيتم بالتعيين. في البداية علينا أن نمشي بالتدريج، لقد جربنا الانتخابات، مثلاً في المجالس البلدية أجرينا انتخابات حرة تماماً، فهل تعرف من فاز فيها؟! فاز أولئك الذين لا يفقهون شيئاً.. لقد فاز من يملك الفلوس!

■ *إذاً، سيقوم مجلس الشورى بالتعيين، بقي أن نعرف متى؟*

في فترة لا أظنها تتجاوز الشهرين.. وهي مدة نحتاجها من أجل إنجاز النظام الأساسي.

■ *يعني الدستور؟!*

يمكن أن تقولوا هذا. أما نحن فلا نستخدم تعبير الدستور في هذا المجال، لأن الدستور هو القرآن، المهم أن النظام الأساسي قيد الإنجاز الآن، وسيكون في طليعة الأمور التي سينظر فيها مجلس الشورى بالنتيجة لإقراره واعتماده.

■ *تتسلمون المشروع المُعَدّ حالياً؟*

حوالي ٢٠٠ مادة... وغداً متى أنجزنا هذين الأمرين يزداد اطمئناننا نحن كمسؤولين في الدولة، إلا أن الأمور لا يعهد بها إلى خمسة أو ستة أشخاص، بل ستشمل المسؤولية أعداداً كثيرة من المواطنين.

وانطلق الأمير فهد يحدثنا عن جانب آخر من جوانب الوضع الداخلي، ومن اهتماماته المباشرة ومواضع اعتزازه، قال:

إن بلدنا كما تعرفون قارّة طويلة عريضة، وقد تحقق فيها من المشاريع ما لا يوصف، ولكن اتّساع رقعتها لا يمكّن من أخذ فكرة متكاملة عن حجم الإنجاز.. ليتكم رأيتم الأنفاق الجديدة في مكة.

■ *لقد رأينا مداخل بعضها*

إنها أنفاق عظيمة، طول الواحد منها حوالي ١٢٠٠ متر، بعرض ٢٢ متر تقريباً، وتجتازها السيارات من اتجاهين (ذهاباً وإياباً) إلى منى. سأبعث

إليكم غداً إن شاء الله كتاباً يتضمن ما أنجز من الخطة الخمسية لكي تروا بأنفسكم وبالأرقام كيف كان الوضع قبل خمس سنوات وما نفذناه خلال هذه الفترة، وبالذات في الداخل.

إننا نعاني من قصور إعلامي في هذا المجال، قصور حقيقي وشنيع والاعتراف بالخطأ فضيلة. ولولا هذا القصور لعرف القاصي والداني ما أنجزناه فعلاً، وليس على الورق ومن أجل الدعاية. إن الإنجازات التي تمت حقيقة قائمة يراها ويلمس آثارها المواطن في الدرجة الأولى، ولسنا كغيرنا ممن يهمهم أن يَسمع عنهم من هو خارج البلد. أما المواطن فليس مهماً أن يسمع أو يعرف.

إننا نريد أن تعرفونا على حقيقتنا.. نريد أن تعرفوا ماذا نعمل في المملكة العربية السعودية. إن الكثير يصوّروننا على أننا دولة أمراء وبس، والحقيقة أن أي أمير لا يستطيع أن يأمر بصرف قرش واحد من خزينة الدولة أو من أي مجال آخر، لكن هذه الشائعات رسخت في الأذهان عنا. إن عائلتنا كبيرة كما تعرفون، وهي تتكون من حوالي أربعة آلاف شخص، بل لعلهم أكثر... أي إنها قبيلة بحالها، ولا يمكن أن يكون أبناء العائلة جميعاً من مستوى واحد، ولا أن يكون الجميع في مستوى الأحداث، ولا يمكن أصلاً أن يطلب منهم أن يكونوا كذلك.. أهذا صحيح أم لا؟

■ *صحيح من حيث المبدأ.*

وبالطبع، فإن من حق المحسن من بين هؤلاء أن ينال حق المواطن المحسن، وأن ينال من يتصرف بشكل سيّئ حقه من التأديب مثله مثل أي مواطن آخر..

الأسرة والمملكة والإنجازات

■ *لكن من الضروري الاعتراف أنه ولفترة طويلة، نشأ إدغام كامل بين الأسرة والمملكة، أي الدولة؟*

هذا صحيح.

■ *أي إن الأمراء، أو بعضهم، كان يتصرف وكأن المملكة ملكه الشخصي؟*

لعل هذا كان قائماً في السابق، ولعل الصورة بقيت ثابتة في أذهان الناس عنا. وافترضوا أن الأمير يستطيع أن يفعل ما يريد بغير أن يتعرض لأي حساب. لكن الحقيقة أن الأمير لا يستطيع أن يفعل ما يريده. والله يصنع مثل ما يريد. وأقول لكم أكثر، إن أكثرنا، كعائلة، لا يتمتع بواحد في المائة مما يتمتع به الكثير الكثير من المواطنين لا من ناحية السكن، ولا من ناحية المعيشة.

أكملَ الأمير فهد وهو يشير إلينا بكلتي يديه:

انظروا إلى بيتي هذا.. هل يوجد أي شيء غير عادي؟! إن بعض طبقات المواطنين تعيش في بحبوحة من العيش أكثر بما لا يقاس من الأمراء، لكن من الصعب تغيير الصورة إلا إذا برزت الحقائق التي تدل على ما استفاده المواطن السعودي وتُبيِّن مستوى معيشته الآن وتعطي فكرة عن الخدمات الاجتماعية والصحية والاقتصادية التي توافرت له، إلى جانب الحدائق والكباري والأنفاق والمساكن والمساعدات التي يستفيد منها المواطن. سأبعث إليكم غداً إن شاء الله بكتاب عن الخطة الخمسية التي ننجزها الآن، وهي (ستنتهي خلال شهرين أو ثلاثة). لقد تم التنفيذ في مدى أربع سنوات وشهرين بدلاً من خمس سنوات، ونحن الآن بصدد خطة خمسية جديدة. تصوروا! في المملكة العربية السعودية الآن ست جامعات!! لقد كنت أنا وزير المعارف في أول وزارة تشكلت في المملكة سنة ١٩٥٤، يومئذ كان مجموع الطلبة لا يزيد على ٢٥ ألف تلميذ، وكان عندنا مدرستان ثانويتان، فمن تخرج منهما أوفدناه إلى الخارج لإكمال دراسته الجامعية، أما اليوم، فإن مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا توفر العلم لـ ٨٧٠ ألف طالب، بينما توفر مدارس البنات التعليم لـ ٥٧٠ ألف فتاة، أي إن مجموع طلبتنا يناهز مليون ونصف المليون طالب وكان المجموع ٣٥ ألفاً قبل ٢٥ سنة. عشرات العشرات من المدارس الثانوية.. مئات المئات من المدارس الابتدائية والمعاهد المهنية، وست جامعات مستواها رفيع جداً. هذه بعض الإنجازات. وعلى سبيل المثال أذكر أن ١٥٠ طبيباً تخرجوا من جامعاتنا في العام الماضي، أما هذه السنة فقد ارتفع العدد إلى ٢٥٠ طبيباً. يمكن لطلبة الدكتوراه أن يدرسوا في جامعاتنا، ولدينا جامعات علمية. ست جامعات في بلد مثل بلدنا وخلال سنوات معدودة، هذا ليس بالأمر الهين.

وزادنا الأمير فهد تفاصيل عما يسميه النهضة العلمية والتعليمية الشاملة، قال:

أنا الآن رئيس لجنة التعليم العليا، وبين اهتماماتنا أن نصرف بين ٦٠ إلى ٦٥ في المئة من خريجي المدارس الابتدائية إلى المعاهد المهنية. لأن خرّيجي هذه المعاهد حتى لو لم يعملوا في حقول تخصصهم المهني يمكنهم أن ينصرفوا إلى أعمال أخرى، أما خرّيجو الأقسام الأدبية فسيواجهون أزمة عمل باستمرار.

وفي جامعاتنا معاهد لا تقبل أبداً إلا مستويات علمية عالية. عندنا مثلاً الطيران المدني السعودي، لعل مؤسستنا من أكبر شركات الطيران في آسيا وأفريقيا، فعدد طائراتها يزيد على ٧٥ طائرة من أحدث الطائرات في العالم، وعندنا الآن حوالي ٣٥٠ طياراً مدنياً سعودياً، وأحسن معهد للطيران موجود في المملكة. أحب أن أخبركم بشيء قد لا تصدقونه: إننا ندرب هنا طيارين أمريكيين. في بعض الحالات نحتاج إلى طيارين فنستقدمهم ممن يحملون الشهادة الأولى في الطيران، ثم يقوم على تدريبهم طيارون سعوديون في معاهدنا حتى يتسنى لهم بعد ذلك أن يتعاقدوا مع الطيران السعودي. والكلية الحربية للطيران تخرّج هذه السنة عدداً لا باس به، ومجموع الطيارين يصل إلى حوالي ٦٥٠ طياراً بينهم طيارون مؤهلون لقيادة طائرة الـ إف ـ ١٥ الأمريكية، وقد رأيتم بعض الطيارين في العرض الجوي.

عاد الأمير فهد يكرر المقارنة ويطرب لرنين الأرقام الكبيرة، قال:

مدرستان ثانويتان فقط سنة ٥٤ والآن لدينا ست جامعات ومن ٣٥ ألف تلميذ إلى مئات الألوف من الطلبة. وخلال السنوات العشر المقبلة سوف نحقق اكتفاءً ذاتياً بالنسبة إلى المدرسين الجامعيين؛ لقد حققنا حتى الآن اكتفاءً ذاتياً في مدرّسي المرحلة الابتدائية ومرحلة الكفاءة (المتوسطة)، أما المرحلة الثانوية فمن المحتمل أن نحقق الاكتفاء الذاتي فيها خلال السنوات الخمس المقبلة.. وعلينا أن نشير إلى أن إخواننا المصريين قد لقّنونا درساً حين انسحبوا فجأة خلال تفجّر مشكلتنا مع عبد الناصر في اليمن. وهكذا طُلب من الموظفين أن يثابروا على التدريس في فترة بعد الظهر إضافة إلى مزاولتهم لمهام وظائفهم. وبالنسبة للمدرسين في

الجامعات الآن، فإن ٩٠ في المئة منهم سعوديون وعشرة في المئة فقط من غير السعوديين وهم يحصلون على أرقى الشهادات ومن أفضل الجامعات في أميركا وإنكلترا وألمانيا وغيرها، وعندنا الآن حوالي ١٣ ألف طالب في الولايات المتحدة الأمريكية وجميعهم يتخصصون في فروع الإلكترون ونواحي التكنولوجيا والفروع المهنية عموماً. وباختصار، إننا نحاول أن نسابق الزمن لتعويض ما فاتنا، مع الإشارة دائماً إلى حقيقة أن بلادنا قارة؛ فلو ركبت طائرة بوينغ ٧٠٧ بين جيزان في الجنوب والجوف في الشمال، لاستغرقت رحلتك ساعتين ونصف الساعة من الطيران المتواصل، بينما المسافة بين لندن وباريس ٥٠ دقيقة بالطائرة؛ فإن الرحلة بين مدننا على البحر الأحمر ومدننا على الخليج تستغرق حوالي الساعتين. إن هذا الاتساع الهائل يسبّب لنا مشاكل كثيرة؛ فإنشاء قرية أو مدينة وشق الطرق لربط أنحاء البلاد ببعضها، وتوفير الخدمات الضرورية، كل ذلك ليس بالأمر الهيّن. ومع ذلك، فأعمالنا ظاهرة وناطقة في البلاد. خذ مثلاً المواد الغذائية ـ إن الدولة تدفع نصف التكاليف، وهناك البنك الصناعي للقروض الصناعية (من دون فوائد) والبنك الزراعي للقروض الزراعية (من دون فوائد). وحتى الأبقار نأتي بها من مصادر تربيتها وتدفع الدولة تكاليف النقل، وهناك بنك التنمية وغيره كثير. سأبعث لك غداً بمجلد شامل عن كل شيء وسترى بنفسك كم من الإنجازات تحققت، ولكننا قصّرنا في تعريف العالم بها، والناس لا يرجمون بالغيب..

حديث الستار الحديدي

■ *هذا يعود بنا إلى حديث الستار الحديدي. . .*

ابتسم الأمير فهد وهو يقول:

لم نعد نريد الستار الحديدي، بل نحن نريد الآن ستاراً شفافاً...

■ *وباغتناه بسؤال جديد عن السادات: متى سيسقط السادات؟*

ضحك وهو يردّ الكرة إلينا: هذه أنتم أعلم بها مني..

■ *أكملنا الهجوم بشيء من المكابرة: في التقدير أنكم، والآخرين معكم، كنتم قادرين على إسقاطه، لكنكم لم تفعلوا ما يكفي، ومن التقدير*

أنكم ما زلتم قادرين على إسقاطه لو أردتم الآن. . ويجب أن نسأل، مع احترامنا الكامل للشعب المصري، ما إذا كان هذا التقدير صحيحاً أم لا؟

فقال الأمير فهد:

لا والله لا أعتقد أن التقدير صحيح، ولا أتصور بأننا وحدنا نستطيع أن نفعل أكثر مما فعلنا، ولكن كمجموعة، فإن التقدير صحيح. توقف للحظة ثم استدرك وقد رفع حاجبيه استهجاناً:

ألم تلاحظوا كيف انفجر السادات بالغضب حين زار الملك خالد الجماهيرية العربية الليبية!؟ لقد كان موقفه غريباً عجيبا كأننا قمنا باحتلال الإسكندرية أو القاهرة...

وحاولنا مسّ ما لا يمسّ. . انتقلنا بالأسئلة إلى قضايا النفط. سألنا الأمير فهد:

■ *لنتحدث قليلاً عن النفط، يتردد بين الحين والآخر كلام عن إمكان استخدام النفط كسلاح سياسي، ويلاحظ دائماً أن السعودية تحاول تبرئة نفسها من هذه التهمة، والأخ أحمد زكي اليماني شاطر جداً في تبرئة النفس باستمرار، وهو لا يفتأ يؤكد أنكم لن تستخدموا سلاح النفط في المجالات السياسية، مع أن الرئيس الأمريكي كارتر بادر إلى استخدام النفط كسلاح سياسي ضد شعب إيران. لماذا يكون هذا حلالاً لهم وفي قضية غير عادلة وممنوعاً علينا؟ نحن أصحاب قضية عادلة؟ أليست هذه أموالنا وثرواتنا؟ فلماذا إذاً كل هذا الرفض والتشدد في التحفظ؟*

هوّن الأمير فهد المسألة بأن قال: والله هذا خطأ من أحمد زكي، وهو غير مخوّل بالتصريح حول هذه القضايا، وأكرر أمامكم ما قلته في مؤتمر تونس للقادة العرب، وقد قبلوا تحليلي، قلت لهم: إن النفط مادة حساسة جداً ومادة تمتلكونها أنتم أيها العرب ولا يمتلكها أحد سواكم، ومتى أتى الوقت الذي يستوجب استخدام مقوّمات الأمة العربية جميعاً، فلا أظن أن هناك أعزّ من النفس التي يدفعها الإنسان راضياً في سبيل الجهاد والدفاع عن الوطن. وبالتأكيد فلن يكون أي مورد من موارد الثروة العربية أعز على الإنسان من نفسه، لكن الحديث عن استعمالها لمجرد الحديث يثير لنا الكثير من المشاكل من دون أن يفيدنا في شيء. إن التهويل للتهويل أمر

غير جائز، خاصة حين يكون موضوع التهويل أو التهديد مادة حساسة كالنفط ترتكز عليها مقومات دول صناعية كبرى. وعلينا أن نعترف، شئنا هذا أم أبيناه، أن مقومات أوروبا واليابان تعتمد إلى حد كبير على نفطنا، ومن مصلحتنا أن نقيم مع دول أوروبا ومع اليابان علاقات جيدة. أما الولايات المتحدة الأمريكية فلن تتأثر كثيراً لان لديها مخزوناً، وعندها مصادر للنفط في ألاسكا وغيرها..

■ هممنا بسؤال نفطي آخر، فاعتذر الأمير فهد مفضلاً الابتعاد بهذا الموضوع الحساس عن دائرة النور والتصريحات الصحافية، وهكذا انتقلنا إلى موضوع التهديدات الأمريكية المتكررة بغزو منابع النفط.. سألنا:

■ *التهديدات الأمريكية بغزو منابع النفط في حالة إذا ما تحقق ما يمكن أن يوقف تدفقه قصة معروفة.. هل تعتبرون هذه التهديدات موجهة إليكم أم إن هدفها حمايتكم من أخطار محتملة كما يقولون؟! وما هو موقفكم من التهديدات؟ وكيف تتصورون مواجهة الغزو إذا وقع؟!*

رد الأمير فهد بشيء من الاقتضاب:

ربما يخلق أصحاب التهديدات المبررات للغزو، ونحن نفهم من هذه التهديدات أنها موجهة أساساً إلى الدول الصناعية (أوروبا واليابان)؛ أما الغزو فأين تراه سيقع ؟! هل سيغزون الصحراء ؟! لو تم ذلك فسيظل بإمكاننا ـ نحن أبناء الصحراء أن نعيش فيها، أما هم فلا وفي أي حال، فإن أكثر ما يمكن عمله في مواجهة الغزو هو تفجير الآبار، وإذا جاء الوقت لمثل هذا القرار فلسوف نتصرف بالوعي المطلوب وبالمسؤولية المطلوبة.

وسألنا عن جانب آخر من المسألة النفطية عن العائدات قلنا:

■ *تتردد دائماً دعوات بأن تعامل الدول النفطية دول العالم الثالث معاملة تفضيلية بالنسبة لأسعار النفط ولا يحدث شيء من ذلك لماذا من وجهة نظركم؟*

قال الأمير فهد:

إن هذه واحدة من المشاكل الفعلية التي نعانيها مع الدول الفقيرة. عندما ترتفع أسعار النفط من يتضرر؟! يجب أن تكون هذه المسألة مفهومة

وأن المتضرر الرئيسي لن يكون إلا الدول الفقيرة فما العمل؟! إما أن ندفع لها الفروقات وإما أن نخسرها كدول صديقة تقف معنا في الأمم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية وتساند قضايانا، إضافة إلى كونها تمتُّ إلينا بصلة القربى. الآن، تم إنشاء صندوق خاص لهذا الغرض نودع فيه الأموال المتأتية من فروق رفع الأسعار، وقد زيد رأسماله زيادة ملحوظة من أجل أن يقدم مساعدات إنمائية إلى الدول الفقيرة، وبهذا نتجنب أن يبدو رفع الأسعار وكأنه موجود ضد طرف واحد، أي دول أوروبا واليابان.

■ *إننا نفهم جيداً هذه المسألة، فحين ترفعون أنتم أسعار نفطكم، ندفع الفرق باهظاً في بلد مثل لبنان. . .*

وقال الأمير فهد:

دعني أصارحك لمناسبة الحديث عن لبنان والنفط، إننا نتكبد خسائر ضخمة بسبب الاستمرار في تشغيل خط التابلاين، ولكن وبالرغم من أن خسارتنا بعشرات الملايين، فإن الخط سيستمر كشكل من أشكال المساعدة للبنان الشقيق.

للمناسبة: هل أتاكم خبر الباخرة الثانية التي نُهِبت بضائعها في لبنان (وملكيتها تعود إلى تجار سعوديين)؟!

لقد قيل لنا إن جماعة شمعون ومن معهم نهبوا حمولة الباخرة الأولى، أما الثانية فمن ترى سرق بضائعها؟!

قلنا للأمير فهد:

■ *أليس شمعون ومن معه في عداد أصدقائكم، ألم تقدموا لهم المساعدات دائماً؟!*

قال بحزم:

أبداً ليسوا أصدقاء لنا، وللمعلومات فمنذ ست سنوات لم يأخذوا قرشاً واحداً منا كمساعدات، وبطبيعة الحال لم يأخذوا رصاصة واحدة... وحقيقة ما قيل عن العثور على سلاح أو ذخيرة سعودية معهم، أننا كنا ـ قبل الحرب ـ قد قدمنا بعض المساعدات العسكرية إلى الجيش اللبناني، وقد استولوا عليها أو إن بعض الجيش سلّمهم إياها. فما ذنبنا نحن؟!

■ *وسألنا عن أمر كان (ولا يزال) في الأخبار عن حكاية القواعد العسكرية والبعثة الأمريكية التي قيل إنها جاءت مستكشفة؟*

فقال الأمير فهد:

لقد زارتنا بعثة أمريكية عسكرية فعلاً، ولكن لتبحث معنا في موضوع تسليح المملكة وأمور أخرى مشابهة، وهي لم تبحث في أمر إنشاء قواعد أو مطارات للقوات الأمريكية.

في أي حال، يمكنكم أن تؤكدوا وعلى لساني أن المملكة العربية السعودية لن تقبل بإقامة قواعد من أي نوع، ولن تعقد اتفاقاً بخصوص أي نوع من أنواع التسهيلات لا مع الأمريكيين ولا مع غيرهم.

■ *وسألناه عن التهديدات الإسرائيلية التي تتواتر بين حين وآخر حول احتمال توجيه ضربة إلى بعض المناطق، وربما إلى آبار النفط في السعودية؟*

فاكتفى الأمير فهد بجواب موجز جداً ومحدد جداً: إسرائيل أداة تنفذ ما تؤمر به...

■ *وجّهنا سؤالاً مباشراً عن إيران الثورة الإسلامية والعلاقات معها في الحاضر، واحتمالات عن تطورها في المستقبل.*

فقال الأمير:

ليست لنا أية مشاكل مع إيران في الوقت الحاضر، ونحن مرتاحون تماماً من هذه الناحية، بعكس ما كنا عليه خلال أيام الشاه.

وبغضّ النظر عما يصدر بين الحين والآخر من تصريحات لأشخاص أو لمنظمات غير مسؤولةُ تعرِّض بنا وتتهجم على المملكة، فإن البحث يجري الآن، وعلى مستوى ممتاز، مع المسؤولين في إيران بهدف توحيد الكلمة، ولقد التقينا رئيس بعثة الحج الإيرانية، الذي أبلغنا رسالة طيبة من السيد الخميني.. كذلك فقد وجهت الدعوة إلى وزير خارجية المملكة العربية السعودية، وهو سيقوم قريباً بزيارة إيران وسيلتقي مع المسؤولين فيها.

وما يهمّنا حقاً هو أن تستقر الأوضاع في إيران التي ننظر إليها نظرتنا إلى بلد مسلم وصديق.

■ *وسألناه: كيف تنظرون إلى موقف الخميني من حادث المسجد الحرام؟*

قال الأمير فهد:

كان من حقّه أن يوجه الاتهام إلى أميركا والصهيونية. صحيح أن ذلك كان استنتاجاً وأنه وضعه في ما يخدم معركته ضد الأمريكيين، ولكن موقفه كان يعكس ـ في الوقت نفسه ـ حرص المسلمين على مقدساتهم.

■ *بهذا المعنى فقد أفادكم موقفه، فهو قد أدان مقتحمي المسجد إدانة قاطعه. وأن تصدر الإدانة عنه أمر يختلف تماماً عن صدورها عنكم؟*

قال الأمير فهد:

صحيح. ونحن نقدّر له هذا الموقف، قدّرنا الله على كل ما فيه خدمة الإسلام والمسلمين.

وطرحنا سؤالنا الأخير، قلنا:

■ *لقد أشرت في غير موضوع من حديثك إلى الاتحاد السوفياتي والمعسكر الشرقي، ويجب أن نسألك بشكل مباشر عن احتمالات إقامة علاقات مباشرة بين المملكة وبينه؟*

قال الأمير فهد:

طبعاً ليس من المنطقي ولا المعقول أن نتجاهل وجود دولة كبرى مثل الاتحاد السوفياتي أو المعسكر الاشتراكي عموماً. وعلينا بالطبع أن نعترف بحقائق العصر السياسية بغضّ النظر عن موقفنا العقائدي.

وأحب أن أقول لكم إننا لاحظنا في الفترة الأخيرة تطوراً ايجابياً في سياسة الاتحاد السوفياتي، لقد بدأ عبر وسائل إعلامه، كما عبّر بعض المواقف ذات الدلالة يتصرف وكأنه بات يفهمنا. لم يعد يصفنا تلك الأوصاف التي تعوّدنا صدورها عنه (رجعية، عملاء استعمار، أتباع للإمبريالية.. الخ). كما إننا من جهتنا أخذنا نتعاطى معه، ولو بشكل غير مباشر ـ التعاطي العقلاني المطلوب.

يعني يمكن القول إن ثمة تجاوباً متبادلاً، ونحن راضون كل الرضا عن

تطور هذا الأمر بيننا وبينه، كذلك فإن العلاقات الاقتصادية والتجارية طيبة معه ومع المعسكر الشرقي عموماً. وأفترض أننا لا بد واصلون وخلال فترة قريبة إلى ما يفترض أن يكون.

■ *يعني إنشاء علاقات دبلوماسية مباشرة؟*

قال وقد استعادت لهجته نبرة التّحفظ:

في الحقيقة، إن علينا أولاً أن نعدّ شعبنا لمثل هذا الأمر، لا بد من بذل جهد كبير في الداخل لتغيير نظرة الناس وجعلهم يقبلون ما نشأوا على رفضه، ولكننا مطمئنون إلى أن هذا سيتم وفي الوقت المناسب.

كانت الساعة تقترب من الواحدة فجراً، وكان النعاس قد أثقل عيني ولي عهد المملكة العربية السعودية، وكان واضحاً أن على بقية الأسئلة أن تنتظر موعداً آخر.

وهممنا نودع الرجل المتميزة ملامحه بالهدوء والدعة، فخرج يودعنا عند مدخل الحارة الغارقة في صمت العاصمة التي لم تكن شيئاً يذكر قبل أن يتّخذها السعوديون عاصمة لهم ـ مبتعدين عن الأماكن التي ارتبطت بتاريخ غيرهم، ليتحوّل لهم ومن ثم إلى تاريخهم الخاص.

وفي المدى المفتوح، وفي ظل سكينة الليل، كانت أنفاس صحراء نجد، هي وحدها المسموعة..

انتهى الملحق الرقم (٣)

الملحق الرقم (٤)

الموضوع: نص حوار شامل للأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود وزير الداخلية (رحمه الله، ولاحقاً ولي العهد)، مع صحيفة **السفير** اللبنانية بعد انتهاء تمرد مكة.

المصدر: صحيفة **السفير** اللبنانية بتاريخ ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨٠. أجرى الحوار رئيس التحرير الأستاذ طلال سلمان ومدير التحرير أسعد المقدم.

نُشر الحوار على صفحة كاملة، هي السابعة، وسوف نستعرض عناوينه كالتالي ثم نسرد نص الحوار:

● سنرمز للعنوان أو المانشيت الرئيس بحروف غامقة.

ـ سنرمز للعنوان أو المانشيت الفرعي بحروف عادية.

العناوين:

● «السفير» في السعودية: حوار من موقع المختلف

● مناقشة مع وزير الداخلية حول اقتحام المسجد الحرام: من؟ وكيف ولماذا؟

● الأمير نايف: تسرّعت واشنطن فأخطأت وبدت وكأنها على علم بالعملية، لم يكن بين المقتحمين عناصر من المخابرات والأمن.. ولم يكونوا يستهدفون الملك.

ـ جاء البعض من مصر وباكستان.. والمطبوعات من الكويت.. والسلاح من لبنان.. لكنهم ليسوا منظّمين.

السفير الخميس ١٠/١/١٩٨٠ — ٧

"السفير" في السعودية: حوار من موقع المختلف ٣

مناقشة مع وزير الداخلية حول إقتحام المسجد الحرام: من وكيف ولماذا؟

الأمير نايف: تسرعت واشنطن فأخطأت وبدت وكأنها على علم بالعملية

لم يكن بين المقتحمين عناصر من المخابرات أو الأمن ولم يكونوا يستهدفون الملك

جاء البعض من مصر وباكستان والمطبوعات من الكويت والسلاح من لبنان... لكنهم ليسوا منظمين

كتب طلال سلمان





صورة فوتوغرافية لحوار «السفير» مع الأمير نايف رحمه الله

وفيما يلي نص الحوار:

حين دخلنا على الأمير نايف بن عبد العزيز، في مكتبه الأنيق بوزارة الداخلية، كنا مثقلين بالأخبار والشائعات والروايات المتعددة لحقيقة ما

جرى في المسجد الحرام فجر اليوم الأول من محرم، اليوم الأول من القرن الخامس عشر الهجري؛ وحين خرجنا من مكتبه بعد حوالى الساعتين من السرد التفصيلي للوقائع، ومن المناقشة المتأنية لمجموع ما نشر عن الحادث ـ الحدث، كانت رؤوسنا لا تزال تضجّ بالأسئلة والتساؤلات!

كان الأمير نايف دقيقاً وسخياً بالتفاصيل، لكنه احتفظ لنفسه وطوال الوقت بموقع المسؤول الأمني، وأحالنا بتهذيب شديد على المسؤولين السياسيين والإعلاميين لمزيد من التوضيح، ومن أجل الجزم بصحة، أو عدم صحة، الاستنتاجات والتقديرات السياسية.

ولقد قدّم لنا الأمير نايف «الرواية الرسمية» للحادث، مدللاً عبرها على كفاءة سياسية ملحوظة، اتضحت أكثر فأكثر حين لامس الحديث مسائل أخرى تتصل بمنهج السعودية العامّ وصورتها في الخارج: عربياً ودولياً، مع وقفة خاصة أمام أصدقائها في لبنان.

على أن هذه الرواية الرسمية، وقد سمعناها أكثر من مرة ومن غير مسؤول خلال وجودنا في الرياض، لا تُسقط جملة من الملاحظات والتساؤلات والأسئلة التي لا تزال تشغل أذهان المسلمين والعرب عموماً ومنها:

١ ـ ما هي بالضبط وبالتحديد «الهوية السياسية» للذين قاموا باقتحام المسجد الحرام؟! ومن ثَم ما هي على وجه الدقة، الأبعاد السياسية لهذه العملية الخطيرة والفريدة في بابها في التاريخ المعاصر؟!

إن حرص المسؤولين السعوديين على نفي «الأبعاد السياسية» ونفي وجود أي تدخل خارجي ـ حتى هذه اللحظة؟! ـ والتأكيد الدائم أن التحقيق «لم يتوصّل بعد» ـ وعلى الرغم من انقضاء مدة طويلة على استكماله مبدئياً ـ إلى تحديد أية علاقة بين مقتحمي الحرم وأية جهة أجنبية، كل هذا يظل أضعف من أن يصمد في مواجهة عملية هزّت ـ بمجرد حدوثها ـ المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها.

إن حجم التأثيرات الهائلة للعملية يتجاوز آفاق التفسيرات البوليسية البحتة، ويتجاوز قدرات القائمين بها على الأقل، كما يحددها وبلهجة قاطعة المسؤولون السعوديون.

٢ ـ إن ظروف الإعلان عن العملية نفسها ومن واشنطن بالذات في البداية، وفي ظل التهديدات الأمريكية الصريحة، بل والاستعدادات العسكرية التي كانت قائمة لغزو إيران، وفي ظل الأحاديث المتواترة عن احتمال قيام أميركا بغزو منابع النفط، ألقت من اللحظة الأولى وحتى هذه اللحظة ظلالاً من الشك حول «دورٍ ما» أمريكي، إن لم يكن في تنفيذ العملية ففي التخطيط لها والاستفادة منها والتمهيد لاستغلالها في تحقيق جملة من أغراض السياسة الأمريكية في السعودية ذاتها، وفي المنطقة العربية (والإسلامية) عامة. وبالرغم من أن المسؤولين السعوديين لا ينفون صراحة مثل هذا الاحتمال، فإنهم يفضّلون عدم الاستطراد في مناقشة تداعياته المنطقية.

٣ ـ إن الرواية الرسمية تتضمن إشارات وإيماءات إلى أن مقتحمي المسجد الحرام كانوا يتوقعون نجدةً ما من جهة ما، وبغضّ النظر عن الجو الأسطوري الذي يُغلِّف به هذا التوقع، فإنه يبقى حرياً بمزيد من التدقيق، كما إنه يفجر سلسلة لا تنتهي من التساؤلات.

٤ ـ في الرواية الرسمية أن منتحل صفة «المهدي المنتظر»، قد قتل في اليوم الثالث للعملية، فلماذا، إذاً، استمرت مقاومة الباقين تلك المدة الطويلة بعد مصرعه وسقوط أسطورته؟ إن المجال هنا فسيح أمام الاستنتاج المنطقي بأنه كان لهؤلاء «الخوارج»، كما يسمونهم في السعودية، قضية أخرى غير المهدي، وأن استمرارهم في المقاومة ربما كان يستند إلى شيء ما غير الخوارق والأساطير والأرض ستُخسف بالجيوش الآتية في اتجاههم.

وللمناسبة، فإن تسمية «الخوارج» هي ـ في التاريخ الإسلامي ـ تسمية سياسية وليست تعبيراً محايداً، فهل قصد المسؤولون السعوديون الدلالة السياسية للتسمية حين أطلقوها على مقتحمي المسجد الحرام؟!

٥ ـ إن وقائع العملية تكشف أن خلفها تخطيطاً ورسماً للأدوار ومهمات توزَّعها العديد من الناس، بعضهم كان في المملكة والبعض الآخر جاء من الخارج؛ بعضهم وصل قبل العملية وانتظر ثم شارك في التنفيذ، والبعض الآخر وصل عشية التنفيذ «للتهنئة بظهور المهدي ومبايعته» بحسب الرواية الرسمية؛ كما إن ثمة مطبوعات وصلت من الخارج وبتوقيت مدروس، وحتى لو تناسينا موضوع السلاح، يبقى أن ثمة أكثر من طرف وأكثر من

جهة وأكثر من مجموعة في أكثر من بلد قد شاركت بهذه النسبة أو تلك في التمهيد أو في الإعداد والتنفيذ، فهل يمكن أن يقوم بهذا كله نفر من الرجال البسطاء في مستواهم الفكري والثقافي والتنظيمي كما في علومهم الدينية؟!

إن جملة ما قيل، وبينه ما سمعناه في الرياض، يشير إلى أن ثمة حلقة لا تزال مفقودة في العملية، ولعلها متى كشفت تجيب عن كثير من الأسئلة المعلّقة الآن في انتظار إذاعة التفاصيل الكاملة والنهائية كما توصلت إليها التحقيقات الرسمية.

ويبقى أن إذاعة التفاصيل ستظل تفتقد السندَ الضروري في حالات كهذه وهو: المحاكمة العلنية والمواجهة الحية بين المدبرين والمنفذين، وبين السلطة التي تنفي عنهم طابع الخطورة التي تستوجب مثل هذا التكتم في حالات معينة، حرصاً على سلامة الأمن القومي أو على علاقات البلاد الخارجية.

لقد يسّر لنا المسؤولون زيارة الحرم المكّي وسُمح لنا بتصوير جنباته جميعاً: باحته ودوره الأول والثاني والأقبية التي شهدت أعنف المعارك والبوابات، وكل ما يتصل به.

كذلك فقد جلسوا إلينا وأجابوا بأسلوبهم عن الأسئلة التي طرحناها عليهم، ملتزمين دائماً بحدود، يبدو أنهم قد قرروا عدم تجاوزها حتى اللحظة.

وربما، لهذا كله، لازمنا الشعور أن مهمتنا الاستطلاعية ظلت أعجز من أن توفر الأجوبة عن الأسئلة جميعاً وهي كثيرة بعد.. في انتظار الكشف عن «الحلقة المفقودة» وإعلانها.

بعد هذه المقدمة يمكننا الانتقال إلى الحوار مع وزير الداخلية في المملكة العربية السعودية الأمير نايف بن عبد العزيز، مع التوكيد مجدداً على مؤهلاته ككادر سياسي متقدم بلغة خصوم المملكة الأيديولوجيين.

كتب طلال سلمان

■ *بدأنا مع الأمير نايف من البداية: مصدر الخبر الأول عن العملية، ودلالات أن تكون واشنطن هي المصدر، وأن تجيء الإشارة الرسمية الأولى عبر تصريح لناطق أمريكي رسمي بينما الرياض صامتة.. وصولاً*

إلى التصريح الفوري للإمام الخميني والذي حمّل فيه الولايات المتحدة والصهيونية العالمية مسؤولية العملية.

وقال الأمير نايف:

ـ لقد حصل شيء من التقصير من جانبنا. هذا صحيح. وبالطبع فلقد كان من حق الخميني أن يتّهم الولايات المتحدة الأمريكية بعدما تطوعت للإعلان عن الحادث حتى من قبل أن نعلن عنه نحن، ولا سيما أن الإعلان قد جاء على شكل تصريح رسمي لمصدر مسؤول. وفي رأينا أنهم قد تسرعوا في واشنطن حتى لقد بدوا وكأنهم علي علم بالحادث. وفي تقديري، فإن هذا الموقف الأمريكي كان خاطئاً لأنه ـ أولاً ـ لم يقدم الحقيقة حول ما حدث، ولأنه كان عليهم ـ ثانياً ـ أن ينتظروا حتى يسمعوا الحقيقة منّا، فنحن أصحاب الشأن في البداية والنهاية.. وكان عليهم ـ ثالثاً ـ ألا يتورطوا أو يورطوا ذلك «المتحدث الرسمي».. وكان يمكننا أن نفهم لو أن وكالة أنباء هي التي نشرت الخبر الأول، ولكن استغرابنا انطلق من كون الإعلان عن الحادث جاء على لسان بعض الرسميين.. ومن هنا كان من حقنا أن نتساءل عن الدافع الذي جعلهم يعلنون الخبر وبالأسلوب الذي أعلنوه به؛ وبهذا فنحن نفهم أن تتوجه التظاهرات التي انطلقت في أكثر من مدينة إسلامية ضد السفارات ورموز الوجود الأمريكي، فالكل اعتبر أن للولايات المتحدة علاقة ما بالموضوع.

■ *وقلنا للأمير نايف: من الصعب فهم هذا الموقف الأمريكي منكم ضمن هذه الحدود، إذا ما تذكرنا الصداقة القائمة والعلاقة المعروفة بينكم وبين الولايات المتحدة الأمريكية؛ لقد رأى البعض، أو قدّر، وجود «دور ما» للولايات المتحدة في عملية الحرم وقد جاء اتهام الخميني ليعزز هذا التقدير.*

قال الأمير نايف:

أنا مستعدّ لإطلاعكم على كل ما نعرف من وقائع، ونحن سنعلن الوقائع جميعها، وهذا واجب علينا، ومن حق المواطنين في المملكة أن يعرفوا كل ما يتصل بهذا الموضوع. ومن الطبيعي والحادث قد مس أقدس مقدسات المسلمين أن تذهب الظنون كل مذهب، وأن يقدّر أصحاب التقدير وجود علاقة لأطراف أجنبية بهكذا عملية، سواء أكانت هذه الأطراف دولاً أو منظمات أو دولاً غربية أو شرقية أو عربية مثلاً.. نحن في الواقع ملتزمون

بأن نقول الحق. وأحبّ أن أؤكد أنه لو ثبت لدينا وجود جهة أجنبية وراء الحادث لكنا تحفّظنا على الأقل، ولكن حتى هذه اللحظة لم نصل إلى دليل مادي سواء من خلال شهادات المقبوض عليهم، أو من نتائج أبحاثنا وتحرياتنا، يثبت أو يقطع بوجود جهة أجنبية على علاقة بالأمر.. وقد أكدنا هذا لإخواننا العرب.

توقّف الأمير نايف لحظة عن الاستطراد وعاد يستدرك قائلاً:

يهمني أن أشير إلى أمر فَرض علينا قدراً من القصور الإعلامي، ذلك أننا كنا نتردد في نقل أية معلومات لم تثبت لنا دقتها خشية تقديم معلومات خاطئة يكون من شأنها أن تربك الرأي العام.. وقد انتظرنا حتى تمكن بعض المصلّين من الخروج من الحرم وحصلنا على المعلومات الأولية وعلى مطالب المسلحين الذين ما أرادوا شيئاً من الدولة، بل هدفوا إلى مبايعة من سموه بـ «المهدي المنتظر»، ثم انطلقوا يقاتلون في الحرم من أجل لا شيء سوى تحقيق المبايعة للمهدي المزعوم.. وكانوا ينتظرون أن يتدفق المواطنون للمبايعة، وعلى هذا فقد أعلنوا: من لا يبايع فجراً يبايع بعد الظهر..

وعاد الأمير نايف يلمس النقطة السياسية من دون أن يتوغّل في متاهاتها مكتفياً بالقول:

أما حول الأبعاد السياسية، فيمكنكم مناقشة المسؤولين عن الإعلام والسياسيين، وقد يجيبونكم عن تساؤلاتكم؛ أما نحن في وزارة الداخلية فكنا نتعامل في الواقع مع الحادث كحادث [أمني] وكان يهمنا ألا تقع أخطاء أو مبالغات.. هذا ما كان يهمنا كأجهزة أمنية ونترك الباقي للآخرين، لافتين نظرهم إلى ضرورة عدم قول أي شيء لم يحدث. كنا كرجال أمن نتعامل مع الحدث وكيف ننهيه، وكيف نتصرف إزاء هؤلاء الذين اقتحموا مقدساتنا وتحصنوا فيها، يقاتلون بلا قضية.

لا دور للسادات

وسألناه:

■ *كان لأجهزة الإعلام المصرية دور ملحوظ في الترويج لأخبار العملية في ساعتها الأولى. . كذلك فقد تبين، كما سمعنا هنا في الرياض،*

أن نسبة عالية من مقتحمي الحرم هم من المواطنين المصريين (أذكر أن عددهم يزيد على الأربعين)، فهل لهاتين الواقعتين أي بعد سياسي خصوصاً في ظل طبيعة العلاقات المتوترة الراهنة بينكم وبين السادات؟!

ـ قال الأمير نايف بغير انفعال أو حدّة:

الواقع أن الخط السياسي المصري معروف لدينا كما هو معروف أمر التناقض الكامل بين اتفاقات كامب ديفيد وقضية القدس؛ وأنتم تعرفون ولا شك الكثير عن الحملة التي شنّها السادات ضد المملكة، ولكن ما يقوم به السادات لا يغيّر شيئاً من موقفنا. ويهمني أن أوضح هنا بعض الوقائع المتصلة بحادث الحرم: صحيح أن عدداً من المصريين كانوا ضمن المهاجمين، ولكننا لم نتأكد بعد أن لهؤلاء علاقة بالسادات وأجهزته، وهم لم يتكلموا عن السادات مطلقاً، ولكن السادات يريد بطبيعة الحال اغتنام أية فرصة لمهاجمة السعودية؛ وقد استغلّ حادث الحرم لأن له أبعاداً دينية، فهاجمنا من دون الإشادة بالذين اقتحموا الحرم حتى لا يورّط نفسه داخل مصر.

وقال الأمير نايف:

بالنسبة إلينا نحن مع أي نشاط إسلامي، وليس بالضرورة أن يكون هذا النشاط معادياً لأيِ دولة خاصة مصر بغضّ النظر عن موقف السادات المشين من القضية الفلسطينية وتعاونه مع إسرائيل. ولكن، للأمانة، لا نريد أن نقول أو أن نستغل أي موقف لاتهام السادات أو حتى إسرائيل بالحادث، دون أن يتوافر في الوقائع ما يسند مثل هذا الاتهام. إننا نلتزم بقول الحقيقة لمواطنينا، ولا نعتقد بأن لأي فرد سعودي علاقة مع السادات، وليس بإمكان أي سعودي التعامل مع السادات.. ذلك أنه ليس في المملكة العربية السعودية مواطن واحد معادٍ للقضية الفلسطينية، وهذا ليس نتيجة إكراه، بل نتيجة قناعة عند السعوديين. وبالطبع، فإن ما هو مستغرب ليس أن يتفق فرد أو سياسي أو مواطن عادي مع إسرائيل، بل أن يتفق معها رئيس دولة عربية في حجم مصر وإمكاناتها ودورها الكبير!

ولكن على الرغم من هذا كله، نستطيع أن نقول إنه لا يوجد حتى هذه اللحظة ما يثبت وجود يد سواء لمصر أو لغيرها في حادث المسجد الحرام، وعندما يظهر لنا أي دليل سنعلنه بكل وضوح. إن الأمانة تقتضينا قول الحقيقة

ولا نريد أن نتهم أحداً؛ فالدولة قوية والتلاحم قويّ بين الدولة والشعب.

من غطّى المقتحمين؟

■ *يمكن الاستنتاج من خلال المعلومات الرسمية التي أعطيت عن الحادث أنه كان ثمة تدبير مسبق... ألا ترى أن هذا الاستنتاج صحيح؟ ثم إن حركتهم الحرة نسبياً والتي مكنتهم من إدخال السلاح والذخيرة والمؤن، وخلال فترة طويلة نسبياً، تسمح بالتقدير أنهم كانوا يتمتعون بغطاء سياسي أو معنوي فعّال، كأن يكون بينهم عناصر من المخابرات أو القوات المسلحة أو الحرس الوطني، أو أن تكون جهة ما داخل هذه الأجهزة قد وفرت لهم التغطية الضرورية.*

قال الأمير نايف:

إن تحركات المجوعة التي قامت بالحادث لم تكن خافية على أجهزة الأمن أبداً، والدليل أن من بين المهاجمين من كان مقبوضاً عليه قبل الحادث، وأفرج عنه نتيجة تعهدات أعطاها أو أعطاها من كفله.

■ *هل كان محمد عبد الله القرشي من بينهم؟*

ـ أجل كان بينهم. ولكن دعني أوضح لكم أمراً: محمد عبد الله هذا ليس قرشياً، بل هو من أصل تركي حتى إن الناس يطلقون على أسرته لقب التركي حتى يومنا هذا. وقد أشيع قبل الحادث بأيام أنه قرشي وذلك تمهيداً للدور الذي أعطي له.

■ *هو قحطاني بحسب ما سمعنا؟*

ـ قحطاني بالحلف لأن أجداده ساكنوا قحطان في بلدة واحدة.

■ *وما اسم تلك البلدة؟*

ـ اسمها «أحد» في رفيدة.. «أُحد رفيدة» قرب «خميس مشيط» في الجنوب، ولأنهم انزعجوا من لقبه التركي فقد أعطوه صفة أو اسم القحطاني نسبة إلى القبيلة التي عاشوا في كنفها.

■ *هل له بعض الصور عندكم؟*

ـ والله.. لست متأكداً.

■ *سمعنا اليوم من الأمير سلطان أن هذا القحطاني كان معتقلاً قبل سنة، والعادة أن تؤخذ للمعتقلين صور.*

- يجوز، ولكنني غير أكيد، لأننا عندما اعتقلناه كان السبب بسيطاً ولا يستحق أية أهمية؛ فلقد كان الدافع لاعتقالهم مواقفهم الدينية المهووسة التي كانت تترك بعض الانعكاسات السلبية على الأمن.. وقد اعترفوا بأنهم كانوا يجتمعون في المساجد وغيرها من أجل البحث في استشراء الفساد بين الناس، وابتعادهم عن الدين، وانصرافهم إلى اللهو والعبث والمجون.. وقد أبلغناهم يومئذٍ ما مفاده أن هذا لا يعنيكم أنتم وإن كان عندكم نوايا حسنة فتعالوا وانضموا إلى الهيئات والجمعيات الرسمية المعنية، فتساعدوا بعضكم بعضاً. وأخذنا عليهم تعهدات بأن يكفوا عن نشاطاتهم المؤذية لشدة تعصبهم وهوسهم؛ وكان من يسمى بـ القحطاني من بينهم.. لقد كانت جميع تحركات هؤلاء الأشخاص معروفة ولم تكن خافية علينا ولم يكن بينهم أي شخص رسمي أو عسكري أو منتسب لأجهزة الأمن أو الاستخبارات، إنما بينهم أفراد كانوا يعملون في بعض القطاعات العسكرية، وفيهم من فُصل منها لأسباب مسلكية، ومنهم من استقال في ظروف عادية.

من الحلم إلى البيعة..

وعاد الأمير نايف يلحّ على ضعف قدراتهم التنظيمية فقال:

يهمني هذا هنا أن أوضح أمراً وهو أن هؤلاء الذين اقتحموا الحرم لم يصدر عنهم إلى ما قبل شهر رمضان من العام الماضي أي منشور أو كتابة تدل على نواياهم.. ولكن في أواخر رمضان صدرت كتيبات عنهم طبعت خارج المملكة في الكويت وهرِّبت. منها ما تمت مصادرته ومنها ما دخل ووزع بعد رمضان.. تتحدث عن أشياء اعتبرناها مخالفة للشريعة وتوجب الاعتقال.

.. وفعلاً بدأت أجهزة الأمن تلاحقهم، فقبضت على البعض منهم وحققت معه، فتبين لنا أنهم يبيّتون أمراً، وأن شيئاً ما يُدبَّر للتنفيذ بعد موسم الحج؛ فقبضنا على البعض منهم قبل الحج، وتبين أن مجموعة لا يتعدى عددها الستة أشخاص قد اجتمعت عند واحد منهم، وقررت أن عبد الله

القرشي أو القحطاني أو التركي، تنطبق عليه صفات «المهدي المنتظر»، وفقاً لرؤيا البعض منهم، ومن بينهم زوجته.

■ *ومتى كان هذا بالتحديد؟ أي متى قرروا تعيين محمد عبد الله «مهدياً»؟ وبكم سبق تعيينه «ظهوره»؟ وهل استندوا في ذلك إلى رواية زوجته عن حلمها؟!*

ـ بحسب علمنا، فإن الاجتماع الذي حسم أمر المهدي واختياره قد تم قبيل «الظهور» في شهر شعبان، في أواخره، قبل رمضان. وقد روت امرأة صارت في ما بعد زوجته لـ محمد عبد الله، أنها رأت في المنام رجلاً صفاته وأشكاله كذا.. وملامحه كذا وكيت.. وأنه أبلغها أنه هو المهدي وأنه آتٍ قريباً.. وعندما أتوها بالرجل قالت أنه هو نفسه الذي رأته في الحلم فتزوجا.. وهكذا ظل الأمر يتطور حتى يوم ٢٥ من ذي الحجة، حيث اجتمعت المجموعة وأعلنت الرجل مهدياً وبدأت اتصالاتها لكي يبايعه الناس.

■ *ألم يكن لهم تنظيم معيّن؟! ألم تكن لهم خلايا أو ما يشبه ذلك؟!*

قال الأمير نايف:

لا من الصعب تسميتها بـ الخلايا، كل ما في الأمر أن بعض الأشخاص من البارزين فيهم اتصلوا بأفراد هنا وفي مصر وباكستان وغيرها، فجاء هؤلاء لأداء العمرة، وتم التلاقي بينهم، وبقوا حتى موسم الحج من غير أن يعرف الكثير منهم بأمر البيعة التي قررتها مجموعة الأشخاص الستة، ولا بأمر الدخول إلى الحرم إلا في يوم ٢٨ من شهر ذي الحجة..

وهكذا، في الموعد المحدد أُحضرت المجموعات إلى الحرم، وتزعّم كل مجموعة رجلٌ منهم ودخلوا قبل الفجر إلى مكة.. وأحب أن أقف هنا لأوضح الصورة عن الحرم وما حوله: أولاً، الحرم عمره أكثر من ألف سنة، وكما هو معروف، فهو مكان عبادة ومكان آمن ليس فيه أية قوات مسلّحة أو قوى أمن؛ فيه فقط «شرطة الحرم» وهذه الشرطة لا تحمل سوى العصيّ، ومهمتها وقف التعديات داخل الحرم، ويمكنها الاتصال بالشرطة خارج الحرم في حال حصول أي حادث.

ثم إن أبواب الحرم مفتوحة ٢٤ ساعة في اليوم، وهناك أكثر من ٥٠ باباً في الدور العلوي، وثمانية للأقبية وكلها مفتوحة، وداخل الأقبية أمكنة للسكن يقطنها بعض الناس من خدام الحرم أو طالبي العلم أو التعبّد. وللأقبية إدارة خاصة بها منفصلة عن إدارة الحرم، وبإمكان أي إنسان أن يدخل إليها في أي وقت. ثم هناك من يأتي لصلاة الفجر بشكل طبيعي ويومياً.. وقد جاء المعتدون قبل الناس وقبل موعد صلاة الفجر فدخلوا إلى الحرم أفراداً أو أزواجاً، بل إن بينهم من دخل بعد صلاة العشاء ونام في الحرم، ومنهم من جاء على شكل معتمر وأوقفوا سياراتهم بطريقة عادية وقصدوا الحرم لينضموا إلى رفاقهم فيه.. وقد أدخلت سيارتان إلى القبو: واحدة كانت تحمل تمراً والأخرى كانت تنقل نساء للمساعدة في إخفاء الذخيرة، وحوالي ١٠ قطع سلاح.. كان الواحد منهم يدخل الحرم وقد تجلبب بالعباءة وتحتها أحزمة الذخيرة، وكانوا على اتفاق أنه عندما يقرأ إمام الحرم الفاتحة في الركعة الأولى من صلاة الفجر وينهيها بـ «ولا الضالّين»، وبينما الناس يرددون «آمين»، يبدأ إطلاق النار، فيغلقون جميع الأبواب من الخارج بسلاسل من حديد وأقفال لمنع من في الداخل من الخروج ليحتفظوا بأكبر عدد من المواطنين داخل الحرم ليبايعوا المهدي.

وهكذا لم يغلق من الداخل سوى باب واحد، هو الباب الذي دخلت منه بقية المجموعات المهاجمة. وهنا ينتفي أي دليل على وجود متعاونين مع المهاجمين أو متعاطفين من الأجهزة الأمنية، وحتى بعضهم كان مراقباً من قبلنا، ولكننا لم نتصور أن يحدث الأمر في هذا المكان المقدس.

الأسلحة..

■ *لعلهم شعروا بأنكم تراقبونهم فاتخذوا الحيطة لذلك؟*

لا نستطيع أن نُرجع تصرفاتهم كلّها إلى الحيطة. إن الحديث عن «المهدي» قديم وبعض الروايات تذكر أن المهدي سيظهر بين الحجر والمقام، أو الركن والمقام. هذا هو المعروف. وهم أرادوا أن يحققوا هذا. وقد قالوا إنهم ما قصدوا أن يقاتلوا، ولكنهم حملوا السلاح دفاعاً عن أنفسهم. لكن التحقيق أثبت كذب ادعاءاتهم هذه والحقيقة أنهم قالوا لمن

معهم اذهبوا إلى هناك وقاتلوا وأطلقوا النار لأن البيعة لن تتم بمجرد هز الرؤوس بل باستعمال الرشاشات.

ثم إن لدينا تسجيلات لأصوات بعضهم وهم يوزعون الأوامر ويحددون للمقاتلين منهم مواقعهم: يا فلان عليك بالباب رقم كذا.. يا فلان أنت ومن معك في المنائر.. يا فلان أنت عند الأقبية.. الخ. ويهمني أن أشير هنا إلى أن الأسلحة التي كانت بحوزتهم هي أسلحة خفيفة وشعب المملكة وخصوصاً أهل البادية يملكون الأسلحة الفردية، إضافة إلى أن الذخيرة كانت تُهرّب إلى داخل المملكة من لبنان إلى سوريا، ومن سوريا إلى الأردن فالعراق، ثم يجري توزيعها بين أنحاء المملكة والخليج، وقد سبق لنا أن قبضنا أكثر من مرة على ناقليها.

وأمر التهريب والأسلحة ليس بغريب. في أي حال لقد كان مقتحمو الحرم يملكون رشاشات خفيفة وبنادق ومسدسات، ولكنهم لم يكونوا يملكون أية أسلحة متطورة ولا حتى قنابل. وقد استهلك هؤلاء المهاجمون كمية كبيرة من الذخيرة في اليوم الأول للإرهاب؛ قتلوا بالفعل بعضاً من جنود الحرم، كما قتلوا مواطنين أبرياء. ومعظم الذين حققنا معهم اعترفوا أنهم لم يقرروا دخول الحرم إلا في الخمسة أيام الأخيرة من شهر ذي الحجة، والكثير من أنصارهم لم يعرفوا بموضوع المهدي إلا في اليوم الأخير من شهر ذي الحجة.

لم يستهدفوا الملك

قلنا للأمير نايف:

■ *هناك رواية أمريكية تقول إن المجموعة المهاجمة اختارت هذا التوقيت بالذات لأنها كانت تفترض أن الملك ومعه بطبيعة الحال الأمراء وكبار المسؤولين سيكونون في تلك الساعة داخل الحرم، ما يسهّل احتجازهم بداعي التفاوض معهم، ومن ثم القفز من هناك للاستيلاء على السلطة؟*

قال الأمير نايف:

هذه أول مرة أسمع فيها مثل هذا الكلام، لكن هذا غير صحيح بكل الأحوال؛ فالملك لم يكن في المنطقة يوم الحادث ولم يكن من عادة

الملك أصلاً أن يزور الحرم يوم رأس السنة الهجرية لأن المراسم تقام فقط في بداية أيام الحج (كغسل الكعبة والطواف حولها مثلاً). ثم إن المقبوض عليهم أعلنوا أنهم لم يكونوا يقصدون الملك ولا هم كانوا يتوقعون وجوده أصلاً في الحرم. وقد لاحظنا أن الصحافة الأجنبية سواء في أميركا أو في أوروبا كأنما كانت تريد أن يحدث شيء، أي شيء في المملكة، لتقوم بتضخيمه وخلق قصص خيالية حوله، حتى إنهم تناسوا الأمانة الصحافية ليس بالنسبة إلينا كعرب ومسلمين، بل بالنسبة إلى قُرَّائهم. وكان يفترض بهم ألا يتركوا كرههم للمملكة يسيء إلى أمانتهم الصحافية، ولكن يبدو أن كراهيتهم لنا أكبر من أمانتهم المهنية!

■ *هذه سياسة طال عمرك وليست صحافة..*

صحيح هذه سياسة، ولقد تغيّرت بعدها نظرتنا إلى الصحافة. كنا نعتقد أن الصحافة العربية ضعيفة وتجانب الموضوعية أحياناً بسبب ارتباطها أو ولائها لدول أو لمنظمات. وكنا نعتقد ـ وفقاً لما هو سائد ـ أن الصحافة الغربية تقول الحقيقة وتحترم القارئ.. ولكن بعد ما جرى، لمسنا بأنهم يكرهوننا أكثر مما يحبون الحقيقة، وربما كان موقفهم هذا تعبيراً عن رغبتهم في إرضاء الصهيونية، كما يجوز أن السبب في كراهيتهم للإسلام والمسلمين.

الاعتقالات..

■ *قيل أيضاً على هامش حادث الحرم، إن السلطة شنَّت حملة اعتقالات شملت كل الحزبيين، وإجمالاً كل من لهم علاقة بالسياسة.. فهل هذا صحيح؟*

أبداً هذا غير صحيح ولأكثر من سبب.. أولاً: لا يوجد في المملكة حزبيون!

■ *أهذا ممنوع؟!*

هذا ممنوع في المملكة، وحتى إذا أتى أي شخص من البلاد العربية والإسلامية وعرفنا أنه حزبي وتحققنا من الأمر، ننبهه بأنه أتى من أجل العمل وليس من أجل ممارسة السياسة. أما الاعتقالات التي جرت في الأيام

الأولى للحادث، فقد طالت المشتبه بهم والذين قد تكون لهم علاقة بالمهاجمين. وبعد التحقيقات أطلقنا سراح الأبرياء واكتفينا بالمذنبين والذين نعرفهم من قبل وعددهم محدود جداً جداً ولا يتعدى ١٠٠ شخص. هذا طبعاً غير الذين قبض عليهم داخل الحرم.

■ *ولماذا تحظرون الأحزاب والعمل الحزبي في المملكة؟!*

- قال الأمير نايف:

لأن سياسة المملكة لا تسمح بقيام الأحزاب؛ فالمملكة تتبع نظاماً محدداً هو النظام الإسلامي، وأي عمل حزبي خارج عن نطاق الشريعة الإسلامية غير مسموح به.. نعم يوجد اجتهادات في الإسلام، وهناك مذاهب عديدة، ونحن ندعوا لأن يجتمع المسلمون ويتركوا الاختلافات. والملك عبد العزيز، رحمه الله، كان يدعو علماء المسلمين لأن يجتمعوا ويعملوا متّحدين وعلى أساس ما نص عليه القرآن الكريم وما كان عليه رسول الله (ﷺ)، حتى نزيل هذه الفوارق.. هذا هو الهدف الذي تسعى إليه المملكة. وللأسف، فهو لم يتحقق خلال السنوات الماضية، وأرجو أن يتحقق في المستقبل.

المحاكمة..

■ *سمعنا أن جميع الذين قبض عليهم قد حكم عليهم بالإعدام، وكان من المتوقع أن يتم تنفيذ الأحكام فيهم يوم الجمعة الماضي (قبل الماضي).*

- قال الأمير نايف:

ربما توقّع الناس أن يتم التنفيذ يوم الجمعة لأن الأحكام تنفذ عندنا يوم الجمعة عادة، ولكن الواقع أننا على وشك أن ننهي التحقيقات، وبعدها وكما هو متبع، نرفع الموضوع إلى الملك، وهو يقرر الإجراءات التي يجب أن تتخذ؛ فمهمة وزارة الداخلية التحقيق وطبعاً التنفيذ.

■ *ولماذا لم تحاكموهم علناً؟*

- قال الأمير نايف:

والله جرت العادة عندنا ألا تتم المحاكمات علناً، ونحن ما أردنا أن نميز هؤلاء، وفي العادة يحضر قضاة الشرع للتحقيق ويتثبتوا من أن

الاعترافات لم تؤخذ من المتهمين بالإكراه، وتدوَّن إفاداتهم أو شهاداتهم هذه في ملف الدعوى.

■ *هل نستطيع أن نرى جهيمان أو أياً من المتهمين والمعتقلين إضافة إلى جهيمان؟*

نحن في الواقع لم نسمح لصحافتنا أن تجري مقابلات معهم؛ فالناحية الإعلامية ليست بالنسبة إلينا وحتى هذه اللحظة أهم من الناحية الأمنية، ولن نستطيع تزويدكم بأكثر مما زودنا به صحافتنا.

■ *سمعنا أنكم تدربون مجموعة من الرجال في بعض المسالخ على قطع الرؤوس بالسيوف بضربة واحدة استعداداً لتنفذ أحكام الإعدام. .؟*

- وابتسم الأمير نايف وهو يقول:

عندنا العدد الكافي من السيّافين، أي ممن يضربون الأعناق بالسيف.. والإعدامات تتم كلها عن طريق السيف إلا في حال إقدام شخص على قتل شخص آخر والحكم على القاتل بالموت؛ ففي هذه الحالة نسأل أهل الضحية، فإن أراد أحد منهم أن يقتل المجرم بنفسه مكّناه من ذلك، وهو حر أن يقتله بأي وسيلة بالبندقية أم بالمسدس أو بغير ذلك، أما إذا ترك أمره للدولة فإن إعدامه يتم بالسيف.

■ *ولماذا الإصرار على السيف؟! إن الإعلام الغربي يستغل هذه الطريقة في الإعدام، ببشاعة؟*

- قال الأمير نايف بالهدوء نفسه:

بالنسبة إلينا، فإما أن نهتم بالرأي العام الغربي ونعطل النصوص الشرعية، وإما أن نأخذ بنص الشريعة؛ فأيهما أفضل؟! بالطبع لا مجال للتردد.. وهكذا نستمر في تنفيذ ما أمر به القرآن وما أراده الرسول (ﷺ).

انتهى الملحق الرقم (٤)

الملحق الرقم (٥)

«بيان[*] من هيئة كبار العلماء بشأن الاعتداء على المسجد الحرام» ويليه بيان عن «حادث المسجد الحرام وأمر المهدي المنتظر» للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان من هيئة كبار العلماء بشأن الاعتداء على المسجد الحرام

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فبمناسبة انعقاد مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الخامسة عشرة في مدينة الرياض في النصف الأول من شهر صفر عام ١٤٠٠هـ. للنظر في الأعمال المدرجة في جدول أعمال هذه الدورة رأت الهيئة أن من واجبها إصدار بيان بشأن الاعتداء على المسجد الحرام من قبل الفئة المعتدية الضالة التي كفى الله المؤمنين شر عدوانها فتم القضاء عليها بفضل الله وكرمه.

فإن هيئة كبار العلماء بهذه المناسبة تستنكر من هذه الفئة المعتدية الظالمة فعلها الآثم وعدوانها الغادر وتعتبرها بذلك قد ارتكبت عدة جرائم أهمها ما يلي:

١ ـ انتهاك حرم الله وجعله ميداناً للقتل والقتال وتحويله من حرم

(*) لم نعثر على نص فتوى هيئة كبار العلماء التي أجازت استعمال القوة لإنهاء الأزمة في المراجع المتوفرة لنا في الدار البيضاء. وهنا بيان لمجلس هيئة كبار العلماء صدر بعد انتهاء الأزمة ضمن الدورة الخامسة عشرة للهيئة في صفر ١٤٠٠. (المترجم)

آمن إلى ساحة حرب تسوده الفوضى والفزع والاضطرابات والقتل والقتال متجاهلين ما في ذلك من الوعيد الشديد والإجرام البالغ. قال الله تعالى ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾، وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرا فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب».

٢ ـ سفك دماء المسلمين في بلد الله الحرام مكة المكرمة وفي حرمه الآمن حيث قتل فيه على أيديهم وبسبب فتنتهم العشرات من المسلمين معصومي الدم والمال.

٣ ـ الإقدام على القتال في البلد الحرام وفي الشهر الحرام قال تعالى ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير...﴾ الآية.

٤ ـ الخروج على إمام المسلمين وولي أمرهم وهم مع إمامهم وتحت ولايته وسلطانه في حال من الاستقرار والتكاتف والتآلف والتناصح واجتماع الكلمة يحسدهم عليها كثير من شعوب العالم ودوله مستهينين بجريمة الخروج على ولي أمر المسلمين وخلع ما في أعناقهم له من بيعة نافذة جاهلين أو متجاهلين ما في ذلك من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لاننازع الأمر أهله» قال «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان».

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه كائنا من كان».

٥ ـ التسبب في تعطيل حرم الله مدة اعتدائهم عليه من الشعائر الدينية من صلاة وذكر وطواف وتلاوة لكتاب الله وغير ذلك من أنواع العبادات حتى أنه مضى عليه جمعتان لم تصليا فيه ولم ترفع من مآذنه نداءات الصلاة جمعة وجماعة قال تعالى ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾ الآية.

٦ ـ التغرير بمجموعة من الأغرار والنساء والسذج وغيرهم بزجهم في حظيرة هذا الطغيان الآثم وتعريضهم لكثير من المآسي وصنوف المشقة والتسبب في قتل بعضهم.

٧ ـ الانقياد لداعي الهوى والضلال حيث قام من تولى كبر هذه الفتنة بالإشارة إلى أحدهم بأنه هو المهدي المنتظر وأعلن المطالبة بمبايعته مع انتفاء ما يدل على ذلك ووجود ما يكذبه.

وبناء على ما تقدم فإن هيئة كبار العلماء تعتبر هذه الفئة **فئة ضالة آثمة** لاعتدائها على حرم الله وعلى مسجده الحرام وسفكها الدم الحرام وقيامها بما يسبب فرقة المسلمين وشق عصاهم وبذلك دخلت تحت قوله سبحانه ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ وقوله ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها. . .﴾ الآية، والهيئة إذ ترى في هذه الفئة الظالمة هذا الرأي ترى أن في منشوراتها من الشبه الآثمة والتأويلات الباطلة والاتجاهات الضالة ما يعتبر بذور شر وفتنة وضلال وطريقا إلى الفوضى والاضطرابات والتلاعب بمصالح البلاد والعباد بدعاوى قد يغتر بعض السذج بظاهرها وفي بواطنها الشر المستطير وإذ تبين الهيئة ذلك وتستنكره فإنها تحذر المسلمين جميعا مما في تلك المنشورات من الشبه الآثمة والتأويلات الباطلة والاتجاهات السيئة كما أن الهيئة بهذه المناسبة وبمناسبة القضاء على فتنتهم من حكومة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز حفظه الله ووفقه وأعانه على كل خير تشكر الله سبحانه وتعالى أن يسر أسباب القضاء عليها وتسأله تعالى أن يحمي هذه البلاد وبلاد المسلمين عامة من كل سوء وأن يجمع شملها على الحق ويعين ولاتها ويعزهم بالإسلام ويعز الإسلام بهم ويجعل لهم من البطانة الصالحة من إذا هموا بالخير أعانوهم عليه وإذا جهلوه أرشدوهم إليه وإذا نسوا ذكروهم إياه وأن يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون من ظالم وحاقد وماكر

وحاسد، وتقدر الهيئة الجهود العظيمة التي بذلتها الحكومة في القضاء على هذه الفتنة بطريقة اتسمت بالقوة والحكمة والبصيرة وتشكر كل من ساهم في القضاء عليها بيده أو لسانه أو قلمه وفي مقدمة هؤلاء جلالة الملك وولي عهده وأعوانه المخلصين والقوات العسكرية بمختلف مسمياتها ورتب أفرادها ونسأل الله سبحانه وتعالى لقتلاهم المغفرة والرحمة وجزيل الثواب ولأحيائهم الأجر العظيم والثبات على الحق والهدى والله حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هيئة كبار العلماء رئيس الدورة الخامسة عشرة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

الأعضـــاء:

عبد الله بن محمد بن حميد.

عبد الرزاق عفيفي.

إبراهيم بن محمد آل الشيخ.

عبد المجيد حسن.

صالح بن لحيدان.

محمد بن علي الحركان.

عبد العزيز بن صالح.

محمد بن جبير.

صالح بن غصون.

عبد الله بن منيع.

عبد الله خياط.

سليمان بن عبيد.

راشد بن خنين.

عبد الله بن غديان.

عبد الله بن قعود.

المرجع: مجلة البحوث الإسلامية ج٥ ص ٣٢١ ـ ٣٢٤

المصدر: <http://www.assakina.com/center/files/5421.html>.

«بيان عن حادث المسجد الحرام وأمر المهدي المنتظر»
للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فإن الحادثة النكراء والجريمة الشنعاء التي قام بها جماعة من المسلحين بعد صلاة الفجر من يوم الثلاثاء الموافق ١/١/ من عام ١٤٠٠ هجرية باقتحامهم المسجد الحرام وإطلاقهم النار بين الطائفين والقائمين والركع السجود في بيت الله الحرام أقدس بقعة وآمنها، قد اقضت مضاجع العالم الإسلامي وألهبت مشاعره وقابلها بالاستنكار الشديد، وما ذاك إلا لأنها عدوان على البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا، وانتهاك لحرمته وحرمات البلد الأمين والشهر الحرام، وترويع للمسلمين، وإشعال لنار الفتنة، وخروج على ولي أمر البلاد بغير حق.

ولا شك أن هذا الإجرام يعتبر من الإلحاد في حرم الله الذي قال الله فيه: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ويعتبر ترويعا للمسلمين وإيذاء لهم وظلما وعدوانا وقد قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيراً﴾ وقال عز وجل: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ يضاف إلى ذلك حملهم السلاح وإطلاقهم النار على رجال الأمن الذين أرادوا إطفاء فتنتهم وحماية المسلمين من شرهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «من حمل علينا السلاح فليس منا» ونهى عن حمل السلاح في الحرم وقال عليه الصلاة والسلام: «إن هذا البلد حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يسفك فيه دم ولا يعضد فيه شجره».

وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: «إن هذا البلد لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي وإنما أحل لي ساعة من نهار وقد عادت حرمته اليوم كحرمته بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب» والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وقد تعدى شر هذه الفتنة وضررها إلى كثير من الحجاج

وغيرهم، يضاف إلى ذلك إغلاقهم أبواب المسجد الحرام ومنعهم بذلك الداخلين والخارجين، وبذلك تدخل هذه الطائفة تحت قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إلا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وبالجملة فقد حصل بهذه الحادثة الشنيعة ظلم كثير وفساد عظيم وبلاء كبير ولا نعلم أنه مر بالمسجد الحرام مثل هذه الحادثة لا في الجاهلية ولا في الإسلام.

أما تبريرهم لظلمهم وعدوانهم وفسادهم الكبير بأنهم أرادوا إعلان البيعة لمن زعموه المهدي، فهذا تبرير فاسد وخطأ ظاهر وزعم لا دليل عليه ولا يجوز أن يستحلوا به حرمة المسجد الحرام وحرمة المسلمين الموجودين فيه ولا يبيح لهم حمل السلاح وإطلاق النار على رجال الأمن ولا على غيرهم لأن المهدي المنتظر من الأمور الغيبية التي لا يجوز لأي مسلم أن يجزم بأن فلانا ابن فلان هو المهدي المنتظر لأن ذلك قول على الله وعلى رسوله بغير علم، ودعوى لأمر قد استأثر الله به حتى تتوافر العلامات والأمارات التي أوضحها النبي صلى الله عليه وسلم وبين أنها وصف المهدي، وأهمها وأوضحها أن تستقيم ولايته على الشريعة، وأن يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا مع توافر العلامات الأخرى، وهي: كونه من بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وكونه أجلى الجبهة أقنى الأنف وكون اسمه واسم أبيه يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه، وبعد توافر هذه الأمور كلها يمكن المسلم أن يقول أن من هذه صفته هو المهدي.

أما اعتماد المنامات في إثبات كون فلان هو المهدي فهو مخالف للأدلة الشرعية ولإجماع أهل العلم والإيمان. لأن المرائي مهما كثرت لا يجوز الاعتماد عليها في خلاف ما ثبت به الشرع المطهر؛ لأن الله سبحانه أكمل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة قبل وفاته عليه الصلاة والسلام فلا يجوز لأحد أن يعتمد شيئا من الأحلام في مخالفة شرعه عليه الصلاة والسلام.

ثم إن المهدي قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يحكم بالشرع المطهر فكيف يجوز له ولأتباعه انتهاك حرمة المسجد الحرام وحرمة

المسلمين وحمل السلاح عليهم بغير حق، وكيف يجوز له الخروج على دولة قائمة قد اجتمعت على رجل واحد وأعطته البيعة الشرعية فيشق عصاها ويفرق جمعها، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه: «من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه كائنا من كان» خرجه مسلم في صحيحه، ولما بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بايعهم على أن لا ينازعوا الأمر أهله، وقال: «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان» وهذه الدولة بحمد الله لم يصدر منها ما يوجب الخروج عليها، وإنما الذي يستبيح الخروج على الدولة بالمعاصي هم الخوارج الذين يكفرون المسلمين بالذنوب، ويقاتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان، وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: «إنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية وقال: أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة» متفق عليه.

والأحاديث في شأنهم كثيرة معلومة، وقد قال النبي: «من رأى من أميره شيئا من معصية لله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة فإن من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية» وقال عليه الصلاة والسلام في حديث الحارث الأشعري: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: الجهاد، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع» والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وقد صدر من علماء المملكة فتوى في هذه الحادثة والقائمين بها، وأنا من جملتهم، وقد نشرت في الصحف المحلية، وأذيعت بواسطة الإذاعة المرئية والمسموعة.

المصدر: <http://www.assakina.com/center/files/5421.html>.

نهاية الملحق الرقم (٥)

الملحق الرقم (٦)

برقيات دبلوماسية أمريكية عن حادثة الحرم المكي

المصدر: مواقع على الإنترنت مهتمة بدراسة تيار الإسلام السياسي الراديكالي.

عثرت على مجموعة من الوثائق الدبلوماسية الأمريكية عن حادثة الحرم المكي على بعض المواقع على الإنترنت. وهذه الوثائق ليست مسربة مثل ويكيليكس، بل كانت وزارة الخارجية الأمريكية قد رفعت السرية (Declassified) عنها بعد مرور المدة القانونية بحسب قانون حرية الحصول على المعلومات (Freedom of Information Act)، بطلب من بعض الهيئات المهتمة بدراسة حركات الإسلام السياسي الراديكالي.

حصلت على هذه الوثائق معروضة بشكلها الأصلي بالإنكليزية (صفحة من حجم إيه ٤ (A4) بحروف كابيتال ومليئة بالرموز والشفرات الدبلوماسية). هناك مراكز تطلب دفع رسوم لقراءة الوثائق ومراكز تبيعها بصورة ورقية. اشتريت ٣٥ وثيقة، وقمت بترجمة المحتوى من دون الرموز والشفرات الدبلوماسية وقائمة المراجع.

وعلى الرغم من رفع السرية عن تلك الوثائق، إلا أن وزارة الخارجية الأمريكية قررت إبقاء بعض المعلومات سرية، حيث سيلاحظ القارئ كلمات أو عبارات أو فقرات مطموسة أو ممسوحة، رمزت لها بقوسين داخلهما نقاط، كذا (. . .). وجميع الوثائق عبارة عن برقيات صادرة عن سفارات أو قنصليات أمريكية ومرسلة إلى وزير الخارجية الأمريكي أو بالعكس. ونظراً إلى أن جميع الوثائق هي برقيات، والبرقيات ذات طابع اختزالي، فسوف

يشعر القارئ بوجود شيء من عدم السلاسة في الترجمة العربية لأنني حافظت على سمة الوثيقة الأصلية ولم أتدخل لتطوير وتحسين أسلوب التعبير الاختزالي.

تقدّم الوثائق معلومات مهمة عن رؤية ورد فعل الولايات المتحدة على حادثة مكة، ولاحظت التالي:

(١) وقوع عملية تعتيم معلوماتية نتج منها عدم وصول معلومات واضحة إلى السفارة الأمريكية في جدّة عن تفاصيل الحادثة وطريقة معالجتها. وبالتالي قامت السفارة بالاستفادة من الموظفين الأمريكان في السعودية (وبخاصة في المستشفيات والدفاع المدني) للحصول على معلومات غير مباشرة وبالتالي محاولة تحليلها وتفسيرها لمعرفة تفاصيل عن الحادثة.

(٢) وجود الكثير من المعلومات المغلوطة والمتناقضة في البرقيات.

(٣) اهتمام ومتابعة وتحليل السفارة الأمريكية في جدة لما تنشره الصحف السعودية بصورة دقيقة.

(٤) ذعر الحكومة الأمريكية من تبعات حادثة مكة وتفكيرها في سحب مواطنيها من السعودية خوفاً من تكرار حادثة احتجاز الرهائن في السفارة الأمريكية في طهران.

(٥) قلق القنصلية الأمريكية في الظهران الشديد، من الاضطرابات الشيعية في المنطقة الشرقية.

(٦) وجود شكوك وتخمينات متكررة حول احتمال تورط جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الماركسية (اليمن الجنوبي) في حادثة مكة.

(٧) عدم معرفة السفارة الأمريكية بطريقة اقتحام القبو بمساعدة استشارية من فرقة فرنسية خاصة.

وفيما يلي جدول البرقيات، وتليه ترجمة نصوص البرقيات الـ ٣٥ مسلسلة بحسب تاريخ صدورها، وتليها صور فوتوغرافية لثلاث برقيات:

جدول البرقيات

رقم	التاريخ	برقية صادرة من	الموضوع
١	٢٠ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	بلاغ عن اقتحام المسجد الحرام
٢	٢١ نوفمبر ١٩٧٩	القنصلية الأمريكية بالظهران	مزاج شيعة السعودية
٣	٢١ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	معلومات عن اقتحام المسجد الحرام
٤	٢١ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	السلطات السعودية تستعد لاستخدام القوة
٥	٢١ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	معلومات هامة من الوزير زكي يماني
٦	٢١ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية في الكويت	تهييج إيراني لشيعة الكويت في مكة
٧	٢٢ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	طلب نفي واضح لتورط أمريكا
٨	٢٢ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	معلومات من ضابط الاتصال العسكري الأمريكي
٩	٢٢ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	معلومات من طيارين أمريكيين
١٠	٢٢ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بعمّان	تخطيط الطوارئ المشترك
١١	٢٣ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بالقاهرة	نظرية حسني مبارك
١٢	٢٣ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية في دمشق	سورية تتهم أمريكا بالتورط في حادثة الحرم المكي
١٣	٢٤ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	تحديث معلومات
١٤	٢٤ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية في جدة	الهجوم لتحرير الحرم
١٥	٢٥ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية في جدة	خبر عن تحرير الحرم
١٦	٢٦ نوفمبر ١٩٧٩	القنصلية الأمريكية بالظهران	تصاعد التوتر بين الشيعة في الشرقية
١٧	٢٧ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بالقاهرة	رسالة من حسني مبارك إلى الأمير فهد عبر سفير أمريكا بجدة
١٨	٢٧ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية في جدة	خبر عن تحرير الحرم ولجوء المتمردين إلى القبو
١٩	٢٨ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بالرباط	عرض المغرب المساعدة في إنهاء التمرد في مكة

يتبع

تابـع

٢٠	٢٨ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	(. . .) يستعرض استجواب الأسرى ورد فعل آل سعود على الأزمة
٢١	٢٨ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	التغطية الصحفية وزيارات قادة العرب
٢٢	٢٩ نوفمبر ١٩٧٩	وزير الخارجية الأمريكي	اقتراح لإجلاء الأمريكيين من السعودية
٢٣	٢٩ نوفمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بالكويت	وصف أيديولوجية جهيمان من صحف الكويت
٢٤	١ ديسمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	غموض وشكوك وشائعات
٢٥	٢ ديسمبر ١٩٧٩	القنصلية الأمريكية بالظهران	عودة الهدوء في المدن الشيعية في المنطقة الشرقية للشيعة بعد اشتباكات
٢٦	٢ ديسمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية في عمّان	آراء الملك حسين عن حادثة مكة
٢٧	٤ ديسمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	خبر عن هروب جهيمان
٢٨	٦ ديسمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	مداهمة القبو النهائية وتعليق على أرقام الخسائر المعلنة
٢٩	٨ ديسمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	طلب تدخل الخارجية للسؤال عن مصير اثنين من الأمريكيين المفقودين في مكة
٣٠	٩ ديسمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	نهاية الأزمة وصلاة الملك في الحرم
٣١	٩ ديسمبر ١٩٧٩	القنصلية الأمريكية بالظهران	رسائل معادية لأمريكا تصل لبعض موظفي أرامكو
٣٢	١١ ديسمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة (برقية غير كاملة)	مواجهة سابقة بين كبار العلماء والجماعة وتأييد بعض العلماء لزيادة التشدد
٣٣	١٦ ديسمبر ١٩٧٩	السفارة الأمريكية بجدة	احتمال اتهام اليمن الجنوبي
٣٤	٣ فبراير ١٩٨٠	السفارة الأمريكية بجدة	التقييم السنوي للسفير لعام ١٩٧٩
٣٥	٤ فبراير ١٩٨٠	السفارة الأمريكية بجدة	تحليل لحادثة مكة وشروط الإستقرار وتوقعات مستقبلية

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ١

التاريخ: ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: بلاغ عن اقتحام المسجد الحرام في مكة.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكية ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّيّ ـ النص بأكمله).

٢. أُبلغت السفارة من القائد العسكري للمنطقة الغربية أن المسجد الحرام ما يزال محتلاً من قبل مقتحمين دخلاء. مكتب وزير الداخلية أبلغنا أن الأمير نايف موجود في مكان الحادث. السفارة الإيرانية لا تعرف إذا كان هناك إيرانيون متورطون في الحادث، ولكنهم قالوا لنا إنهم سيحققون في الأمر وسيبلغوننا بما يكتشفونه.

٣. أبلغتنا السفارتان الدانمركية والبريطانية أن جميع خدمات الهاتف والبرقيات إلى خارج المملكة قد تم قطعها. واختبرنا هذا من خلال محاولة عمل مكالمة هاتفية مع الولايات المتحدة، وأُخبرنا بالأمر نفسه. نظن أن الحكومة قطعت الاتصالات لمنع وصول القصة لوكالات الأنباء حتى يتم حل قضية مكة.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ١

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٢

التاريخ: ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: مزاج شيعة السعودية.

من: القنصلية الأمريكية في الظهران.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: السفارة الأمريكية في جدة.

١. (سرّيّ ـ النص بأكمله).

٢. إننا نحصل على قراءات مختلفة عن المزاج الحالي لشيعة السعودية في المنطقة الشرقية (١٢٥ ألف نسمة). موظفو القنصلية من شيعة القطيف حضروا للعمل كالمعتاد اليوم، على الرغم من التعب الواضح عليهم من شعائر الليل الدينية التي تميز شهر محرم لهذه الطائفة. أرامكو تقول إنه ليس هناك غياب غير عادي عن العمل ولا مشكلات أخرى للعمال. واليوم أيضاً أكد رئيس مديرية الاستخبارات العامة في المنطقة الشرقية أن جميع «مثيري الشغب» الشيعة في القطيف قد اعتقلوا أو هم في طريقهم للاعتقال.

٣. ومن جهة أخرى، علم رئيس قطاع الأمن في أرامكو، من مصدر شيعي موثوق به داخل الشركة، أن قوة العمل الشيعية في أرامكو تعرضت للتحريض لمطاردة الأمريكان في منطقة رأس تنورة الحساسة خارج المصفاة. وعلم أيضاً من المصدر الشيعي نفسه أن اجتماعات جرت في القطيف وسيهات (مدينتان شمال القنصلية)، حيث تم التعبير عن مشاعر

مماثلة. العداء لأميركا عند شيعة السعودية هو ظاهرة جديدة نتجت من رد فعل سلبي على عودة الشاه إلى الولايات المتحدة. وقال المصدر الشيعي نفسه، إن مشاعر الشيعة هنا من المحتمل أن تبلغ الذروة في ٧ و٨ و٩ محرم (٢٦، ٢٧، ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر)، وحذر من أنه قد تقع اضطرابات خلال هذه الفترة.

٤. في ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر، استطاع موظف في القنصلية التقاط بث التلفزيون الإيراني لأول مرة. البرنامج الذي كان بالفارسية تضمن خطاباً للخميني وذلك يشير إلى أن الإيرانيين اتخذوا خطوات لتعزيز قدرتهم على البث التلفزيوني ليصل عبر الخليج إلى شيعة السعودية في القطيف وجزيرة تاروت.

٥. القنصلية تحصل على دعم أمني ممتاز من جميع السلطات الأمنية السعودية، بما في ذلك دائرة الاستخبارات العامة والحرس الوطني والشرطة. بعد الإحراج في مكة، لا شك أنهم يرغبون في تجنب حالات فشل أمني مماثلة.

القنصل العام ليندستروم

انتهت البرقية الرقم ٢

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٣

التاريخ: ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: معلومات عن اقتحام المسجد الحرام.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران.

١. (سرّيّ ـ النص بأكمله).

٢. موجز: يستمر احتلال المسجد الحرام في مكة من قبل أشخاص غير معروفين حتى الآن. الحكومة أغلقت مكة. الحدود الشمالية مغلقة لغير السعوديين. يبدو أن الحكومة تستعد لطرد المقتحمين من المسجد بالقوة إذا لزم الأمر. السفارة شددت أمنها. جدة لا تزال طبيعية. انتهى الموجز.

٣. السفارة مستمرة في استلام معلومات ـ بعضها متعارضة ـ بخصوص احتلال المسجد الحرام في مكة. ولا يزال من غير المعروف على وجه اليقين من يحتل المسجد. وبالرغم من أن المقتحمين يبدون مسلحين جيداً، فقد تلقّينا تقارير تشير إلى أن المحتلين يمكن أن يكونوا من إيران أو اليمن، على الرغم من أن بعض التقارير الواردة من مصادر سعودية تؤكد أن المحتلين رجال قبائل سعوديين يساندون مجموعة غير معروفة من الأصوليين الإسلاميين.

٤. أحدث تصوّر لما جرى وصلنا من موظف سعودي في السفارة عبر صديق له، قال إنه كان في المسجد الحرام وقت الاقتحام. وبحسب هذا المخبر الذي يقول إنه تمكّن من الفرار من المسجد، فقد قام عدد من

المصلين المسلحين بإقفال أبواب المسجد بعد صلاة الفجر في وقت مبكر (٥:١٨ محلياً) وأعلنوا للحشود الموجودة باللغة العربية: «مكة والمدينة وجدة أصبحت الآن تحت سيطرتنا». ثم مُنع الطواف حول الكعبة لمدة ساعتين، ولكن سُمح به لاحقاً. ثم حدث تبادل إطلاق النار مع رجال الأمن السعوديين، وأفاد الشخص عن مقتل ٥ ـ ٧ رجال أمن. وأيضاً أصيب بعض الحجاج بجروح.

٥. وفي تقرير آخر، ذكر طيّاران أمريكيان اثنان (متعاقدان بصورة شخصية لقيادة طائرات هليكوبتر تابعة للدفاع المدني السعودي) بأنهما حلّقا بهليكوبتر الدفاع المدني السعودي فوق مكة، وأشارا في المساء بأنه تم إيقاظهما في جدة الساعة ٦:٣٠ صباحاً وأُعطيا تعليمات بالتوجه فوراً إلى مدرج قرب مكة حيث قابلا ضابطي استخبارات. وبحسب تعليمات الضابطين، حلّقت الهليكوبتر على ارتفاع منخفض فوق مكة في جوار المسجد الحرام حوالى الساعة ٩:٠٠. ومن النظرة الأولى إلى المسجد الحرام، كان كل شيء يبدو طبيعياً. وفي تأكيد واضح لما ورد في الفقرة ٤، شوهد حوالى ١,٠٠٠ شخص يطوفون حول الكعبة، وكانت حركة المرور معتدلة في الشوارع المحيطة بالمسجد نفسه. ولكن كانت قوات الأمن السعودية موجودة بأعداد كبيرة متخذة مواقع في الشوارع وفوق أسطح المنازل المحيطة بالمسجد.

٦. وفي حوالى الساعة ١١:٤٥ محلياً، ذكر الطياران أنهما قاما بتحليق منخفض آخر فوق المسجد بحسب أوامر الضباط السعوديين المصاحبين لهما. ولاحظا أن عدد الناس في باحة المسجد تضاءل إلى مائة أو مائتين فقط، على الرغم من أنه بدا وجود مجموعة كبيرة من الناس تحت المناطق المظللة في أحد جوانب صحن المسجد. وعندما طارت الهليكوبتر إلى شمال شرق المسجد، سمعت ثلاث طلقات بندقية بوضوح. قال الطياران إنهما ظنّا أنهما كانا هدف تلك الطلقات ولذلك زادا الارتفاع فوراً. الطياران قالا إن الحالة في المسجد في أعقاب هذه الطلقات تغيرت بصورة ملحوظة. وتم فوراً إخلاء المرور في المنطقة، ووضعت الحواجز في الشوارع المحيطة بالمسجد فوراً. ولأول مرة خلال تحليقهما المنخفض عدة مرات فوق المسجد، بدا صحن المسجد خالياً من الناس. الطياران قالا إن القائد

السعودي لسرب طائرات الهليكوبتر قال لهما إن المسجد قد احتُلّ من قِبَل «إيرانيين»، وإن قوى الأمن ستخرجهم. وذكر الضابط السعودي أن حادثة عنف مسلح وقعت بعد صلاة الفجر، وتلاها احتلال المسجد ولا يزال مستمراً، وهذا سبب الحاجة لتحليق الهليكوبتر فوق مكة.

٧. ذكرت مصادر موثوق بها في وقت متأخر من بعد ظهر اليوم، أنه تم تبادل إطلاق نار متقطع مع الجماعة التي تحتل المسجد. هذه المصادر تقدر أن حوالى ٣٠٠ شخص يحتلون المسجد مع ١٠٠ شخص موجودين في المبنى سابقاً. ويبدو أن المحتلين طالبوا عند نقطةٍ ما هذا الصباح أن يتمّ منحهم السيطرة على راديو مكة. وقد تم الآن إغلاق الحدود السعودية مع الأردن والعراق والكويت لغير السعوديين. ولكن الخطوط الجوية السعودية لم توقف جدولها للرحلات، على الرغم من وضع قوات الاحتياط والمعدات في وضع الاستعداد.

٨. ذكرت مصادر أن قوات الأمن الخاصة بموجب توجيه وزارة الداخلية بدلاً من رجال الحرس الوطني أُمروا باستعادة النظام بالقوة إذا لزم الأمر. وعلمنا عن وجود كبير لحركة طيران عسكري (ناقلات سي - ١٣٠) في كل من جدة والرياض، وتم تشديد الأمن في المرافق العسكرية كافة. إضافة إلى ذلك، وضعت المستشفيات العسكرية في جدة والرياض على أعلى درجات الاستعداد. طيارا الهليكوبتر الأمريكيان يؤكدان أن كلاً من وزير الدفاع الأمير سلطان ووزير الداخلية الأمير نايف موجودان في مكة منذ ساعات الصباح الباكر. مدير الاستخبارات العامة الأمير تركي الفيصل يعود الآن من تونس.

٩. تم تعزيز وحدة الحرس الوطني السعودي التي تحرس مجمع السفارة. كما اتخذت السفارة أيضاً تدابير أخرى لتعزيز الأمن داخلياً وحذرت جميع العاملين بعدم عمل تحركات لا داعي لها. الوضع في جدة لا يزال طبيعيا.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٣

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٤

التاريخ: ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: السلطات السعودية تستعدّ لاستخدام القوّة.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. الموجز: يبدو أن احتلال المسجد الحرام في مكة لا يزال مستمراً حتى الساعة ١٥:٠٠ بالتوقيت المحلي، ولكن هناك دلائل على أن السلطات السعودية تستعد لاستخدام القوة. وتم تعزيز الإجراءات الأمنية حول جدة التي تبدو هادئة للغاية. انتهى الموجز.

٣. أصدرت وزارة الداخلية السعودية في ساعة مبكرة من صباح ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر، بياناً بشأن احتلال الحرم المكي، وتمّ بثّه عبر الإذاعة ونشر في صحيفة **عكاظ** (بالعربية). السفارة ترجمته كما يلي. بداية النص: «قامت مجموعة مسلحة من الخوارج المتمردين ضد الإسلام بالتسلل إلى الحرم المكي وقت صلاة فجر أمس. ثم قدّموا أحدهم إلى المصلّين مدّعين بأنه هو المهدي المنتظر ودعوهم تحت تهديد السلاح إلى مبايعته على هذا الأساس. وقد طلبت السلطات السعودية من علماء الدين آراءهم بشأن التدابير الواجب اتخاذها لحماية المسلمين في المسجد. وسيصدر لاحقاً بيان آخر يوضح التطورات الجديدة في هذا الحادث» نهاية النص.

٤. وقالت مصادر في قسم العمليات في مطار جدة صباح اليوم (٢١

تشرين الثاني/ نوفمبر) إن جميع الرحلات التجارية ما زالت مستمرة كما هو مقرر، وتم تعزيز الأمن. ولكن معظم طائرات الشركات في جدة بقيت على الأرض بسبب إغلاق منطقة الخدمة.

٥. المستشفيات في المنطقة لا تزال تحت حالة الاستعداد الطبي. وقال كبير الأطباء في المستشفى العسكري في جدة للأطباء بأن يتوقعوا وصول إصابات عديدة بعد الظهر أو في وقت مبكر من المساء. وتم إخراج جميع المرضى من ذوي الحالات غير الحرجة من المستشفى. وأخبرنا قائد عسكري رفيع ومطّلع بأنه سيتم إنهاء التمرد مع الغروب.

٦. في صباح ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر، قام الضابط السياسي والملحق الجوي مجدداً باستجواب الطيارَين الأمريكيَّين الاثنين [المتعاقدين بصورة شخصية لقيادة طائرات هليكوبتر تابعة للدفاع المدني السعودي] اللذين قاما بطلعات استطلاع فوق المسجد الحرام في مكة. الطياران قالا إنهما قاما بثلاث طلعات مسائية فوق المسجد الحرام في مكة في ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، وطلعة جوية واحدة صباح يوم ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر. وأشارا إلى أن طائرتهما جذبت إطلاق نار كثيف (بما في ذلك رصاص خطّاط)(*) من مواقع في مئذنتي المسجد، وقالا إنه يبدو أن المحتلين يمتلكون ما لا يقلّ عن مدفع رشاش واحد (عيار: ٥٠.). وقالا أيضاً إن المحتلين للمسجد يبدون منظمين جيداً ويحركون باستمرار مواقع بنادقهم ـ حتى في المآذن ـ من أجل عرقلة أي إطلاق نار مضادّ.

٧. خلال مساء يوم ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، أظلم المسجد تماماً، وهو أمر بحسب زملاء سعوديين للطيارين لم يحدث من قبل. قنّاصة المآذن كانوا مرة أخرى موجودين في المآذن ومواقع غيرها حول محيط المسجد خلال طلعاتهما الجوية فوق المبنى في ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر عند

(*) خطّاط: أي تريسر (TRACER) كما في نص البرقية. وهي طلقة تقتص الأثر وتترك ذيل دخاني مضيء وتسمى أيضا ذخيرة كاشفة/ مقتفية/ متتبعة. وفي العادة يتم تحميلها لتكون الطلقة الخامسة في حزام المدفع الرشاش، ويشار إليها بالإنكليزية بـ(فور ـ تو ـ ون ـ تريسر) حيث تتيح هذه الذخيرة لمطلق النار متابعة مسار المقذوف المضيء نحو الهدف من أجل إجراء تصحيحات في التصويب لتحسين التسديد نحو الهدف في الطلقات التالية. ومثل هذه الذخيرة النوعية قد لا تتوفر في السوق السوداء بل في الأجهزة النظامية. (المترجم)

الساعة ٧:٠٠ (توقيت محلي). الطياران ذكرا أن ثلاثة مبانٍ تتكون من ٨ ـ ١٠ طوابق مقابل المسجد شهدت إطلاق نار على الرغم من أنه لم يكن واضحاً كيف بدأ ذلك. وقال الطياران أيضاً إنه لأول مرة منذ احتلال المسجد قامت طائرتان سعوديتان مقاتلتان من طراز F-5 إس [F-5S] بست طلعات على ارتفاع منخفض فوق المسجد. لم تطلق أي نيران، على الرغم من أن الطائرات مزوّدة بمدفع ٢٠ ملم.

٨. في إشارة إلى معلومات قدمت لهما من ضباط سعوديين في مكة، ذكر الطياران أن هؤلاء الضباط أكدوا مقتل إمام المسجد بعد فترة وجيزة من الحصار عقب صلاة الصباح الباكر في ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر. وفي حادث منفصل، ذكر الضباط للطيارين بأنه قد قتل عميد وعقيد ولواء سعوديون ظهر يوم ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، بعدما فُتح فجأة أحد أبواب المسجد لبرهة، وأطلق المتمردون وابلاً من الرصاص ليقتل على الفور هؤلاء الضباط الذين كانوا واقفين في الخارج. وتم فوراً فتح الشوارع التي حول المسجد. ولكن يبدو أن الجثث لم تُستَعَدْ.

٩. وتأكيداً للتقارير الأخرى التي تلقيناها، قال الضباط للطيارين إن الأسلحة تم تهريبها إلى المسجد مساء ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر على متن شاحنتين على أساس أنها لوازم ومعدّات تحتاجها أعمال التجديدات في داخل المسجد.

١٠. وتم تعزيز الإجراءات الأمنية في جميع الوزارات. ليست هناك دلائل لاضطراب في جدة أو الرياض. وأبلغ مصدر رفيع الصلة بالأسرة المالكة السفارة، أنه كان هناك حادث في المدينة متزامن مع احتلال المسجد الحرام، ولكنه قمع بسرعة والوضع هناك طبيعي الآن. مصادر أخرى أفادتنا أيضاً أن المدينة هادئة.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٤

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٥

التاريخ: ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: معلومات هامة من الوزير أحمد زكي يماني عن اقتحام المسجد الحرام في مكة.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. موجز: تم الاستيلاء على المسجد الحرام في مكة من قبل متعصبين دينيين سعوديين بقيادة محمد عبد الله، ٢٦ عاماً، وهو ينتمي إلى قبيلة عتيبة. لديه حوالى ٣٠٠ شخص مسلّحين جيداً، وقد قبضت السلطات السعودية على ١٣ متمرداً، وتضمّ المجموعة باكستانياً واحداً. لا يوجد أي تقرير عن علاقة مباشرة مع إيران. محمد وأتباعه ينفون أي تأثير للخميني على أفعالهم. ولا يزال هناك عدة آلاف من الحجاج في المسجد على الرغم من حقيقة أن قوات محمد سمحت بمغادرة حوالى ٥,٠٠٠ شخص مساء أمس (٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر). إضافة إلى ذلك، هرب العديد. السلطات السعودية في هذا الوقت لا تعتبر هذا الاستيلاء ذا أهمية سياسية كبيرة على الرغم من أنهم يتفاعلون بقوة ليكونوا مستعدين لأي احتمال. القتال بين قوات الأمن المحيطة بالمسجد والمتمردين كان ضارياً وبخاصة الليلة الماضية، ولكن اليوم يبدو أنه قد هدأ نوعاً ما في الواحدة بالتوقيت المحلي. انتهى الموجز.

٣. استطعت الحصول على قصة متكاملة من وزير مطّلع على الحدث في الحكومة بخصوص الأحداث المتعلقة بالاستيلاء على المسجد الحرام في مكة. وقال الوزير إنه بعد صلاة الفجر مباشرة، قام شاب يدعى محمد

عبد الله مع بعض أتباعه.وعددهم يتراوح بين ٢٠٠ إلى ٥٠٠، بالاستيلاء على المسجد الحرام.

٤. وبحسب الوزير، هناك أهمية دينية خاصة تتعلق بهذا الاستيلاء في هذا الوقت. وكما شرح لي، يعتقد المسلمون عموماً أنه ستكون هناك عودة ثانية للمسيح، ويعتقد البعض أنه سيكون هناك مسيح مزيّف يسبق المسيح الحقيقي. وهناك آخرون يعتقدون أن مهدياً سوف يظهر كمقدمة لهذين الحدثين. وعلى الرغم من عدم ورود ذلك بشكل موضّح في القرآن، فإن الاعتقاد الديني التقليدي هو أن المهدي سوف يظهر في اليوم الأول من القرن الجديد في مكة وأنه سيبقى في مكة لفترة، ثم يختفي لاحقاً ليعاود الظهور في المدينة.

٥. محمد عبد الله، معروف جيداً للسلطات السعودية. عمره ٢٦ سنة ويتمتع بمظهر وشخصية مؤثرتين ومهيبتين. درس الشريعة الإسلامية بإحدى الكليات في الرياض لمدة ثلاث سنوات تقريباً ولكن لم يُتِمَّ دراسته. سجن لمدة أربعة أشهر تقريباً بسبب نشاطات معادية للحكومة. وعندما أُطلق سراحه، ذهب إلى قبيلته في الجنوب.

٦. بعد صلاة الفجر يوم ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، ظهر في المسجد الحرام وقال للإمام إنه المهدي. ثم تولّى أتباعه السيطرة، ووضعوا حارسين عند كل من الأبواب الـ ٢٦ للمسجد. وفي وقت سابق، كانوا قد تمكنوا من إدخال شاحنات محملة بالأسلحة والتمر كطعام. وبعد هذا الاستيلاء، أرسل مقاتلين مسلحين إلى سطح المسجد وإلى المآذن. وأوضح الوزير أن العرف الإسلامي في رأس السنة الهجرية هو الذهاب لصلاة الفجر، ثم زيارة أفراد الأسرة المسنين في المنطقة المحيطة بالمسجد. وهكذا كان هناك عدة آلاف (قدرهم الوزير بـ ٤٠ ـ ٥٠ ألفاً) من الناس في المسجد في ذلك الوقت. وبعد الاستيلاء تناقش بعض المصلين مع محمد وأتباعه. وسأل أحدهم إذا ما تم استلهام هذه الإجراءات من قبل الإيرانيين. رد محمد بازدراء وبشدة قائلاً: «كلا». وأضاف أحد أتباعه أن الإيرانيين ليسوا مسلمين حقيقيين وليس لهم علاقة بهذا العمل. ويعتقد الوزير أن هذه الإجابات كانت صادقة، وأن هؤلاء الأفراد البسطاء يفتقدون القدرة على التضليل.

٧. الوزير عنده اهتمام شخصي بهذا الحادث لأن نحو ٤٥ من أفراد عائلته هم من بين المحتجزين في المسجد. وقال إنه يتلقى مكالمات هاتفية

كل ١٥ دقيقة من الأشخاص المتمركزين في المنازل حول المسجد. وأضاف إنه سمع صوت إطلاق النار بينما كان يتحدث على الهاتف وإطلاق النار بلغ ذروته مساء أمس، ولكن الوضع الآن أكثر هدوءاً. وقد أتى اثنان من الأشخاص الذين فروا من المسجد إلى بيت الوزير. وكان أحدهما موجوداً خلال الاجتماع ولكنني لم أتحدث معه. وأضاف الوزير أن المحتجزين لم يتعرضوا للتهديد أو سوء المعاملة، لكن المشكلة الكبرى هي عدم وجود مرافق الصرف الصحي التي قال إنها غير متوفرة في المسجد.

٨. وقال الوزير إن ١٣ من المقتحمين قبض عليهم مساء أمس، وكان أحدهم باكستانياً. وكان الباقون ربما من أفراد قبيلة عتيبة. ووفقاً للأشخاص الذين كانوا هناك، فقد كان هناك عدد قليل من غير السعوديين ضمن المقتحمين، ولكن الغالبية العظمى كانت من قبيلة عتيبة وبعض الأشخاص من وادي الدواسر.

٩. الوزير لا يعتقد أن الحدث له أهمية سياسية عظيمة، على الرغم من أنه قال إنه لم تسنح له الفرصة لتقييم الآثار الكاملة. وأشار إلى أن أعضاء قبيلة عتيبة أصوليون مسلمون قويون للغاية ويفتقرون إلى زعامة حصيفة قادرة لترجمة مبادئهم الدينية للإطاحة بالحكومة المدنية.

١٠. وقال الوزير إنه سمع عن اضطرابات في **المدينة**، ولكنه ذكر أنه اتصل بالعديد من الأشخاص الذين صلّوا في المسجد طوال يوم ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، وأكدوا عدم وقوع أي حوادث. وقال إنه إذا كانت هناك أي محاولة لعمل اضطرابات، فإن الشرطة قد تكون أوقفت مثيري الشغب قبل أن يتمكنوا من دخول المسجد. (وبشكل منفصل، حصلنا على العديد من التقارير، المتّسقة مع بعضها البعض على ما يبدو، عن بعض الاضطرابات البسيطة في **المدينة** في ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر).

١١. سألت الوزير عن رأيه في نتائج الحادث، وأجاب بهدوء إلى حد ما: «عاجلاً أو آجلاً سيتمّ القبض عليهم وقطع رؤوسهم».

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٥

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٦

التاريخ: ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: تهييج إيراني لشيعة الكويت في مكة.

من: السفارة الأمريكية في الكويت.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي - واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران، السفارة الأمريكية في جدة.

مراجع: ....

١. موجز: مثل القنصلية في الظهران، علمنا أن شيعة الكويت الذين أدّوا الحج الشهر الماضي تعرّضوا لتهييج وبروباغاندا ضخمة من حجاج إيرانيين مؤيدين للخميني والثورة الإيرانية. وسمعنا من راديو قطر، خبراً يزعم أن الإمام الثاني عشر للشيعة هو من ضمن الذين احتلوا المسجد الحرام، ولكننا لسنا، نكرر لسنا، بمتأكدين أن الإيرانيين متورطون في اقتحام الحرم. الصحافة الكويتية تنشر معلومات قليلة عن اقتحام المسجد الحرام واحتجاز رهائن هناك. لم يتشكل رأي وتحليل قويّ هنا عن الحادثة، وليس هناك بيانات رسمية. إحدى الصحف ذات التوجه اليساري، ادّعت أن المتحدث باسم الخارجية الأمريكية أعلن بسرعة عن الحادثة لإفساد القمة العربية في تونس ومنعها من إصدار قرارات محددة لصالح الأمة العربية. وأدى التهييج الإيراني لشيعة الكويت مؤخراً إلى زيادة هائلة لطلباتهم لعقد تجمّعات دينية هنا. انتهى الموجز.

٢. مثل القنصلية في الظهران (مرجع آي)، علمت السفارة أن شيعة

الكويت الذين قاموا بالحج الشهر الماضي تعرضوا لبروباغاندا إيرانية ضخمة من الحجاج الإيرانيين الذين ألقوا محاضرات في مكة لترويج أفكار الثورة الإيرانية. وبحسب مصادر في وزارة الداخلية، فإن بعض العناصر الشيعية الكويتية تم إقناعها عبر هذه البروباغاندا لتصبح أكثر تعاطفاً مع الثورة الإيرانية. ونتيجة لهذا، علمنا من السلطات الأمنية هنا أن عدداً من الشيعة أكثر بكثير من المعتاد يطالبون بعقد اجتماعات في منازلهم أو في «الحسينيات» خلال محرم، وهو شهر مقدس عندهم، ويبدأ يوم ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر. وزارة الداخلية تأخذ الحيطة تجاه هذه الطلبات.

٣. أيضاً سمعنا أن رجال الأمن السعوديين اشتبكوا بعنف مع بعض الحجاج الإيرانيين بسبب هذا التهييج. وعند الحدود، أخذت صور وكاسيتات الخميني منهم.

٤. نشرت الصحافة الكويتية في ٢٠ ـ ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر، معلومات قليلة جداً عن حادثة مكة. إحدى الصحف المتعاطفة مع اليسار الفلسطيني وهي صحيفة القبس، قالت إن مجموعة من المرتزقة اقتحموا المسجد الحرام في مكة ويحتجزون رهائن (مرجع دي). الصحيفة تواصل: أن مصادر سعودية في القمة العربية في تونس تزعم أن ولي العهد السعودي فهد، أمر قوات الأمن بالقضاء على هؤلاء المرتزقة. وقالت الصحيفة إن المتحدث باسم الخارجية الأمريكية أعلن بسرعة عن الحادثة لإفساد القمة العربية في تونس ومنعها من إصدار قرارات محددة لصالح الأمة العربية. (تعليق السفارة: في هذا الوقت، لا ننوي أن نرفع من قدر صحيفة القبس بإعلان نفي من هنا).

٥. تعليق: لا يوجد لدينا أية معلومات من مصدر مستقل عن هوية ودوافع أو طلبات المتمردين الذين احتلوا المسجد. حتى الآن لم يتبلور أي رأي أو تحليل عميق في الكويت عن الحادثة، ولم يصدر بيان عن الحكومة؛ ولكن راديو الكويت أذاع في نشرة أخبار الواحدة ظهراً نقلاً عن مصدر سعودي رفيع، أن الوضع في مكة تحت السيطرة وفي حكم المنتهي. الحادثة وصفت في بيان سعودي بأنها «تمرد من عناصر أصولية».

٦. تعليق آخر: راديو الكويت لم يذع بياناً لوزير الداخلية السعودي الأمير نايف (سمعناه هنا عبر راديو قطر الساعة ٥:٠٠ بتوقيت غرينتش)، أن المتمردين زعموا أن بينهم الإمام الثاني عشر للشيعة (المهدي المنتظر). لا يوجد إشارة في هذا البيان عن موطن الشيعة الذين يحتمل تورّطهم (السعودية، إيران، اليمن، إلخ.). ونظراً إلى أن السعودية مسؤولة عن الأماكن المقدسة، نتوقع أن تتبع حكومة الكويت ما تعلنه السعودية عن الحادثة. ولانعقاد القمة العربية في تونس الآن، فقد يصدر بيان كويتي من هناك.

السفير ديكمان

انتهت البرقية الرقم ٦

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٧

التاريخ: ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: لقاء مع الوزير أحمد زكي يماني لطلب صدور بيان سعودي واضح ينفي تورط الولايات المتحدة في حادثة المسجد الحرام.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. التقيت مع الوزير أحمد زكي يماني صباح اليوم لمناقشة ضرورة وجود بيان سعودي أقوى ينفي تورّط الولايات المتحدة في حادثة المسجد الحرام. نحن نسعى إلى تحقيق هذا الهدف بعدة طرق: (١) محاولات للوصول إلى وزير الإعلام [محمد عبده] يماني، و(٢) مجهودات المستشار الإعلامي الخاص بالسفارة [عيسى خليل] صبّاغ للاتصال بولي العهد الأمير فهد في تونس.

٣. أعطيت يماني نسخة من اتهام الخميني الأصلي وحللنا معاً بيان الأربعاء السعودي بعدم وجود تورط أجنبي كما ورد في الصحافة صباح اليوم. ووافق يماني أنه من المحتمل ألا يكون البيان السعودي كافياً وبخاصة لأنه أشار إلى وجود «جنسيات أجنبية» ضمن المقتحمين من دون تحديد الدول أو الحكومات. وذكر أنه قد استمع للتّو لبيان آخر للدكتور [محمد عبده] يماني في نشرة أخبار الـ ١١:٠٠ (٨:٠٠ بتوقيت غرينتش) والتي كان فيها أكثر تحديداً بقليل، ولكنه لا يقدم دحضاً كافياً بحسب ما تراه الولايات المتحدة ضرورياً.

٤. أشار يماني إلى تردد الحكومة لإصدار بيان عن الجهة المتورطة قبل تأمين المسجد والقبض على المقتحمين. وقال إنه في حالة عدم إكمال التحقيق، فإن مثل هذا البيان يعتبر تخميناً. أجبته بالقول إن الخميني كرر اتهامه بعدما تم بث البيان السعودي ليلة أمس، وهذا يضع حياة المواطنين والدبلوماسيين الأمريكيين في خطر في أنحاء العالم الإسلامي كافة. وبسبب دواعي قلقنا الشديد، وحقيقة أنه حتى من دون تحقيق، أن الحكومة تعلم عدم تورطنا، فإننا نصرّ على صدور بيان أقوى.

٥. يماني اتفق معي وذكر أنه سيحاول الاتصال بالأمير سلطان في مكة. وأضاف أن معلوماته تشير إلى أن التطهير النهائي للحرم المكي يؤمل أن يكتمل اليوم (بالرغم من أنه أدلى بهذا التصريح نفسه أمس) وأنه على أية حال سيتمكن من الوصول للأمير سلطان في الساعة ١٤:٣٠ (١١:٣٠ بتوقيت غرينتش).

٦. وعد يماني أن يخبرنا بنتائج محادثته.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٧

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٨

التاريخ: ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: معلومات من ضابط الاتصال العسكري الأمريكي عن القتال في مكة.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. ضابط الاتصال العسكري الأمريكي زوّدنا بالتالي: احتلال المسجد الحرام الذي بدأ الساعة ٥:٣٠ صباح يوم ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر لا يزال مستمراً. مساء يوم ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر استطاعت القوات السعودية الدخول إلى الطابق الأول من المسجد باستخدام ناقلات جنود مدرعة من طراز M-113، التي وفرت حماية كافية ضد المتمردين. ولكن تراجع المحتلين إلى الطوابق العليا من المسجد حيث تصميم الطابق الثاني يتضمن سواتر وبوابات تساعد في حماية المتمردين ويسهل عملية إطلاق النار على السعوديين. وعلاوة على ذلك، فإن ساحة المسجد الحرام المفتوحة تجعل من الصعب على السعوديين استعمال الغاز المسيِّل للدموع.

٣. وزارة الدفاع تعتقد أن عدد الرهائن انخفض الآن إلى نحو ٣٠ رهينة. وقال أحد الرهائن الذي حررته القوات السعودية إن الطعام والماء قليل في الطابق الثاني. المستشفيات في مكة مليئة بالمصابين، ولكن حتى الساعة ٨:٣٠ بتوقيت غرينتش، لم يصل أي مصابين إلى المستشفى العسكري بجدة. وزارة الدفاع تعتقد أن جنسيات المحتلين تشمل سعوديين

ويمنيين ومصريين وخليجيين. وزير الإعلام يماني، أعلن أن معظمهم ألقي القبض عليهم. ولكن، وزارة الدفاع تبدو كأنها تتعارض مع هذا الزعم في تحليلهم لنفسية المنشقين. وزارة الدفاع تقول إن المنشقين يقاتلون من أجل الموت، وقد قُتل منهم كثيرون.

٤. أخبرنا سعوديان ضليعان دينياً أنه عندما يقبض على المتمردين فإنهم على الأغلب لن يعدموا إلا بعد نهاية شهر محرم حتى لو تم استكمال المحاكمة في شهر محرم. هناك ثلاثة شهور معظّمة لا تنفذ فيها أحكام الإعدام: ذو القعدة، ذو الحجة، ومحرم. وهذا الحظر نابع من التقاليد القبلية القديمة، حيث كانت هناك هدنة خلال هذه الأشهر للسماح للمسلمين بالسفر في أمان إلى مكة خلال موسم الحج السنوي.

كل أنواع القتل كانت ممنوعة خلال هذه الفترة. وتتم مضاعفة العقوبات المفروضة على الجرائم، ولكن يتم تأجيل تنفيذ أحكام الإعدام. ينتهي محرم في ٢٠ كانون الأول/ديسمبر تقريباً. ولكن أشار شخص سعودي ذو تدريب قانوني، أن القتل يجوز خلال الأشهر الثلاثة المقدسة إذا كان نتيجة لفتنة. وبالتالي، في رأيه، يمكن تنفيذ الإعدام بالمتمردين.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٨

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٩

التاريخ: ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: معلومات من طيّارين أمريكيّين عن اقتحام المسجد الحرام في مكة.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. موجز: موظفو السفارة الأمريكية استجوبوا الطيارَين الأمريكيّيْن الاثنين [المتعاقدين بصورة شخصية لقيادة طائرات هليكوبتر تابعة للدفاع المدني السعودي] اللذين حلّقا فوق مكة في ٢١ ـ ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر. مشاهداتهما تظهر تعارضاً كبيراً مع التقارير الأخرى التي تلقتها السفارة من مصادر رسمية سعودية وغيرها والتي أشارت إلى أن السعوديين استعادوا ـ على الأقل ـ جزءاً من الطابق الأول من المسجد بواسطة ناقلات جنود مدرّعة. انتهى الموجز.

٣. الضابط السياسي والملحق الجوي الأمريكي استجوبا الطياريْن المدنييْن الأمريكييْن المتعاقديْن مع الدفاع المدني السعودي لقيادة الطائرات العمودية بعد عودتهما إلى جدة في الساعة ١٦:٠٠ بالتوقيت المحلي في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر. مشاهداتهما تظهر تبايناً كبيراً مع تقارير أخرى تلقتها السفارة (راجع البرقيات السابقة) التي أشارت إلى أن السعوديين استعادوا ـ على الأقل ـ جزءاً من الطابق الأول من المسجد مستعملين ناقلات جنود مدرعة. وعلى الرغم من أننا لا نستطيع تأكيد أو نفي صحة ملاحظاتها، فإننا نرسلها لكم كمعلومات وصلتنا ناتجة من رؤية جوية مباشرة للمسجد الحرام.

٤. وفي طلعات لاحقة إلى مكة، غادر الطياران جدة إلى مدرج طيران

صغير في منطقة مِنى يبعد ٣ ـ ٥ أميال من مكة عند الساعة ١٤:٠٠ محلياً في ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر. وذكرا أن مدرج الطيران هذا كان تحت حراسة مشددة جداً. وعند الساعة ١٩:٠٠، طارا فوق المسجد الحرام على ارتفاع حوالى ٣,٥٠٠ قدم. ومثل الليلة السابقة، كانت كل الأضواء مطفأة تماماً في هذا المسجد المنير عادة. وعند الساعة ٢٠:٠٠، ظهرت إضاءة فجأة تحت الرواق الشمال شرقي وبقيت مضاءة طوال الليل. وعند الساعة ٢٠:١٥ أطلق على الهليكوبتر رصاصة خطّاطة(*) من المسجد. ولكنها لم تصب الهدف وتابعت الانطلاق في مسار مسطح إلى ارتفاع ٧ ـ ٨ آلاف قدم حتى احترقت وبدت الرصاصة من النوع الثقيل. وعند الساعة ٢٣:٠٠، حلق الطياران مجدداً فوق المسجد. وبدا الرواق الشمال شرقي ما يزال مضاءً، وبدا موقد صغير في الفناء خمن الطياران أنه كان لأغراض الطهي.

٥. وعند الساعة ٠٩:٠٦ في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر، حلقت طائرتان F-5 إس [F-5S] على ارتفاع منخفض فوق المسجد الحرام لمدة ١٥ دقيقة كما فعلتا في الأمس. وبعكس تحليق ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، فقد طارتا بنمط طيران مسطح كما لو أنهم يعترفون بامتلاك المحتلين بعض الأسلحة الثقيلة. الطياران الأمريكيان لم يعودا إلى منطقة المسجد الحرام حتى الساعة ١٥:٣٠ في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر. وخلال هذه الطلعة النهائية، قال الطياران إنهما لم يشاهدا أي نشاط على الإطلاق سواء في المسجد أو في المنطقة المحيطة به التي لا تزال مطوقة لمنطقة تتراوح بين ٣ ـ ٥ بلوكات. ورداً على أسئلة معيّنة، ذكرا أنهما لم يلاحظا أي علامات على مسار الطواف حول الكعبة المشرفة في فناء المسجد الذي أصبحت تغطيه بعض الأوساخ.

٦. عادت المروحية إلى جدة في حوالى الساعة ١٦:٠٠ بالتوقيت المحلي وهي تحمل ١٥ من الجنود السعوديين الجرحى. وتم إنزال الجنود

(*) خطّاط: أي تريسر (TRACER) كما في نص البرقية. وهي طلقة تقتص الأثر وتترك ذيل دخاني مضيء وتسمى أيضا ذخيرة كاشفة/ مقتفية/ متتبعة. وفي العادة يتم تحميلها لتكون الطلقة الخامسة في حزام المدفع الرشاش، ويشار إليها بالإنكليزية بـ (فور ـ تو ـ ون ـ تريسر) حيث تتيح هذه الذخيرة لمطلق النار متابعة مسار المقذوف المضيء نحو الهدف من أجل إجراء تصحيحات في التصويب لتحسين التسديد نحو الهدف في الطلقات التالية. ومثل هذه الذخيرة النوعية قد لا تتوفر في السوق السوداء بل في الأجهزة النظامية. (المترجم)

في مطار جدة الدولي حيث قامت طائرات سي ـ ١٣٠ سعودية بنقلهم إلى الرياض. (للمعلومية: تم إخلاء المستشفى العسكري الجديد في الرياض مثلما تم إخلاء المستشفى العسكري في جدة. نهاية فقرة للمعلومية). وقال الطياران إن جميع الجرحى كانوا قد أصيبوا بأسلحة ذات عيارات صغيرة، ولم تكن الإصابات خطرة. ولم يشاهدا أية آثار لجروح من رصاص متشظٍ. وبدا أن جميع هؤلاء الجنود كانوا من وحدة لقوات خاصة من تبوك. وعندما سُئلوا عن كيفية جرحهم، قال ضابط منهم إنه في الساعة ١١:٠٠ بالتوقيت المحلي، شاركوا في هجوم على المسجد بواسطة ٢,٠٠٠ جندي سعودي. وأشار الضابط السعودي ضمنياً أن القوات السعودية تحتل الآن على الأقل جزءاً من الدور الأرضي، ولكن الطياريْن قالا إن هذا الادعاء غير قابل للتصديق، وأضافا أنهما لم يتمكنا من إثبات هذا الادعاء من مشاهدتهما للمسجد الحرام والمنطقة المحيطة به. وأضاف الطياران أنهما لاحظا عدم وجود أي ضرر على أي من المئذنتين على الرغم من التقارير التي تلقّياها من أن السعوديين وجهوا قنبلة يدوية أو قذيفة خفيفة على المآذن لطرد القناصة.

٧. قال الطياران إنهما سألا الضابط السعودي إذا كان هناك أي دليل على تورط إيراني في احتلال المسجد، وأجاب الضابط أنه يعتقد بتورط سعوديين فحسب. وعندما سئل: كيف يمكن لـ ٢,٠٠٠ شخص أن يهجموا على المسجد من دون معلومات دقيقة عن المتمردين؟ أجاب الضابط: إن رجاله دخلوا المسجد عبر شبكة واسعة من الأنفاق الموجودة، على ما يبدو، تحته.

٨. التعليق: ليس لدينا تفسير للتناقض بين هذه الملاحظات والتقارير المختلفة التي تلقيناها في شأن ما زُعم من استيلاء سعودي بطيء ولكن منهجي على المسجد من المتمردين. وفي الوقت نفسه، ليس لدينا أي سبب لرفض التقرير السابق الذي وصلنا من قِبَل طيارين أمريكيين محترفين ومدربين جيداً على القتال (جميعهم متقاعدون من العسكرية الأمريكية). ومن المؤكد حدوث تبادل كبير في إطلاق النار، ولكن كما علّق أحد الطيارين: قد يكون الجرحى ضحايا لجهود سعودية لاختراق (أو تسلل) وليس هجوماً على هذا المسجد الذي يعتبر أقدس مقدسات المسلمين.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٩

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ١٠

التاريخ: ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: تخطيط الطوارئ المشترك، واقتحام المسجد الحرام.

من: السفارة الأمريكية في عمّان.

إلى: وزارة الخارجية الأمريكية ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: السفارة الأمريكية في جدة.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. موجز: في مناقشات منفصلة، أعرب كل من وليّ العهد الأمير حسن (الوصي)، والجنرال بن شاكر القائد العام للقوات المسلحة عن قلقهما الشديد إزاء حادثة اقتحام المسجد الحرام في مكة. وأشارا إلى الجهود المحمومة لإقامة اتصال مع السعوديين بعد سماع تقرير أولي عن الاقتحام، وذكرا أنهما نجحا في النهاية بإيجاد اتصال مباشرة بين بن شاكر ومكتب الأمير تركي. ولكن لسوء الحظ، لم يتمكّنا من الاتصال بأي زعيم سعودي بارز. وأشارا إلى أن الأردن مستعد، إذا طُلب منه، إرسال أي مساعدة مطلوبة إلى مكة للسعوديين، بما في ذلك فرقة كوماندوس من أردنيين من ذوي الخبرة لمعالجة مثل هذه الحالات. الملك حسين كان على اتصال هاتفي متكرر مع عمّان من تونس، على أمل الحصول على معلومات عن الوضع في مكة. الملك وصف ولي العهد الأمير فهد بأنه تعامل مع الأخبار بهدوء.

٣. أعرب كلا الزعيمين الأردنيين أيضاً عن الأمل في أن هذا الحادث المأساوي سينجم عنه استجابة السعوديين للتوصيات الأردنية

بخصوص تخطيط الطوارئ المشترك. وأشار بن شاكر إنه خلال الحج، ضغط الملك حسين على الأمير سلطان بخصوص الرغبة في زيارة مبكرة لـ بن شاكر إلى المملكة العربية السعودية. وتماماً عن طريق الصدفة، اجتمع بن شاكر مع سلطان في باريس خلال عودته من الولايات المتحدة، وبادر سلطان في ذكر اقتراح الملك وطلب من بن شاكر لقاءه في المستقبل القريب. وتم الاتفاق على أن يزور بن شاكر المملكة العربية السعودية خلال شهر محرَّم الحالي.

٤. قال بن شاكر إنه بالتأكيد سوف يتطرق إلى تخطيط الطوارئ المشترك ويوصي بعقد اجتماعات مبكرة. ويعتزم بن شاكر إدراج توصيات أن تدعى الولايات المتحدة أيضاً إلى الحضور.

السفير فيليوتس

انتهت البرقية الرقم ١٠

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ١١

التاريخ: ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: حسني مبارك، نائب الرئيس المصري، يقدم نظريته عن انتفاضة مكة، ويصف كيف أنه أمر الصحف المصرية بالتقليل من شأن الأزمة.

من: السفارة الأمريكية في القاهرة.

إلى: وزارة الخارجية الأمريكية ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: السفارة الأمريكية في جدة.

المرجع: . . . . . .

١. (سرّيّ ـ النص بأكمله).

٢. خلال مناقشة مع نائب الرئيس المصري حسني مبارك صباح الجمعة ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر، سأل عن آخر المعلومات لدينا عن الوضع في مكة. ومن دون الكشف عن المصدر، أخبرت مبارك بموجز البرقية المشار إليها أعلاه عن ما نعرفه حالياً عن الجماعة الدينية التي استولت على المسجد الحرام. وقال مبارك إن لديه معلومات عن وقوع اضطرابات في خمسة مواقع في المملكة العربية السعودية متزامنة مع اقتحام الحرم المكي (وذكر بالاسم مكة والمدينة والرياض فحسب). وأضاف مبارك إنه سلّم قبل ثلاثة أشهر أو نحوها للأمير تركي معلومات استلمتها الحكومة المصرية تفيد أن السوريين كانوا يرسلون أسلحة إلى داخل المملكة العربية السعودية. وقال إنه لا يعلم ما إذا كانت هناك أي صلة بين الجماعة الدينية التي استولت على الحرم المكي وذلك التقرير،

ولكنه أعرب عن قلقه من أن ما حدث في مكة ومدن سعودية أخرى قد يكون أكثر من مجرد حادثة واحدة منفصلة عن غيرها.

٣. من الواضح أنني في وضع لا يسمح لي بتقييم ما سبق ولكنني أرسله كما ورد: أي إن مبارك على الأقل يعتقد أن تلك المعلومات قد تكون جزءاً محتملاً من لغز أكبر، على واشنطن وجدة أن يحاولا حله معاً في الفترة المقبلة.

٤. أخيراً، قال مبارك لي إنه قد علم أن صحيفة **الأهرام**، كانت تخطط ليكون عنوانها الرئيس عن الاضطرابات في خمس مدن سعودية. ولكنه منع تلك الخطة، التي من الواضح كان يمكن أن يعتبرها السعوديون استفزازية ويمكن أن تضر بالعلاقات المصرية ـ السعودية.

السفير أثرتون

انتهت البرقية الرقم ١١

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ١٢

التاريخ: ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: اتهامات سورية أن الولايات المتحدة متواطئة في الهجوم على مكة.

من: السفارة الأمريكية في دمشق.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: السفارة الأمريكية في جدة والعديد من سفارات أمريكا في الشرق الأوسط.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. الاتهام الناري من إذاعة دمشق في ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر، والذي يربط الولايات المتحدة وإسرائيل مع حادثة اقتحام المتطرفين دينياً للمسجد الحرام في مكة تم نشره بصورة موجزة في الصحافة المحلية في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر. وعلمنا أن ذلك التعليق بث لمرتين في اليوم نفسه في التلفزيون السوري.

٣. أيضاً نشرت صحيفة البعث في اليوم نفسه افتتاحية تضمنت النقاط التالية:

أ ـ كل من يتابع أعمال أولئك الذين اقتحموا المسجد، يمكنه أن يعرف بسهولة الهدف من الخطط الإمبريالية والصهيونية: تفجير الخلافات والتناقضات في المنطقة بهدف إعاقة عمل القوات التي تقف في وجه هذه الخطط.

ب ـ إسرائيل أحرقت المسجد الأقصى بعد عدوان ١٩٦٧، وذلك

بهدف إهانة المسلمين وتدنيس مقدساتهم، والآن يأتي دور عملاء أمريكا الرجعيين لإكمال حلقة التآمر من خلال مهاجمة المسجد الحرام في مكة تحقيقاً لهذه الغاية.

ج ـ أعلن هودنغ كارتر [مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون العلاقات العامة والمتحدث الرسمي للخارجية الأمريكية] عن الأحداث في مكة قبل صدور أي بيان رسمي من مصادر سعودية.

د ـ يمكن القول إن هذا الهجوم (على المسجد) يؤكد أن قوات كامب دافيد تواصل تنفيذ مؤامرتها.

٤. صحف ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر، لا يوجد فيها مثل تلك الكتابات ولكن أخباراً مباشرة عن الأحداث في مكة تعتمد على تقارير وكالات الأنباء. أثناء صلاة الجمعة في مسجد بالقرب من السفارة، تناولت الخطبة الاستيلاء على المسجد، وأشارت إلى أن هذا عمل يتعارض مع الإسلام وإرادة الله. وأن أولئك الذين يرتكبون مثل هذه الأفعال يعتبرون مرتدّين وسوف يعاقبون تبعاً لذلك. ولم يتكرر ولم يرد أي ذكر أن إسرائيل أو الولايات المتحدة متورطتان في الحادث. وتم تسجيل الخطبة لبثها عبر الإذاعة والتلفزيون في سوريا.

٥. تعليق: نصوص خطب الجمعة تُعِدّها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ويُطلب من الخطباء عدم الخروج عن تلك النصوص التي قدمتها الحكومة. ولكن لا يمكن استبعاد إمكانية أن يتحدث الخطباء عن آرائهم الخاصة وقد حدث هذا في الماضي عندما هاجم بعض الخطباء الحكومة. ولكن في الوقت الحاضر على الأقل، يبدو أن الحكومة السورية تراجعت عن هجومها الناري ضد حكومة الولايات المتحدة.

السفير نيوتن

انتهت البرقية الرقم ١٢

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ١٣

التاريخ: ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: تحديث معلومات عن اقتحام المسجد الحرام في مكة.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. الوضع في مكة، على ما يبدو لم يتغير كثيراً عن ما ذكر في برقيات سابقة. لا يزال متمردون مسلحين جيداً يحتلون ما يقدر بـ ٢٠ في المئة من المسجد الحرام، إلى حد كبير في الطابق العلوي، وبعض المآذن. خلال الساعات الـ ١٢ الماضية، عززت عناصر من الحرس الوطني السعودي، الذين يشاركون بشكل أساسي في محاولة استعادة المسجد، قبضتها على مناطق أخرى من المسجد. وتم القضاء على جيوب المقاومة في القبو مع عدد غير معروف من المتمردين قتلوا أو أسروا وتم الإفراج عن الرهائن. وتفيد التقارير أن نسبة المصابين بشكل عام من الجانب الحكومي متوسطة، وإلى حد كبير يتلقون العلاج في مستشفى الحرس الوطني في مكة. السلطات السعودية قالت لنا إن عدداً قليلاً نسبياً من المتمردين تم القبض عليهم وهم على قيد الحياة.

٣. مكة لا تزال غالباً مغلقة. المسافرون من الطائف التي تبعد حوالى ٦٠ ميلاً عن مكة يتم تفتيش سياراتهم بعناية من قبل السلطات الأمنية. وأخبر ضابط سعودي ضابط السفارة في ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر، أن الحكومة تشعر بالقلق نوعاً ما، من احتمال أن يكون بعض المتمردين قد

تمكنوا من الفرار من مكة على الرغم من الطوق الأمني المشدد حول المسجد الحرام.

٤. التعليق السعودي الرسمي عن الحالة في مكة يواصل التأكيد على أن الوضع مستقر وأن قوات الأمن الآن في كامل السيطرة على المسجد، وتواصل عملية إلقاء القبض على فلول المجموعة التي احتلته. التعليق الرسمي السعودي تعززه المقالات الصحافية المحلية (بما في ذلك مقالة افتتاحية في عدد خاص من صحيفة محلية باللغة الإنكليزية في ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر) التي تؤكد أنه في حين أن الحكومة تسيطر بالكامل على الوضع، فإن هناك قلقاً سعودياً في هذه اللحظة وهو منع أي ضرر للمسجد وتقليل الإصابات.

٥. كانت أحداث المسجد الحرام في مكة أيضاً موضوع خطبة الجمعة في المساجد في جميع أنحاء المملكة في ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر. الخطب التي تبثها مكبرات الصوت من على المآذن (وهي ممارسة ليست غير مألوفة)، استنكر فيها الخطباء ما وصفوه بالعمل الشائن من قبل مجموعة من الخارجين عن الإسلام وطالبوا بفرض أشد العقوبات عليهم.

٦. كثرت الشائعات عن جهة أجنبية ضالعة في احتلال المسجد، وكانت معظم أصابع الاتهام تشير إلى اليمن الجنوبي. الحكومة تواصل إنكار وجود أي جهة أجنبية. وفي تطور منفصل، وصف وزير الإعلام السعودي الدكتور محمد يماني، تقرير لوكالة «تاس» السوفياتية عن وصول قوات كوماندوس أمريكية إلى الظهران بأنه افتراء لا أساس له. وفي خبر بثته إذاعة الرياض في ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر، قال يماني إن المقصود من مثل هذه التقارير هو خلق بلبلة وتشويش.

السفير وست

انتهت البرقية رقم ١٣

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ١٤

التاريخ: ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: الهجوم لتحرير المسجد الحرام.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. الأزمة في مكة يبدو أنها قد انتهت تقريباً بالكامل، ويبدو أنها كانت دراماتيكية وعنيفة. الطياران الأمريكيان [المتعاقدان بصورة شخصية لقيادة طائرات هليكوبتر للدفاع المدني السعودي] أخبرا الضابط السياسي أنهما حلّقا فوق المسجد الحرام والمنطقة المجاورة بين الساعة ١٣:١٥ و١٣:٣٥ بتوقيت غرينتش في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر، ولاحظا ما يعتقدان أنه مرحلة التمشيط (التنظيف) في الهجوم النهائي لتحرير المسجد الحرام. السعوديون يستخدمون طائرات الهليكوبتر لأغراض الاستطلاع.

٣. قال الطياران إنهما لاحظا عند الساعة ١٣:٣٥ بتوقيت غرينتش، ناقلتي جنود مدرعتين تدوران حول الفناء الداخلي للمسجد وتطلقان النار بسرعة نحو المتاريس المحيطة. الطياران لم يعرفا إذا كانت النار تُطلق نحو الدور الأول أو الثاني. الطياران لاحظا دخاناً أسود يتصاعد من جزء من الجانب الشرقي من المبنى نتيجة لوابل الطلقات النارية، ولاحظا في ما بعد كمية كبيرة من الدخان تتصاعد من الجزء الشمالي الغربي من المبنى. وبدا أعظم ضرر على الجانب الشمالي من المسجد، أي الجانب الذي فيه رواق طويل يمتد بزوايا قائمة من المبنى الرئيسي. هنا، توهّج حريق كبير

جداً من الأرض إلى الطابق الثاني في المنطقة الواقعة بين المئذنتين. سيارات المطافئ خارج المسجد كانت تحاول احتواء الحريق. قال الطياران إن بعض المآذن السبع في المسجد تأثرت بشدة من جراء نيران ناقلة الجنود المدرّعة على الرواق الطويل، وأضاف الطياران أنهما رأيا ٤٠ ـ ٥٠ جندياً سعودياً (من عناصر الحرس الوطني على الأرجح) يقفون على السطح. وبدا أنهم يقفون من دون تنفيذ أي عمل عسكري معيّن. وكانت ثماني ناقلات جنود مدرعة إضافية موجودة في الشارع المجاور للمسجد، ولكنها لم تكن تطلق النيران.

٤. وقال الطياران إن الضابط السعودي المرافق لهما أخبرهما أن الهجوم كان «قد بدأ في فترة مبكرة بعد الظهر بقيادة جنرال سعودي». ولا توجد تقديرات عن إصابات، وأشار الطياران أنهما لم يشاهدا أي قتلى أو جرحى، على الرغم من أنه من المفترض أن يكون العدد كبيراً. وكمؤشر، فقد علمت السفارة في وقت سابق اليوم أنه عند الساعة ١١:٠٠ بتوقيت غرينتش في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر، قد صدرت تعليمات إلى جميع الأطباء المسلمين والعاملين في المستشفى العسكري في جدة (نحو ٢٠ ـ ٢٥ شخصاً) للتوجه إلى مكة وإحضار حقيبة لقضاء ليلة.

٥. وقال الطياران إنه قبيل العودة إلى قاعدة جدة صدرت تعليمات لهما بالتحليق على ارتفاع منخفض فوق التلال التي بقرب المسجد. وقال الضابط السعودي المرافق لهما إن عدداً غير معروف من المتمردين الإسلاميين قد تمكنوا من الهروب من المسجد الحرام، ويعتقد أنهم يختبئون في المناطق المجاورة. وقال الطياران إنهما لم يشاهدا أشخاصاً مشتبهاً بهم، على الرغم من أن الجنود السعوديين على ما يبدو كانوا منتشرين في كل مكان تقريباً.

٦. قبل هجوم اليوم، كانت الاستراتيجية السعودية تقوم في الغالب على تجويع المتمردين الإسلاميين المحتلين للمسجد. الحقيقة الماثلة أمامنا هي أن هذه الاستراتيجية قد فشلت والاضطرار لاتخاذ تدابير صارمة لتطهير هذا المسجد المقدس من المحتمل أن يكون انعكاساً

لدرجة تسليح المتمردين، وحقيقة أن معدل الإصابات السعودية قد وصلت حداً لا يطاق. وقد يكون السعوديون أيضاً ضحية دعايتهم الخاصة بهم؛ ففي حين أنهم لم يدّعوا تماماً النصر الكامل، إلا أن البيانات السعودية على مدى اليومين الماضيين كررت أن المسجد أصبح تماماً تحت سيطرة القوات السعودية الكاملة وأن العملية الآن في مراحلها الأخيرة. ولكن من الواضح أن الأمر ليس كذلك، وكذلك إعلان الصحف في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر بفخر أن «الكعبة المشرفة تطهرت من المتمردين»، ولذلك ربما شعرت الحكومة أنها تخسر أكثر مما تكسبه إذا لم تتخذ الإجراءات العنيفة اللازمة لتستعيد السيطرة على المسجد على وجه السرعة.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ١٤

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ١٥

التاريخ: ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: تحديث معلومات عن اقتحام المسجد الحرام في مكة.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. موجز: في تكرار لتقاريرهما بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر، في البرقيات الماضية، قال الطياران الأمريكيان [المتعاقدان بصورة شخصية مع الدفاع المدني السعودي لقيادة طائرات هليكوبتر] للضابط السياسي في السفارة، إنه من ملاحظاتهما في المسجد الحرام وما حوله صباح ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، فإن المسجد الحرام الآن قد تم تحريره ولكن الحكومة مستمرة في تمشيط منطقة مكة بحثاً عن أي متمردين يخشى أن يكونوا قد هربوا من الهجوم النهائي. وفي هذه الأثناء تشير اتصالات الملحق العسكري في الرياض إلى أنه ربما لا يزال هناك بعض المتمردين مختبئين في القبو الذي يشبه متاهة، على الرغم من مزاعم سابقة عن تطهير الممرات التي تحت الأرض. وقد تم تعزيز الأمن في المنشآت والمباني المهمة في الرياض وجدة والطائف والمدينة المنورة (بما في ذلك هذه السفارة). وحتى الآن، لا يوجد أي إعلان رسمي من الحكومة، بالتالي: (أ) تم شن هجوم نهائي في ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر، أو (ب) قوات الأمن لا تزال تطارد بعض المتمردين الذين يخشى أنهم هربوا خلال حالة الفوضى أثناء الهجوم. معظم الصحف تتبع خطى الحكومة باستثناء صحيفة **الندوة** التي أعلنت عن استعادة المسجد في ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر، ونشرت صوراً لبعض الأضرار.

وعلمت السفارة بصورة غير مؤكدة أن الحكومة تحاول الآن استرجاع النسخ المتبقية في السوق من هذه الصحيفة. وأشارت مقالة افتتاحية صغيرة على الصفحة الأولى لصحيفة **عكاظ** عن استرداد المسجد. انتهى الموجز.

٣. في استخلاص المعلومات من الطيارين الأمريكيين المتعاقدين مع إدارة الدفاع المدني السعودية لقيادة طائرات هليكوبتر في ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، قال الطياران للضابط السياسي في السفارة إنهما حلقا فوق المنطقة المجاورة للمسجد الحرام لمدة ٤٥ دقيقة ابتداءً من الساعة ٧:٠٠ بتوقيت غرينتش. وبدا المسجد بأنه يخضع للسيطرة الكاملة للقوات السعودية (الحرس الوطني على ما يبدو). وكان هناك ٥٠ ـ ٦٠ جندياً سعودياً في الفناء يتجولون من دون عمل أو يجلسون في جانب من الفناء، و٧٥ آخرون، أو نحو ذلك، على السطح. الجو بدا غريباً وموحشاً ولكن هناك استرخاء. وباستثناء بعض الدخان بالقرب من الجانب الشمالي من المسجد، فإن الحرائق التي ذكرناها سابقاً تم إطفاؤها. التلفيات في المبنى نفسه بدت كبيرة. معظم النوافذ المطلة على الصحن قد تحطمت، والعديد من البوابات الكبيرة مفتوحة بعد كسرها. وكذلك خمس من السبع مآذن يوجد بها تلف نتيجة القصف الخفيف. وفي الشوارع المحيطة بالمسجد تماماً، قال الطياران إنهما شاهدا عدداً كبيراً نسبياً لناقلات جنود مصفحة ومركبات قتال مدرعة وكانت جميعها ثابتة. وكانت أعداد صغيرة من المشاهدين يتحركون في شوارع المنطقة المحيطة بها. وقال الطياران إنهما لم يشاهدا أي مجموعات مشبوهة من الناس. وكما ذكرنا سابقاً، الجنود السعوديون موجودون في كل مكان؛ في هذه الأثناء، ما يزال الأمن مشدداً في المنشآت المهمة والمباني في جدة والرياض والطائف والمدينة المنورة؛ في جدة، مثلاً، كانت هذه السفارة والمطار ومصفاة النفط من بين الأماكن العديدة التي شددت حراستها.

٦. وحتى الآن(*)، لم يصدر أي بيان رسمي أن:

(أ) ـ هجوماً عنيفاً ونهائياً قد تم في ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر، أو أن

(*) هنا خطأ في رقم البند (يجب أن يكون ٤ وليس ٦) وهو خطأ ورد في البرقية الأصلية وتركناه كما ورد وسينعكس على باقي البنود التزاماً بدقة النقل. (المترجم).

(ب) القوات الأمنية لا تزال تتابع احتمال هروب بعض المتمردين خلال حالة الفوضى التي صحبت الهجوم. جريدة **الرياض** نشرت اليوم نص فتوى ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر، التي تدعو، جزئياً، الحكومة لاستخدام التدابير اللازمة كافة لاستعادة السيطرة على المسجد إذا لم يستسلم المتمردون. جميع الصحف نشرت تغطية واسعة للإدانة الدولية للاستيلاء على المسجد، كما أشارت ثلاث صحف على الأقل (الندوة وأُخريان باللغة الإنكليزية) إلى بيان وزير الخارجية فانس عن هذا الموضوع. كما نقل المستشار الخاص بالسفارة عيسى الصباغ البيان مباشرة إلى ولي العهد الأمير فهد.

٧. الصحيفة الوحيدة المتقدمة في تغطية الحادثة هي صحيفة **الندوة**، التي أعلنت في عنوان رئيسي جريء في عدد ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، أنه تمت استعادت المسجد في ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر، وأن الحكومة الآن تتخذ خطوات لتصليح الأضرار وإعادة فتح المسجد للمصلين. كما قامت الندوة في خطوة استثنائية بنشر ٧ صور للمسجد التقطت على ما يبدو في ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر، وكانت تبين الضرر الذي لحق بالمآذن والدخان يرتفع من داخل المبنى. وعلمت السفارة بصورة غير مؤكدة أن الحكومة تحاول الآن سحب جميع النسخ المتبقية في السوق من هذه الصحيفة. أما صحيفة **عكاظ**، التي لم تصدر إلا بعد الظهر في ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر؛ فقد كانت أيضاً تحتوي على مقالة افتتاحية صغيرة في الصفحة الأولى (من دون صور) أشارت أيضاً إلى استعادة المسجد في ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر.

٨. تعليق: افتراضنا هو أن الحكومة تحجم عن الإعلان رسمياً عن استعادة المسجد حتى التأكد من أن جميع المتمردين قتلوا أو أسروا. قد لا يكون تحقيق هذا الأمر ممكناً أبداً، ولكن الحكومة، على الأقل، تريد أن تتأكد أنه لم يبق أي من المتمردين مختبئاً في شبكة الأنفاق التي تقع تحت المسجد.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ١٥

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ١٦

التاريخ: ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: تصاعد التوتر بين الشيعة في الشرقية.

من: القنصلية الأمريكية في الظهران.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّيّ ـ النص بأكمله).

٢. اتصلت بالجنرال (. . .)، رئيس مديرية الاستخبارات العامة للمنطقة الشرقية، اليوم ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر للاطلاع على الوضع الأمني الراهن في المنطقة في ما يتعلق بالأمريكيين. (. . .) الذي زارني برفقة نائبه (. . .)، قدم لي استعراضاً صريحاً حول الوضع كما بدا لهم بالرغم من اعترافه أن هناك ثغرات في معلوماتهم الاستخباراتية.

٣. وفقاً لضابِطَي مديرية الاستخبارات العامة، فإن أبرز التهديدات ضد القنصلية والأمريكيين بصفة عامة قد تأتي من (أ) الشيعة الذين يعيشون في بلدات إلى الشمال من القنصلية مثل القطيف، و(ب) عمال مسلمين مثل الباكستانيين، و(ج) طلاب الجامعات ولا سيما من الطائفة الشيعية.

٤. وكشف (. . .) أنه للمرة الأولى منذ سنوات عديدة خرق الشيعة في القطيف حظر الحكومة السعودية، وخرجوا إلى الشوارع مساء أمس لممارسة طقوس لطم أنفسهم [التطبير]. ولكن الشرطة أجبرتهم قسراً على العودة إلى منازلهم.

٥. وفقاً لضابطي دائرة الاستخبارات العامة، فإن فترة الخطر بالنسبة إلى الأمريكيين لن تنتهي (**نكرر لن تنتهي**) في العاشر من محرم

(٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر)، لأن الشيعة تم تأجيجهم بشكل استثنائي من قبل الخميني وتأثيرات خارجية أخرى. ولذلك شدد (...) على أنه تبعاً لذلك، من المهم بالنسبة إلى القنصلية وسائر الهيئات الأمريكية في المنطقة أن تظل يقظة ومتنبهة لهذا الأمر. وأشار إلى أن الشيعة منشغلين حالياً في مناقشات وفي أداء طقوسهم المرهقة. وأضاف أنه من الواجب مراقبتهم جيداً بعد عودتهم إلى وظائفهم في حقول النفط وغيرها بعد عطلتهم الدينية للتأكد من أنهم لم يقرروا القيام بأعمال إرهاب أو تخريب بسبب الحماس الديني. كما حذرونا من أمور ـ ضمن أمور أخرى ـ بوجوب مراقبة موظفينا الشيعة العاملين في قنصليتنا الذين بالرغم من أنهم عملوا هنا لمدة تصل إلى ٣٠ عاماً، قد يكونون تعرّضوا لتأثيرات أجنبية.

٦. ثم قدّم (...) «نصيحة شخصية» بأنه يجب على القنصلية أن تبلغ الأمريكيين في المنطقة الشرقية (٢٥,٠٠٠ نسمة تقريباً) أن يكونوا متحفظين وكتومين عند الاحتفال بعيد الميلاد. وأضاف أن على الأمريكيين الذين يعيشون في الخبر والدمام، أن يكونوا حذرين في قيادة السيارات لتجنّب أي حوادث مرورية. وكذلك يجب عدم السماح لضيوفهم (وبخاصة من السعوديين) بمغادرة منازلهم وقيادة السيارة بعد شرب الخمور.

٧. وبينما يعتقد (...) عدم وجود علاقة مباشرة بين الاستيلاء على المسجد الحرام في مكة و[اضطرابات] الشيعة في المنطقة الشرقية، إلا أنه يمكن التخمين، مع ذلك، بكونها قد تكون عملية تستهدف تحويل الانتباه عن هدف رئيس آخر للمخططين. (...) لم يوضّح المقصود ولم يقدم تفاصيل.

٨. الضابطان أكدا لي مجدداً أن أمن القنصلية يحظى بالأولوية بأعلى درجة ممكنة من قبل قوات الحكومة. إضافة إلى الحرس الوطني، فإن كلاً من الشرطة والجيش يوفران الأمن. وقال (...) إنه قام بنفسه بالنوم في مكتبه خلال الليالي الثلاث الماضية. عبّرت عن تقديرنا لهذا الدعم الأمني الممتاز، وكذلك عن أملنا في وأد أية تظاهرات أو هجوم

وشيك يستهدف القنصلية في مهده، وذلك لتفادي المواجهة في القنصلية التي يمكن أن تسمّم العلاقات الأمريكية ـ السعودية. وقالا إنهما يتفقان معي من صميم قلبيهما.

٩. التعليق: للمرة الأولى منذ سنوات عديدة يبدو أن هناك موجة كبيرة من العداء لأميركا تبرز في المنطقة الشرقية خصوصاً بين الشيعة السعوديين، لكن ربما أيضاً بين بعض العمال المسلمين الأجانب. وبينما من المرجّح أن يبقى شيعة السعودية موالين للخميني دينياً، إلا أن معاداتهم الحالية لأمريكا نأمل أن تختفي عندما نصبح أقل انخراطاً في الشؤون الإيرانية. الإفراج عن رهائننا في طهران، وعودة الشاه إلى المكسيك سيكون لهما على الأرجح تأثير مهدّئ هنا. وسوف نطلب سراً، على أية حال، من المجتمع الأمريكي هنا أن يمارسوا حياتهم بصورة خافتة لا تلفت الانتباه.

القنصل العام ليندستروم

انتهت البرقية الرقم ١٦

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ١٧

التاريخ: ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: مبارك نائب رئيس مصر يطلب من الولايات المتحدة أن تخبر آل سعود إن مصر تعارض الاستيلاء على الحرم المكي، وذلك بخلاف تقرير نشر في صحيفة كويتية.

من: السفارة الأمريكية في القاهرة.

إلى: السفارة الأمريكية في جدة.

صورة إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي، البيت الأبيض، السفارة الأمريكية في الكويت.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. نائب الرئيس المصري مبارك، اتصل بي مساء الاثنين، ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر، ليطلب أن يقوم وست [السفير الأمريكي في السعودية] بتمرير المعلومات التالية إلى ولي العهد الأمير فهد:

أ ـ علم مبارك عن تقرير نشر في صحيفة كويتية يوم الاثنين يفيد أن مصر مسرورة لما حدث في المسجد الحرام في مكة.

ب ـ مبارك يريد أن يعرّف الأمير فهد الموقف المصري الحقيقي: مصر ضد ما حدث في السعودية ولن تدعم مطلقاً مثل هذا الشيء.

ج ـ الموقف المصري معروف. الرئيس السادات أدلى ببيان مرة أخرى يوم الاثنين يشجب فيه الحادثة التي وقعت في مكة. وعلى الرغم من أن مصر لديها معلومات عن وقوع حوادث متزامنة في عدة أماكن في السعودية، فإنها لم تشر مطلقاً لهذا علانية.

د ـ بغضّ النظر عما سيحدث، فإن مصر لن تفعل مطلقاً أي شيء يتعارض مع مصالح أمن المملكة العربية السعودية وستبلغ السعودية عن أية معلومات تتلقاها قد تؤثر على الأمن السعودي؛ فعلى سبيل المثال، منذ نحو شهرين، تلقت مصر معلومات عن عمليات تهريب أسلحة إلى داخل السعودية. وبالرغم من عدم التأكد من دقة هذه المعلومات، فقد مررتها مصر على الفور إلى السعوديين.

السفير أثرتون

انتهت البرقية الرقم ١٧

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ١٨

التاريخ: ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: خبر عن تحرير الحرم ولجوء المتمردين إلى القبو.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. الموجز: المتمردون الذين اقتحموا المسجد الحرام تأكد الآن أنهم أُخرجوا من قبو المبنى. ويبدو أن الحكومة مصممة على أسر أكبر عدد ممكن منهم وهم أحياء. السعوديون يتحركون لتأكيد سيطرتهم على تلك الحالة. انتهى الموجز.

٣. ذكر بيان صادر عن وزير الإعلام يماني، أنه تم استعادة المسجد الحرام تقريباً. مجموعة صغيرة من المسلحين ما زالت تختبئ في الطابق السفلي من المسجد الذي، كما بُلّغنا، يحتوي على متاهات من الغرف والأنفاق.

٤. كما أكدت مصادر للملحق العسكري أن بعض المتمردين يواصلون الصمود في قبو المسجد. وتشير مصادر السفارة إلى أن السعوديين يشعرون أن هناك احتمالاً بهروب بعض المتمردين.

٥. وأبلغت وزارة الدفاع بعثة التدريب العسكري الأمريكية، أن ٦٠ ـ ٧٠ متمرداً ما زالوا يختبئون في القبو، بما في ذلك عدد غير معروف من الرهائن. وطلبت وزارة الدفاع المشورة والمساعدة للحصول على غاز مسيّل للدموع ومعدات للدخان تكون فعالة في منطقة مثل السرداب الذي

تحت المسجد. (تعليق السفارة: يشير بيان يماني وتقارير أخرى إلى أن السعوديين لم يعودوا يشعرون بالحاجة لهجوم شامل لإنهاء الحصار. ومن دون شك، فإن الرغبة في تجنّب سقوط المزيد من الضحايا بين الرهائن والقوات الحكومية هو السبب لهذا الأمر. ومن المرجّح أيضاً أن السعوديين يريدون إلقاء القبض على أكبر عدد من المتمردين وهم على قيد الحياة. الأسرى الأحياء مهمّون للتحقيق معهم، وخاصة إذا كان السعوديون يعتقدون أن قادة الجماعة هم من بين الصامدين في القبو والسراديب. إضافة إلى ذلك، يريد السعوديون أن يمثل أكبر عدد من المتمردين أمام المحاكم الشرعية ويتلقوا عقاباً علنياً، أي الإعدام بقطع الرأس، كما في الفتوى التي أصدرها العلماء. نهاية التعليق).

٦. بيان يماني دافع أيضاً عن المعالجة الإعلامية الحكومية للاحتلال. وأوضح أن الهدف من غياب البيانات اليومية للصحافة كان نابعاً من الرغبة لذكر الحقائق فحسب، وتجنّب الإثارة التي لا داعي لها. وتم التأكيد على وحدة العائلة المالكة في مواجهة الأزمة. وأشار يماني أيضاً إلى أن الملك خالد لم يأمر بالهجوم إلا بعد صدور الفتوى من العلماء التي سمحت باقتحام المسجد وتوعّدت بعقوبات صارمة على المعتدين.

٧. السعوديون أيضاً يحاولون إعطاء انطباع أن الأمور طبيعية كالعادة. وتمت زيارة [وزير الخزانة الأمريكي] ميلر الذي يرافقه وفد الكونغرس كما هو مقرر. وقد حظيت الزيارة بتغطية واسعة من قبل وسائل الإعلام السعودية، أكثر من تغطية ٢٦ زيارة قام بها حكام الكويت والبحرين وغيرهما (لتأكيد التضامن العربي)، ووزير الدولة البريطاني للتجارة، ووزير التخطيط البرازيلي.

٨. الأمن لا يزال مشدداً في مصفاة للنفط قرب جدة، وكذلك في المطار. وتم تنفيذ إجراءات خاصة بخصوص الأمتعة.

٩. علمت السفارة أن رئيس تحرير **عكاظ** [علي حسين] شبكشي، الذي انتقد البيان الأمريكي المبكّر عن احتلال المسجد الحرام في مقالة نشرت أمس، قد تم توبيخه من قبل الحكومة السعودية، لأنه على ما يبدو تجاوز التوجيهات الحالية للصحافة.

١٠. وكما ذكرت هيئة الإذاعة البريطانية في ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر، ادعى تنظيم غامض باسم «اتحاد شعب الجزيرة» من بيروت، أنه كان مسؤولاً عن الهجوم على المسجد الحرام. السفارة لا تملك أية معلومات تثبت هذا الزعم. ومن خلال ما هو معروف حتى الآن عن أولئك الذين استولوا على المسجد، فإن هذا التنظيم الغامض المعروف بميوله اليسارية والبعثية، ليس من المحتمل أن يكون صديقاً للمتطرفين الإسلاميين الذين يعتقد أنهم وراء أحداث مكة.

١١. تعليق السفارة: الآن ومع قرب نهاية أزمة احتلال المسجد مع وجود بقايا من المتمردين محاصرين في أقبية المبنى، سوف تتحرك الحكومة لكشف واعتقال أي شخص له علاقة بهذه المجموعة من الذين لا يزالون مطلَقي السراح. إضافة إلى ذلك، فمن المحتمل تعزيز الأمن الداخلي في السعودية بشكل عامّ بصورة كبيرة. وكما أشرنا أعلاه، الحكومة تقدّم صورة الوحدة والعمل كالمعتاد، وكذلك نشر الإدانة العالمية للاستيلاء على المسجد. ومن المحتمل أن تبدأ محاكمات المتمردين قريباً بعد القبض على المجموعة الأخيرة. هذه المحاكمات، وكذلك طلب الفتوى قبل البدء بالهجوم على الطوابق العليا للمسجد تشير إلى أن الحكومة حساسة جداً مع العنصر الديني في شرعيتها. الهجوم على أقدس مكان إسلامي يضرب على العصب الحساس في الدور السعودي كحامية الأماكن الإسلامية المقدسة. يحدث هذا في وقت يواجه فيه السعوديون تحدياً من الخميني الذي يدّعي لنفسه دور المدافع الرئيس عن الإسلام. ويمكن توقّع أن الحكومة السعودية ستسعى إلى التماس طرق أخرى لتعزيز شرعيتها الإسلامية.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ١٨

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ١٩

التاريخ: ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: عرض المغرب المساعدة لإنهاء التمرد في مكة.

من: السفارة الأمريكية في الرباط.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي - واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: السفارة الأمريكية في جدة.

١. (سرّي - النص بأكمله).

٢. تفاعل الملك الحسن بسرعة تجاه حادثة مكة وعرض مساندة ملموسة ضد احتلال المسجد الحرام في مكة، ما يدل على الأهمية التي يوليها للعلاقات مع النظام السعودي. وفي ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر، بعث الحسن برسالة إلى الملك خالد يستنكر الاستيلاء ويعبّر عن «التضامن الكامل» للمغرب مع السعودية. وفي اليوم ذاته، نقل مستشار الملك أحمد بن سودة قلقَ الحسن إلى سعود [الفيصل] وزير الخارجية السعودية في مؤتمر القمة العربي المنعقد في تونس. وبعد ردّ الملك خالد، تم في ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، إرسال المستشار الملكي بن سودة، ورئيس المراسم الملكية مولاي حفيظ العلوي إلى جدة، يرافقهما بعض جنود الكوماندوس الملكي ليكونوا تحت تصرف الملك خالد. وعلمنا أن الحسن أيضاً أمر الدرك الملكي بإعداد مئات من الكوماندوس للسفر فوراً إلى السعودية. ويبدو أن هذا الأمر هو بمبادرة من الحسن إذا صحت معلوماتنا.

٣. تعليق: إجراءات الملك الحسن الثاني، إن صحت معلوماتنا،

تشير للأهمية التي يوليها لعلاقته مع نظام الحكم في السعودية، الذي أثبت أنه حليف وثيق وسخيّ للمغرب ومؤيّد للنشاط المغربي في أماكن أخرى، مثل زائير وغينيا الاستوائية. ومن المحتمل أن الرأي العام المغربي الذي غضب من حادثة مكة، سيؤيد قرار الحسن لإرسال مساعدات لو تم الإعلان عنها، باستثناء اليسار المغربي الذي لا يحمل سوى القليل من التعاطف مع النظام السعودي.

السفير موفات

انتهت البرقية الرقم ١٩

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٢٠

التاريخ: ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: (. . .) يستعرض استجواب أتباع جهيمان ورد فعل آل سعود على الأزمة.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. موجز: قدم (. . .) لي موجزاً عن حادثة مكة ورد فعل العائلة الحاكمة عليها في جلسة استمرت لساعتين في مساء ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر. يعتقد (. . .) أن الحادثة ستقوّي العائلة المالكة والحكومة في المدى الطويل لأنها فشلت في خلق أي تعاطف معها داخل المملكة العربية السعودية أو في العالم الإسلامي. وفي الوقت نفسه، تعترف الحكومة بوجوب اتخاذ احتياطات لمنع أي مجموعة من الأقليات الدينية أو السياسية، من الاستيلاء على السلطة، ونتيجة لذلك، سيكون هناك تسامح أقل للمعارضة الدينية والسياسية من الآن وصاعداً داخل المملكة. وتجري حالياً عمليات استجواب واسعة للإرهابيين المقبوض عليهم مع عدم وجود أية مؤشرات ـ حتى الآن ـ لمؤامرة سياسية، ولكن السلطات لم تستبعد احتمال وجود تأثير روسي عن طريق اليمن الجنوبي في التحريض والدعم لهذه الحادثة. عملية التمشيط والتطهير للمسجد مستمرة في مكة مع وجود ٢٥ إلى ٣٠ متمرداً ما زالوا صامدين في القبو. (انتهى الموجز).

٣. قضى (. . .) ما يقرب من ساعتين معي مساء يوم ٢٧ تشرين

الثاني/نوفمبر. لقد جاء إلى المملكة بسبب عطلة مدرسية وبقي بعد أن بدأت المشاكل في مكة. وكان قد أخبرني في وقت سابق قبل وصوله بأنه سوف يأتي للزيارة قبل مغادرته.

٤. (. . .) كان بصحبه والده والأمير نايف طوال الوقت. وأشار إلى أن الاقتحام كشف عن العديد من المشاكل، بما في ذلك:

(أ) ـ الحكومة لا يوجد لديها خطة طوارئ لمواجهة مثل هذه الحالة لأن احتمال حدوث استيلاء مسلّح لأقدس مكان كان ضعيفاً جداً إلى درجة أن التدابير الصحيحة لم تكن واردة في أي من خطط الطوارئ.

(ب) ـ وجود ٥٠,٠٠٠ حاجٍّ تقريباً، أصبحوا رهائن وقت الاقتحام.

(ج) ـ رفض السلطات إلحاق الضرر بأي جزء من المسجد، وبخاصة الكعبة.

(د) ـ قوة تركيب وصلابة المبنى في حد ذاته ـ الأبواب تعذَّر كسرها بصاروخين ما أدى إلى جلب مدافع هاوتزر ثقيلة (١١٠ ملم).

(هـ) ـ شدة تعصّب الإرهابيين الذين لم يكونوا مسلحين تسليحاً جيداً فحسب،ولكن مموّنون جيداً، وفي بعض الحالات كانت زوجاتهم وعائلاتهم معهم.

(و) ـ ضرورة القبض على الإرهابيين وتحييدهم تقريباً فرداً فرداً، ليس في المآذن فحسب، ولكن في الـ ٢٢٢ غرفة الموجودة في الطابق السفلي.

٥. وذكر (. . .) أن عدد الإرهابيين المختبئين هم الآن ٢٥ ـ ٣٠ موجودين في غرف فردية في الطابق السفلي. وقال إن محاولات إخراجهم بالأسلحة التقليدية، بما في ذلك الغاز المسيل للدموع والقنابل اليدوية، لم تكن ناجحة تماماً؛ وإن آخر تكتيك لإخراجهم هو حرق إطارات السيارات وتوجيه الدخان نحو المناطق المحتلة، وبعد وقت سيستعمل الغاز المسيل للدموع ثم قنابل يدوية تليها مباشرة. وسيقوم اثنان أو ثلاثة من المتطوعين من القوات السعودية بدخول القبو مستعملين أقنعة الغاز

وأجهزة الرؤية الليلية. بهذه الطريقة تمكنوا من قتل أو اعتقال الإرهابيين الـ ١١ الذين قبض عليهم في ذلك اليوم مع اثنين من الجنود السعوديين المأسورين قبل عدة أيام.

٦. وذكر (. . .) أنهم يحاولون أقصى جهدهم لأسر أكبر عدد من المتمردين لاستجوابهم، وبالتالي معرفة جميع المعلومات حول كيفية التخطيط للعملية. وذكر أنه لم يتم حتى الآن القبض على زعيمي الجماعة، ولكن عائلة أحدهما، على الأقل، (محمد عبد الله) تحت الإقامة الجبرية. وقال إنه يجري استجواب الأسرى بصورة فعالة. ثم تدارك بسرعة مضيفاً: مع عدم استعمال أي تعذيب بدني، ولكن تم استخدام مصل الحقيقة (بنتوثال الصوديوم) مع البعض منهم، وكانت النتيجة تشابهاً مذهلاً في الأجوبة، وكلها مرتبطة بالعودة إلى الأصول الدينية. وأضاف أنه بسبب هذا التشابه في الأجوبة تولّد شعور عن تعرضهم لعملية غسيل مخ مكثفة، وأن السلطة لم تستبعد احتمال وجود تأثير روسي خفيّ من خلال النظام التابع لهم في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية على الرغم من عدم وجود الأدلة التي تثبت ذلك.

٧. وذكر (. . .) أن تلك الجماعة المتطرفة كانت معروفة جيداً لدى السلطة، ولكن أُرتُكِبَ خطأ في السماح لهم بالاستمرار في أنشطتهم وتجاهلهم على أساس أنهم متعصبون دينيون غير مؤذين. وقال إن العقل المدبر وراء العملية هو جهيمان العتيبي، مع محمد عبد الله، الذي صور نفسه على أنه المهدي. وبالصدفة فهو يحمل اسم النبي نفسه وهو محمد بن عبد الله. وقال (. . .) إن جهيمان العتيبي كان قد كتب مقالات وكتباً ولكن لم يعتقد أحد بأنه سيكون قادراً على جمع أتباع للقيام بمثل هذه العملية الدراماتيكية والاستيلاء على المسجد الحرام بالقوة.

٨. يعتقد (. . .) أن الحادث على المدى الطويل ربما ستكون له آثار مفيدة بالنسبة إلى المملكة للأسباب التالية:

(أ) ـ الهجوم على المسجد الحرام بالقوة وسفك الدماء منع تماماً أي دعم لهذه الجماعة كان من الممكن أن تحصل عليه من عناصر أخرى في المجتمع السعودي أو بقية العالم العربي والإسلامي.

(ب) ـ ممارسة [الحكومة] ضبط النفس في إنهاء الاحتلال، حظي بتأييد وإجماع واسع تقريباً من كل السعوديين وبقية العالم من دون أي تعاطف مع المتمردين.

(ج) ـ الحكومة تعلمت من الحادث أن لا تكون لطيفة ومتسامحة مع مجموعات المعارضة الدينية أو السياسية.

٩. بشأن النقطة الأخيرة، جرت مناقشة بيننا للمقارنة بين الوضع الذي واجهه الشاه في إيران والوضع الراهن هنا. وكان رأي (. . .) أن الشاه، في السنوات الأخيرة، حاول أن يكون قوياً ولطيفاً، وأصبح نتيجة لذلك ضعيفاً، ما أدى إلى سقوطه. وقال إنه يدرك أن الحكومة يجب أن تتغير مع الزمن ولكن لا يمكن أن يسمحوا للفوضى أن تربك الحكم المستقر الذي يسوده القانون والنظام، ولذلك يجب أن تكون التعديلات تدريجية لتلبّي حاجات الناس والزمن بسرعة معقولة ولكن ليس بسرعة كبيرة تسبب عدم استقرار. واعترف أن هذا الطريق لم يكن سهلاً.

١٠. أشار في سياق المناقشة أن نتيجة الحادث تميل إلى تعزيز وحدة الأسرة الحاكمة، حيث أدت إلى زيادة التعاون والتشاور لحل تلك المشكلة.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٢٠

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٢١

التاريخ: ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: احتلال المسجد الحرام.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. الوضع في مكة على ما يبدو لم يتغير بشكل ملحوظ خلال الساعات الـ ٢٤ الماضية، ويعتقد أن مجموعة صغيرة من المسلحين لا تزال مختبئة في قبو المسجد الحرام مع عدد غير معروف من الرهائن. وقال مسؤولون في وزارة الدفاع عدة مرات إنهم بدأوا يستسلمون، لكن التفاصيل غير متوافرة، وهذا الزعم لم يؤكد بعد رسمياً من الحكومة.

٣. تلقّى مكتب الملحق العسكري تقريراً هذا الصباح أن ١٢ متمرداً (بينهم ثلاث نساء) من الذين شاركوا في الاستيلاء على المسجد الحرام، شوهدوا صباح يوم ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر، في القسم العسكري من مطار جدة. لقد كانوا مصفّدين ويتم تجميعهم للنقل إلى الرياض بواسطة طائرات سي ـ ١٣٠. كما علم المكتب نفسه أيضاً أن الزعيم المفترض للمجموعة (المهدي المزعوم)، والذي أصيب في هجوم القوات السعودية، يتلقّى العلاج في مستشفى الملك فيصل في الرياض. وكما كان الحال مع العديد من التقارير التي تلقّيناها على مدى الأسبوع الماضي، لم يتم التأكد من هذه المعلومات.

٤. الأمن لا يزال مشدداً جداً في المنشآت المهمة في المملكة، بما

في ذلك السفارة. وكثرت الإشاعات في الأسبوع الماضي حول حوادث أمنية مزعومة في الرياض والطائف وجدة والمدينة، إضافة إلى مكة.

ولكن لم يتم تأكيد أي شيء عن طريق الحكومة، وبشكل عامّ، الوضع يبدو هادئاً جداً ومنظّماً. وقد شهدت المنطقة الشرقية خلال الأيام القليلة الماضية حوادث بين الشرطة والشيعة السعوديين نتج منها بعض الإصابات، وذلك أثناء طقوس لطم الجسم [أي التطبير] الشيعية خلال شهر محرّم. إضافة إلى ذلك، عجّلت الحكومة عودة آلاف الحجاج الإيرانيين الذين لم يعودوا إلى بلادهم بعد أداء مناسك الحج.

٥. الصحافة السعودية لا تزال تقدم تغطية واسعة لأحداث مكة. الصحف اليومية تنشر روايات لأشخاص شهدوا عملية الاستيلاء على المسجد يوم ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر، إضافة إلى تقارير عن الجهود السعودية لاستعادة السيطرة عليه خلال الأيام التالية. قدم أحد الضباط السعوديين واحداً من أكثر التقارير تفصيلاً حتى الآن عن الحادث في عدد ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر من صحيفتي **سعودي جازيت وعرب نيوز.**

٦. العديد من القادة العرب البارزون زاروا الرياض، لتقديم الدعم المعنوي للملك خالد والحكومة في هذه الأزمة. كان أمير البحرين، الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، أول من وصل، وذلك في ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر، تلاه بعد ربع ساعة حاكم الكويت، الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح. كلاهما عاد إلى بلاده في وقت لاحق من ذلك اليوم. وفي ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر، وصل ياسر عرفات، وأمير دولة قطر خليفة بن حمد آل ثاني، وكذلك وصل نائب رئيس الدولة ورئيس وزراء الإمارات العربية المتحدة الشيخ راشد آل مكتوم، إلى الرياض أيضاً. كما وصل عاهل الأردن الملك حسين اليوم، ويتوقع زيارات أخرى من قادة المنطقة خلال الأيام القليلة المقبلة أيضاً.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٢١

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٢٢

التاريخ: ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: إحتمال إجلاء الأمريكيين من السعودية.

من: وزير الخارجية الأمريكية ـ واشنطن، دي. سي.

إلى: السفارة الأمريكية في جدة.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. ترأس وكيل وزارة الخارجية نيوسوم اجتماعاً في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر، شمل السفيرين باركر هارت(*) ودين براون(**)، إضافة إلى مسؤولين في الوزارة لمناقشة أمن المواطنين الأمريكيين في المملكة العربية السعودية. ونوقشت بشكل كامل النقاط الرئيسة في رسالتكم (المرجع: برقية جدة ـ ٨١٠٣). نتفق مع توصياتكم أن التشاور عن قرب مع الحكومة السعودية يعتبر أمراً مهماً وحاسماً. (للمعلومية: خلال تلك المشاورات يجب أن تضع في اعتبارك أننا قد نضطر إلى تخفيض مستوى العاملين بعض الشيء، حتى إذا كان السعوديون يفضّلون عدم فعل ذلك. انتهت فقرة للمعلومية). يجب أن تسعى إلى مقابلة ولي العهد فهد في أقرب وقت ممكن، كما نفوضك للقاء الأمير عبد الله والأمير سلطان، إذا شعرت أن هذا سيفيدك في وضع توصياتك.

٣. في لقائكم مع وليّ العهد فهد يجب أن تطرح النقاط التالية:

أ ـ نظراً إلى التوتر المستمر في المنطقة المتعلق في الأساس بأحداث

(*) سفير أمريكا سابقاً في السعودية. (المترجم).

(**) سفير أمريكا سابقاً في الأردن. (المترجم).

إيران، اتخذت حكومة الولايات المتحدة سلسلة من الخطوات لحماية المواطنين الأمريكيين في بلدان أخرى في المنطقة، لخفض الوجود الأمريكي بصورة عامة، وبالتالي إحباط حدوث حالات رهائن أخرى، كما إنه يجعل من السهل على سلطات الأمن المحلية حماية الأمريكيين المتبقّين.

ب ـ لقد لاحظنا ردّ الحكومة السعودية الصلب على حادثة مكة، وكذلك التدابير الواسعة التي اتخذتها الحكومة لحماية المواطنين والمنشآت الأمريكية في المملكة.

ج ـ نحن نقدّر جداً تشديد الإجراءات الأمنية التي تقدمها الحكومة السعودية للمواطنين الأمريكيين. وفي الوقت نفسه، فإننا لا نزال نشعر بقلق بالغ إزاء العدد الكبير (٤٠,٠٠٠) من المواطنين الأمريكيين في المملكة، وبخاصة في المنطقة الشرقية، ونعتقد وجوب التفكير بحذر بطرق خفض هذا الوجود الملحوظ خلال فترة التوتر المرتفعة في المنطقة. ونود الحصول على نصيحة الأمير فهد بهذا الخصوص. ونخطط لمواصلة التشاور المستمر مع الحكومة السعودية حول مسائل الأمن في المملكة وحول التطورات الإقليمية بما في ذلك تطورات الحالة الإيرانية.

د ـ نحن نشعر بالقلق إزاء اضطرابات شيعية محتملة في المنطقة الشرقية. ما هي الخطوات الإضافية التي تفكرون فيها لمنع وقوع مثل هذه الحوادث؟

هـ ـ ماذا سيكون ردّ فعلك إذا شجعنا تخفيض عدد أفراد عائلات المواطنين الأمريكيين بوسائل طوعية؟ سيغادرون المملكة لفترة مؤقتة. لقد فعلنا ذلك في حالات عديدة في بلدان أخرى.

و ـ هل ننصح رجال الأعمال الأمريكيين بتأجيل السفر إلى المملكة مؤقتاً؟ وهل سيكون من المفيد وبالتشاور معك إذا حددنا بعض الموظفين الحكوميين الأمريكيين غير الضروريين في المملكة وأخرجناهم مؤقتاً؟ أية تدابير نوصي بها في القطاع الخاص ستكون ـ طبعاً ـ بعد أن يتم التشاور مع الشركات، وخلال القيام بذلك، سوف نسعى إلى تجنّب أي اضطراب جدّي في العمليات السعودية الأخرى. إضافة إلى التدابير التي تتخذها السعودية، ما هي أنواع الإجراءات الأمريكية التي تراها الحكومة السعودية مناسبة؟

ز ـ (إذا سئلت عن الأنشطة العسكرية الأمريكية المحتملة خلال هذه الفترة). نحن نواصل السعي بالوسائل السلمية إلى إطلاق سراح الدبلوماسيين المحتجزين في إيران. وكما يعرف فهد، لا يمكننا استبعاد أي خيار. ومجدداً، نودّ التأكيد على أننا سنكون في تشاور مستمر مع الحكومة السعودية بخصوص التطورات الإيرانية.

ح ـ إذا كان فهد يعتقد أن تخفيض عدد أفراد عائلات المواطنين الأمريكيين قد يلحق ضرراً بالسعودية، يرجى أن تتابع معه وسلطان إذا كانت الحكومة السعودية يمكنها العمل مع الولايات المتحدة في عملية عاجلة ومفصّلة لـ «التخطيط للطوارئ» لتجميع مواطنينا في ملاجئ إقليمية عند أول بادرة لاضطرابات كخطوة نحو إجلاء واسع إذا لزم الأمر. (لمعلوماتك: إذا كنا لن نخفض أعدادنا، فمن الضروري أن يكون لدينا خطة صلبة وتفصيلية لحمايتهم وتكون صالحة للعمل. انتهت فقرة لمعلوماتك)

٤. بعد إبلاغنا عن نتيجة هذه المشاورات مع الحكومة السعودية، سوف نصدر تعليمات إضافية لك للتشاور مع قادة رجال الأعمال الأمريكيين وسوف نجري نقاشات موازية مع مراكز الشركات عن أي خطوات إضافية قد نتخذها بشأن أمن الأمريكيين في المملكة. وحتى حين ورود أي تقرير لحديثك مع فهد، نعتزم الرد على استفسارات قطاع الأعمال في الولايات المتحدة بالقول إننا بصدد التشاور مع الحكومة السعودية لتعزيز سلامة المواطنين الأمريكيين في المملكة.

٥. إذا قررنا تقليل الوجود الأمريكي في المملكة، فهل سيكون مفيداً في الوقت نفسه اتخاذ خطوات مماثلة في بلدان أخرى في المنطقة ليست مدرجة في التعليمات الأصلية؟ هل من شأن هذا تقليل الحساسيات السعودية؟

٦. نحتفظ بقرار اتخاذ أي إجراءات أخرى نحو التخفيض المؤقت لمواطني الولايات المتحدة وعوائلهم في المملكة العربية السعودية لحين نتائج مشاوراتك.

[الوزير] فانس

انتهت البرقية الرقم ٢٢

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٢٣

التاريخ: ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩.

الموضوع: وصف أيديولوجية جهيمان من صحف الكويت.

من: السفارة الأمريكية في الكويت.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران + السفارة الأمريكية في جدة.

١ . موجز: نشرت كل من جريدة **السياسة** الكويتية، وزميلتها باللغة الإنكليزية **عرب تايمز** في ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر، مقتطفات من كتيب منسوب لأحد قادة «جماعة الإخوان» التي هاجمت المسجد الحرام في مكة. الكتيب يحتوي على عدد من المعتقدات الغريبة، ويبدأ بشرح علاقة الجماعة بحركات الإحياء الإسلامي القديمة. الكتيّب يعلن رفض التعليم والتصوير والأجور [الحكومية] والسماح للمسيحيين بفتح سفارات في أراضيهم. أجزاء أخرى من الكتيب تشير إلى سلسلة من الأحداث القيامَوية التي تبلغ ذروتها مع ظهور المسيح بعد قتل الشيطان. وفي موضوع مرتبط بهذا الحدث، نشرت صحيفة **الوطن** في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر، شائعات من المسافرين القادمين من المملكة العربية السعودية أن مؤلف الكتيب تمكن من الفرار من السلطات السعودية أثناء عملية استعادة السيطرة على المسجد الحرام، حيث تم القبض على بعض الكويتيين والمصريين والإيرانيين، وعدد كبير من السعوديين. وكان رد الفعل الأولي للسلطات الأمنية الكويتية هو التقليل من درجة تورّط مواطنين كويتيين في أنشطة دينية متطرفة. انتهى الموجز.

٢. مقتطفات من ما تم وصفه بكتيب باللغة العربية بعنوان «**دعوة الإخوان... كيف بدأت وإلى أين تسير**»، نشرت في جريدتي **السياسة**

الكويتية وعرب تايمز الإنكليزية في ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر. وقيل إن الكتيب يتكون من رسائل وكتابات أخرى لـ جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي، الذي يقال إنه كان أحد قادة الهجوم على المسجد الحرام.

٣. السفارة تحاول الحصول على نسخة من الكتيب بأكمله. وفي ما يلي إعادة صياغة لما ورد في مقالات صحافية عن الكتيب:

أ ـ يوجد في شبه الجزيرة العربية العديد من الجماعات الإسلامية بما في ذلك جماعة التبليغ، والإخوان المسلمون والوهابيون (أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعلماء نجد). ويشير أيضاً إلى السلفيين، وهي حركة إصلاح إسلامي بدأت في مصر في القرن التاسع عشر. العتيبي يقول إن جماعته تشترك مع السلفيين في الهدف، وهو إعلاء قيمة السنة (أقوال وأفعال الرسول) ومحاربة التعصب المذهبي، ولكنه يخالفهم في عدم إخضاع فكرهم للدليل والبرهان.

ب ـ بعض التعاليم في الكتيب هي:

- إسبال الثوب حرام.
- الطلاب والمعلمون ومديرو المدارس آثمون.
- التصوير محرَّم.
- العمل الحكومي محرّم.
- يجب تجنّب التعامل مع المسيحيين، وعدم السماح لهم بفتح سفارات في أراضينا.

ج ـ يتضمن هذا الكتيب أيضاً عدداً من الأوصاف القياموية من الماضي والمستقبل، ما يوضح معتقدات وقناعات الجماعة. يقول الكتيب إن المهدي المنتظر سيظهر قبل ست سنوات من ظهور الدجال (المسيح الدجال أو الشيطان)، وإن المسيح عيسى سيعيش على كوكب الأرض نحو عام وشهرين، والمهدي الذي سيعيش سبع أو ثماني سنوات سيقتل الشيطان. وسيسبق هذا الحدث حرب للمسلمين والمسيحيين ضد عدوّ آخر، ثم يتجمع المسيحيون لقتال المسلمين. وعندما يظهر المهدي المنتظر مع جماعته من المدينة، سوف يكون هناك مذبحة للمسيحيين سيعقبها الاستيلاء على القسطنطينية، وظهور

الدجال (الشيطان)، ومن ثم إحياء يسوع المسيح. خلال الاستيلاء على القسطنطينية الذي سيتم إنجازه بالسيوف والخيول، وليس عن طريق الأسلحة الحديثة، ستعود جماعة المدينة إلى دمشق حيث سوف يظهر الشيطان. وهناك ستصطف الجماعة لمحاربة الشيطان، وفي هذه الفترة، وخلال صلاة الفجر سيظهر يسوع المسيح، وسوف يصبح المهدي إماماً لصلاة الفجر، وسوف يعلن المسيح درجات المقاتلين في الجنة وهم ما يزالون على قيد الحياة. ولكن قبل ذلك سيكون قد تم قتل الشيطان، وسيكون المسلمون قد قتلوا اليهود الذين كانوا مع الشيطان. وعندما يحكم يسوع المسيح المسلمين، فسوف ينتهي حكم المهدي. (تعليق السفارة: نظراً إلى أن الإسلام يعترف بيسوع كأحد الرسل؛ فإن الإشارة إليه يجب أن تفهم بوصفه رسولاً. انتهى التعليق).

٤. وفي قصة ذات صلة، ذكرت صحيفة **الوطن** الكويتية في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر، أن المسافرين القادمين من المملكة العربية السعودية يروّجون شائعات أن العتيبي كان الزعيم رقم ٢ في الهجوم على المسجد الحرام، وأنه تمكن من الفرار من السلطات السعودية أثناء عملية تطهير المسجد من المتمردين. ونشرت **الوطن** أيضاً، أن من بين الذين استسلموا للسلطات السعودية: ١٤ كويتياً، ٢١ مصرياً، و٦٠ إيرانياً، ومئات من السعوديين من قبيلتي عتيبة وقحطان.

٥. تعليق: من الأمور ذات الأهمية البالغة والواضحة والمباشرة هو الموقف ضد وجود «السفارات في أراضينا». المدى الذي انتشرت فيه بروباغاندا من هذا النوع في الكويت غير معروف لدينا. مسؤول أمني كويتي رفيع، تحدث مع موظف كبير في السفارة في ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر، عن هذا الأمر، وكان حذراً للغاية في تعليقه عن درجة مشاركة مواطنين كويتيين في أنشطة دينية متطرفة، ولكنه اعترف أن اثنين من الكويتيين كانوا من بين الذين شاركوا في الهجوم على المسجد في مكة، وكويتيين اثنين آخرين اعتقلا بتهمة التهييج لدعم الهجوم هنا، وعلى ما يبدو فهما من بين الذين ذكرنا اعتقالهم في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر في برقية سابقة.

السفير ديكمان

انتهت البرقية الرقم ٢٣

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٢٤

التاريخ: ١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩.

الموضوع: غموض وشكوك وشائعات.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي - واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران.

١. عدد غير معروف من المسلحين والرهائن لا يزالون في جزء من قبو المسجد الحرام في مكة. صرح وزير الداخلية السعودي الأمير نايف في ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر، أن قوات الأمن السعودية تنوي القبض على هؤلاء المسلحين وهم على قيد الحياة وفقاً لتعليمات الملك خالد.

٢. لكن لا تزال الشكوك تحوم بالنسبة إلى مكان وجود زعماء الجماعة. وتلقّى مكتب الملحق العسكري الأمريكي تقريراً يزعم أن الزعيم الرئيس الذي سمى نفسه بـ المهدي (وهو على ما يبدو المدعو محمد عبد الله القحطاني) قد جرح، وأنه موجود بمستشفى في الرياض. وهذا خبر لم تؤكده الحكومة، وتوجد شائعات أن القحطاني، ومعه الزعيم المفترض الآخر المدعو جهيمان بن سيف العتيبي، كلاهما إما في قبو المسجد أو هربا. وأخبر السيد (...) من وزارة الخارجية السفير والمستشارين السياسيين في ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر، أن كلا الزعيمين موجود في قبو المسجد.

٣. ليس هناك حتى الآن أية أرقام دقيقة عن الخسائر الناجمة عن حادثة المسجد. وعلمت السفارة أن المستشفى العسكري في الرياض يوجد فيه حالياً ما يقرب من ١٠٠ جريح، وتم تنبيهه ليكون مستعداً لاستقبال ما

يصل إلى أكثر من ٤٠ حالة إضافية. ويعتقد أن الجرحى من الحرس الوطني، إضافة إلى قوات الجيش النظامي.

٤. وفي الوقت نفسه، تستمر أعمال تنظيف وإصلاح المسجد الحرام التي بدأت في ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر، وقام التلفزيون السعودي بعرض صور لقوات الأمن وهم يصلّون في المسجد. ووفقاً للسكان، فإن الطريق إلى مكة مفتوحة الآن، على الرغم من التفتيش الدقيق للمركبات. كما إن المرور متاح مرة أخرى في معظم الشوارع في المدينة، على الرغم من أن المنطقة المحيطة بالمسجد لا تزال مغلقة. ولا يزال الأمن مشدداً في جدة والرياض وغيرهما من مدن المملكة.

٥. تواصل وسائل الإعلام السعودية، تقديم تغطية واسعة لأحداث مكة. جريدة عرب نيوز الإنكليزية، نشرت طبعة خاصة في نهاية الأسبوع للأسبوع الثاني على التوالي في ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، والتي كانت مخصصة بشكل رئيس لتغطية احتلال المسجد الحرام. وتم التركيز على تقارير وشهادات لشهود عيان على الحادثة، إضافة إلى مقالات وتقارير عن الغضب المحلي والدولي على ذلك الاحتلال. مقالات أخرى علقت على الأخطاء والمعلومات المضلّلة المرتبطة بالحادث.

٦. وبعد الزيارات القصيرة السابقة لملك الأردن حسين، وقادة الكويت والبحرين وقطر، ووفود من الإمارات والمغرب، وياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وصل السعودية عبد الحليم خدام وزير الخارجية ونائب رئيس الوزراء السوري، ومكث لمدة ساعتين في ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر على ما يبدو لمعرفة تفاصيل الحادث، وتقديم دعم معنوي للقيادة السعودية. وبالمثل، اتصل هاتفياً الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، بولي العهد الأمير فهد للتعبير عن شجبه للحادث وعرض تقديم أي مساعدة أو عون.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٢٤

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٢٥

التاريخ: ٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩.

الموضوع: عودة الهدوء في المدن الشيعية بعد اشتباكات في المنطقة الشرقية.

من: القنصلية الأمريكية في الظهران.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: السفارة الأمريكية في جدة.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. عاد الهدوء الحذر إلى المدن الشيعية في المنطقة الشرقية بعد اشتباكات دامية بين قوات الأمن السعودية والشيعة في العطلات الدينية الأخيرة خلال ٢٦ ـ ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر. لم تحدث أمس مواجهات أو تظاهرات، ومعظم الشيعة عادوا إلى أعمالهم بصورة طبيعية، باستثناء حمولة باص تقدر بـ ٤٠ عاملاً في أرامكو اعتقلوا عن طريق الخطأ في حملة للشرطة في القطيف ليلة الخميس، ومازالوا محتجزين. أرامكو تتفاوض للإفراج عنهم وتتوقع أن يطلق سراحهم بعد تقديم قائمة بالأسماء للشرطة التي تصرّ عليها.

٣. وفقاً لمصدر رفيع في أرامكو، التقى (. . .) وأمير المنطقة الشرقية بن جلوي، أمس مع زعماء الشيعة لمناقشة الوضع ومعرفة وجهات نظرهم. وفي بداية الاجتماع قال (. . .) للشيعة إنه يجب إعادة الأسلحة التي سرقت من رجال الأمن عندما تمّت مداهمة مركز الشرطة والإمارة في القطيف ليلة الخميس. وباستثناء هذا التهديد، كانت لهجة المسؤولين

الحكوميين السعوديين تصالحية واعتذارية مع الشيعة. وأقروا أن القطيف، بوجه خاص، لم تتلقَّ نصيبها العادل من أموال الحكومة المركزية ووعدوا بتصحيح الوضع. وقال (. . .) إنه سيعرض هذه القضية على الملك خالد بمجرد عودته إلى الرياض. والمدهش أن الشيعة كانوا صريحين وجريئين في إبداء آرائهم ضد الحكومة بما في ذلك المحسوبين على الحكومة مثل رجل الأعمال الثري (. . .).

٤. إجراءات الأمن المشددة مستمرة في القنصلية ولم يتم الإبلاغ عن أية تهديدات. مجتمع رجال الأعمال الأمريكان قَلِق ومشوش، ويطلب إرشادات القنصلية مثل تجنّب زيارة البلدات الشيعية وممارسة نشاطاته بصورة هادئة لا تلفت الأنظار في مجالات الترفيه وبعض المسائل الأخرى حتى نهاية أعياد الكريسماس ورأس السنة الميلادية.

القنصل العام ليندستروم

انتهت البرقية الرقم ٢٥

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٢٦

التاريخ: ٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩.

الموضوع: آراء الملك حسين عن حادثة مكة.

من: السفارة الأمريكية في عمّان.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: السفارة الأمريكية في جدة + السفارة الأمريكية في القاهرة.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. في مساء ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، أطلعني الملك حسين على تفاصيل رحلة دامت يوماً واحداً إلى السعودية في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر، حيث قابل هناك الملك خالد، والمستشار رشاد فرعون والأمير عبد الله. كان يأمل كثيراً أن يرى ولي العهد الأمير فهد والأمير سلطان، ولكنهما للأسف كانا في الحجاز. (..................................
....).

٣. قال حسين إن الإحداث في مكة المكرمة (...................
....). وأوضح حسين، أن خالد كان كعادته ودوداً ومجاملاً وكريماً للغاية معه. وتأثر حسين بما بدا من استعداد خالد الظاهري للحديث بصراحة معه حول الموضوع الحساس، أي الاستيلاء على المسجد الحرام.

(..
....
....).

وأكد حسين بوضوح اعتقاده أن السعوديين يسيطرون على الوضع في المملكة، ويعتمدون على مواردهم العسكرية الخاصة فحسب.

٤. ثم شرح حسين بصورة إيجابية محادثاته مع الأمير عبد الله. (.... ....).

٥. حسين توصل إلى الاستنتاجات التالية حول حادثة مكة (......... ....).

أولاً، (وأكد حسين على أهمية هذه النقطة) كان المتمردون من نجد، وبالتالي فإن المشاكل لا تعكس سخطاً من إقليم الحجاز، وإنما تعكس خلافاً في نجد معقل الوهابية. القادة السعوديون ممتنون لأن المشكلة أخذت شكل عمل نجدي بالأساس في الحجاز التي لا يوجد فيها سوى تقبّل وتعاطف ضئيل أو معدوم مع المتمردين. ولو حدث العكس، ووقع العمل في نجد، فقد كان يمكن أن يكون الوضع أكثر خطورة. (.................). حسين لاحظ أن الهجوم على المسجد الحرام أدى إلى تفاقم مشاعر استياء الحجازيين من النجديين وبخاصة لأنهم يشعرون أن السلطات الحاكمة تعتبرهم مواطنين من الدرجة الثانية. (............................. ....).

٦. حسين لا يزال مقتنعاً أن «قواتٍ شريرة» أخرى (تقرأ شيوعية) تستخدم هؤلاء المتعصبين الدينيين لمصالحهم الطويلة المدى. وبشأن التداعيات على صعد أخرى، قال حسين إن لديه تقريراً واحداً فقط عن بعض العناصر المسلحة (التي اعترضها السعوديون) والذين كانوا يسيرون بشكل واضح للانضمام إلى «المهدي». وهذا يشمل مجموعة من أربعة أشخاص، قتل الجنود السعوديون ثلاثة وهرب الرابع. (...) ألمح إلى وثيقة كانت في حوزة المتمردين تشير إلى أول ثلاثة من الخلفاء الراشدين، وكذلك الإمام الشيعي الشهيد حسين كأبطال لهذه المجموعة من المتعصبين. وكانت هذه الوثيقة هي الدليل الوحيد لأي رابط شيعي للمتمردين التقطه حسين، على الرغم من كونه دليلاً ضعيفاً وهشاً باعترافه.

٧. سألت الملك، على أساس هذه الزيارة، إذا كان يعتقد أن

السعوديين يستطيعون الحفاظ على النظام والأمن في المملكة في هذه الأوقات العصيبة؟ قال حسين إن السعوديين يبدون واثقين من قدرتهم على التعامل مع الوضع الأمني الداخلي. وذكرت في سياق مناقشتنا، تقارير عن التظاهرات الشيعية في المنطقة الشرقية حيث قتل بعض الشيعة من قبل قوات الأمن السعودية، وبالتالي زادت التوترات هناك. أجاب حسين إنه يفترض وجود بعض القلق في واشنطن حول العدد الكبير من الأمريكيين الذين يقيمون في المملكة العربية السعودية. ورداً عن سؤاله قلت إن هناك ما يقرب من ٤٠,٠٠٠ من الأمريكيين في المملكة العربية السعودية والجزء الأكبر منهم يقع في دائرة اختصاص القنصلية في الظهران. وبناء على طلبه، راجعت معه وضع سحبنا للمواطنين الأمريكيين في ١١ بلداً، بالاعتماد على توجيهات الإدارة عن مبررات تفكيرنا.

(..
....
....
....
....
....).

السفير فيليوتس

انتهت البرقية الرقم ٢٦

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٢٧

التاريخ: ٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩.

الموضوع: اقتحام المسجد الحرام في مكة ـ هروب جهيمان.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

مراجع: ....

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. موجز: السيد (...) من وزارة الخارجية السعودية أبلغ المستشار السياسي في السفارة الساعة ١٠:٣٠ في ٤ كانون الأول/ديسمبر، أنه على الرغم من إعلان الأمير نايف، فما يزال هناك مسلحين يختبئون في غرفتين في قبو المسجد الحرام في مكة. وقال (...) إن هناك اعتقاداً أن جهيمان قد هرب، ولكن قادة التمرد الآخرين لا يزالون في القبو.

وست

انتهت البرقية الرقم ٢٧

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٢٨

التاريخ: ٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩.

الموضوع: مداهمة القبو النهائية وتعليق على أرقام الخسائر المعلنة.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. كما ورد في البرقيات المشار إليها أعلاه، أعلنت الحكومة في ٤ كانون الأول/ديسمبر، أنه تم تطهير المسجد الحرام في مكة من آخر المسلحين. وفي مؤتمر صحافي، قال وزير الداخلية الأمير نايف، إنه ما يقرب من ٦٠ جندياً سعودياً قد قتلوا و٢٠٠ جرحوا؛ في حين قتل ٧٥ وقبض على ١٧٠ من المتمردين. (تعليق السفارة: مصادر من مستشفيات في جدة، أشارت إلى أن خسائر القوات الحكومية أعلى بكثير من ما ذكر. وعلاوة على ذلك، لا يمكننا التأكد من دقة الأرقام عن المتمردين. انتهى التعليق)

٣. عرض التلفزيون السعودي في ٤ كانون الأول/ديسمبر، صوراً من سجن في مكة للمتمردين بما في ذلك جهيمان العتيبي. كما عرض التلفزيون السعودي في ٥ كانون الأول/ديسمبر جثة رجل قيل إنه محمد عبد الله القحطاني. وخلال المؤتمر الصحافي، أشار نايف، إلى أن هناك بعضاً من غير السعوديين ضمن المتمردين (مصريون، ويمنيون شماليون ويمنيون جنوبيون، وباكستانيون، ومغاربة، وكويتيون)، ولكنه أعاد التأكيد

على بيان سعودي سابق بعدم وجود أية علاقة لأية دولة أجنبية في الهجوم على المسجد.

٤. قام الأمير نايف وحاكم منطقة مكة، الأمير فواز، في ٥ كانون الأول/ ديسمبر، بتفقد المسجد الحرام، ودعيا إلى إعادة فتحه بسرعة للصلاة. وعلمنا أن الملك خالد وبعض وجهاء السعودية سوف يُصَلُّون في المسجد يوم الخميس أو الجمعة. كما عاد الأمير سلطان إلى الرياض، ما يدلّ على أن الأزمة في مكة قد انتهت.

٥. علمت السفارة أنه قد يحاكم بضعة مسلحين بحلول يوم الجمعة ويعدمون بعد صلاة ظهر اليوم التالي، للتأكيد على تعهد الحكومة بفرض جزاء سريع وقاسٍ لأولئك الذين انتهكوا حرمة أقدس مسجد.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٢٨

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٢٩

التاريخ: ٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩.

الموضوع: أمريكيان مفقودان في مكة.

من: السفارة الأمريكية في جدة

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران

(...
....
....
....
....
....
....).

(٤) السفارة تطلب من وزارة الخارجية أن تستفسر من السلطات السعودية عن مصير هذين المواطنين الأمريكيين الاثنين اللذين يبدو الآن أنهما ربما كانا ضحيتين(*) لتمرد مكة الذي وقع في المسجد الحرام في ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩.

[الضابط السياسي] بليك

انتهت البرقية الرقم ٢٩

(*) بل كانا من المتمردين، راجع الملحق الرقم ٢. (المترجم).

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٣٠

التاريخ: ٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩.

الموضوع: عودة الصلاة للحرم المكي.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران.

١. الموجز: بقيادة الملك، صلّت الأمة السعودية في ٦ و ٧ كانون الأول/ديسمبر، شاكرة الله على نجاة الكعبة الشريفة من المتمردين الذين اقتحموا المسجد الحرام في مكة الذي فتح أخيراً للعبادة العامة. وفي هذه الأثناء، واصلت وسائل الإعلام السعودية تركيز اهتمامها على أحداث الأسبوعين الماضيين. وأشار وزير الداخلية السعودي إلى أن وزارته تدرس إصدار قانون يحظر حمل الأسلحة النارية من دون ترخيص. هذا القانون لن يطبَّق على رجال القبائل. وأشار وزير الداخلية أيضاً أنه ليس هناك علاقة بين حادث المسجد الحرام والشائعات عن اضطرابات في المنطقة الشرقية؛ ففي الاضطرابات الأخيرة، تمكنت الشرطة من تفريق مجموعة من المسيرات عند بداية التظاهرات و«لم يكن هناك شيء آخر يتوجب ذكره في هذا الشأن» نهاية الموجز.

٢. شهدت المملكة العربية السعودية يومي الخميس والجمعة الماضيين (٦ و٧ كانون الأول/ديسمبر)، مظاهر مشاعر دينية غير مسبوقة احتفالاً بإعادة فتح المسجد الحرام في مكة للعبادة العامة. وفي يوم الخميس ٦ كانون الأول/ديسمبر، أعلن الأمير نايف رسمياً إعادة فتح

المسجد بعد عملية تنظيف هائلة بدأت في ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر. وفي حفل بُث مباشرة على التلفزيون السعودي وتم تكراره طوال عطلة نهاية الأسبوع الخميس/ الجمعة، أدى الملك خالد ومعظم كبار أعضاء العائلة المالكة، ومجلس الوزراء، والوجهاء صلاة العشاء أمام الكعبة المشرفة في ٦ كانون الأول/ ديسمبر. وفي حين أن هذا البث كان، في جزء كبير منه، من دون صوت، إلا أن العواطف الجياشة التي ظهرت على وجوه المصلّين لم تكن بحاجة لتعبيرات إضافية لتشهد على الجدية الكبيرة لهذه المناسبة.

٣. وبعد أن غادر الملك وحاشيته إلى جدة، حضر صلاة الجمعة، في ٧ كانون الأول/ ديسمبر، في المسجد الحرام أكثر من ١٥٠ ألف شخص حيث قاد الصلاة الشيخ عبد الله الخطيب [بل الخياط]، بعد أن ألقى خطبة الجمعة التقليدية. ولم يكن من المستغرب، أن تكون الخطبة عن الأحداث التي وقعت من ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر حتى ٤ كانون الأول/ ديسمبر في مكة. شكر خطيب الجمعة، الحكومة على تطهير المسجد، وندد بما سماه بـ «المجموعة المضلّلة». ودعا المسلمين إلى التمسك بتعاليم الإسلام، ودعا الله سبحانه وتعالى إلى تجنيب المسلمين شر الفتنة. وفي العموم، يقدّر أن مليون مسلم أدوا صلاة الجمعة داخل وحول المسجد الحرام في مكة.

٤. في هذه الأثناء، واصلت وسائل الإعلام السعودية تركيز اهتمامها على أحداث الأسبوعين الماضيين وكذلك على الفعاليات الدينية يومي الخميس/ الجمعة. وفي بادرة غير عادية، نشرت صحيفة المدينة الناطقة باللغة العربية عدداً خاصاً يوم الجمعة، وكانت أغلبية الصفحة الأولى مخصصة لصورة كبيرة للملك خالد وهو يقبّل الحجر الأسود في الكعبة المشرفة. وبثت إذاعة الرياض في ٦ كانون الأول/ ديسمبر، ما يبدو أنه تسجيل لحديث المقتحمين والخطبة التي ألقاها زعيمهم المدعو جهيمان بن سيف العتيبي. (للمعلومية: مكبرات الصوت في المسجد لم تطفأ عند الاقتحام، وبناء عليه، كان الناس في المنطقة المجاورة للمسجد يسمعون صوت كلام المقتحمين بسهولة كما بثتها مكبرات الصوت عبر

المآذن السبع. وقد فهمنا أن أشرطة تحتوي على تسجيل لهذه الأحداث الدراماتيكية يتم تداولها الآن في الرياض ومدن أخرى. انتهت فقرة للمعلومية)

٥. في يومي ٦ و ٧ كانون الأول/ديسمبر، بث التلفزيون السعودي برنامجاً خاصاً لمدة ساعة عرض **أولاً**: جهود الحكومة لتوسيع المسجد الحرام منذ الخمسينيات لجعله يتّسع للمزيد من المسلمين؛ كما عرض **ثانيا**: تصويراً فوتوغرافياً لعملية الاستيلاء على المسجد الحرام في ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر. (بما في ذلك مقتطفات من التسجيل الحي للحدث) والجهود السعودية لاستعادة السيطرة عليه على مدى الأسبوعين التاليين. مشاهد الهجوم الرئيسي لتحرير المسجد في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر كانت مؤثرة ولافته بشكل خاص.

٦. كما حدث كل ليلة منذ ٤ كانون الأول/ديسمبر، كانت هناك مشاهد من فيلم أيضاً عن فلول المتمردين المنهكة الذين تم القبض عليهم من قبل قوات الحكومة. كما عُرضت أيضاً جثة المهدي المزعوم (على ما يبدو هو محمد عبد الله القحطاني). وعندما تكون الكاميرا مسلطة على الملتحي جهيمان بن سيف العتيبي، أحد زعماء المجموعة والذي وصفه بعض موظفي السفارة براسبوتين، كان المذيع يقول «وهذا هو جهيمان يفكر في مصيره الذي سيقوده إلى الجحيم». وأعلن وزير الداخلية الأمير نايف في ٨ كانون الأول/ديسمبر، أن الأطفال المصاحبين للمتمردين في المسجد لن يعاقبوا. ولكن جميع البالغين، بما في ذلك النساء، سوف يتحملون المسؤولية الكاملة عن جرائمهم.

٧. في تطور آخر، قالت جريدة **سعودي جازيت** الإنكليزية، في ٨ كانون الأول/ديسمبر، إن وزير الداخلية الأمير نايف كشف أن وزارته تعد الآن دراسة لإصدار قانون يحظر حمل السلاح من دون ترخيص. وفي الوقت نفسه، نقلت الـ **جازيت** عن نايف قوله إنه لم يكن هناك شيء غير عادي بخصوص نوع أسلحة المتمردين التي كان يمكن أن يمتلكها أي مواطن في هذا البلد. وأضاف نايف، أنه لن يكون هناك أية محاولة لسحب الأسلحة من رجال القبائل حيث يعتبر حمل الأسلحة

رمزاً لرجولتهم. واعترف نايف أن الأسلحة الخفيفة يتم أحياناً تهريبها عبر حدود المملكة نظراً إلى طول تلك الحدود.

٨. أشارت الـ **جازيت**، إلى أن نايف سُئل عن شائعات بوجود اضطرابات في المنطقة الشرقية وعلاقتها بأحداث المسجد الحرام؟ أجاب أنه لا توجد علاقة بين الاثنين؛ فقد تظاهر مجموعة من الأشخاص في الشرق ونظموا مسيرات، وقد تمكنت الشرطة من تفريقهم منذ بداية تجمّعهم و«ليس هناك شيء آخر يذكر في هذا الشأن».

بليك

انتهت البرقية الرقم ٣٠

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٣١

التاريخ: ٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩.

الموضوع: رسائل معادية للولايات المتحدة تصل إلى بعض موظفي أرامكو

من: القنصلية الأمريكية في الظهران.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: السفارة الأمريكية في جدة.

١. (سرّي ـ النص بأكمله).

٢. تلقّى تقريباً ٥٠ موظفاً في أرامكو عبر البريد نسخاً من «الرسالة» التالية خلال الأيام القليلة الماضية (الأخطاء اللغوية والإملائية وضعف التعبير كما جاء في الرسالة)(*). بداية النص:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الذين يرعوون المصالح الأمريكية في بلدنا

إلى الذين تمتصون دم أمتنا المضطهدة

إلى جواسيس أمريكا في أرانكو

إلى جميع الأمريكيين

يجب أن تعرفون جميعاً أن تحذيرات حكومتكم ضد الثورة الإسلامية في إيران ليست لمصلحتكم لأنها تعكس وجهكم الدموي القبيح ضد جميع

(*) قمنا بعمل أخطاء لغوية متعمدة في البرقية المترجمة. (المترجم).

الأمم الضعيفة. وبالطبع فإن كل المسلمين في هذا البلد لن تبقون تراقبون ما يحدث وتنبغي أن تعرفوا أن جميع المرافق والممتلكات الأمريكية سوف يتم تدميرها. ومن مسؤولية حكوماتكم وقف تهديداتها ضد الثورة في إيران، أو ستكون نهايتكم جميعاً. وذكرت الأخبار أن حكومتكم أحضرت مجموعة من جيشكم في الآونة الأخيرة فقط لتعكير صفو الشلام في وطننا ومضايقة إخواننا المسلمين في إيران. الآن يجب أن تعلموا أننا وجميع السعوديين مستعدين لمواجهة جميع أسلحتكم وجاهزين لقتالكم حتى آخر رجل في السعودية. ومن المؤكد أنكم على علم بأننا جادّون لتدميركم جميعاً، خصوصاً، إذا ما نفذت أمريكا تهديداتها ضد الثورة الإسلامية في إيران، ولذلك، يجب أن تحذّروا حكومتكم لوقف جميع هذه الأشياء ضد أشقائنا المسلمين في إيران.

عاش الثور الإسلامي

تعش خميني

يسقط الإمبريالية الأمريكية

يسقط سي. آي. إيه

تسقط كارتر

نهاية النص

٣. تعليق: جميع الرسائل تم إرسالها بالبريد من الدمام أو الخبر، وبملاحظة العناوين المكتوبة بخط اليد على الظروف الخارجية، يبدو أنها كتبت من قبل شخص واحد. أرسلت الرسائل إلى موظفي أرامكو في أبقيق، رأس تنورة، والسفانية، إضافة إلى الظهران. أجهزة الأمن السعودية تُجري تحقيقاً، ولكنها لم تصل حتى الآن إلى أية استنتاجات عن هوية المرسل. وفي الوقت الحاضر لا تميل أرامكو إلى اعتبار أن الرسالة تعبر عن أي شيء سوى وجهة نظر شخص واحد.

القنصل العام ليندستروم

انتهت البرقية الرقم ٣١

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٣٢
[ملاحظة: برقية غير كاملة]

التاريخ: ١١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩.

الموضوع: تحليل عن حادثة مكة.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران.

١. سرّي: النص بأكمله.

٢. موجز: احتلال المسجد الحرام بمكة انتهى في ٤ كانون الأول/ ديسمبر بعد ١٥ يوماً. تبقى هناك أسئلة غامضة عن هوية المتشددين. ولكن المعلومات المتوافرة الآن تشير إلى أنهم متعصبون دينياً ومعظمهم من السعوديين. المجموعة كانت معروفة للسلطات التي تسامحت معهم ولم تتوقع إمكانية قيامهم بعمل مثل هذه المشكلة. الحادثة سوف تؤثر على صناعة القرار في الحكومة بسبب التوتر بين التزمّت الديني والتحديث، ولكن نعتقد أنه سيكون خطأً قاتلاً بحسب الأدلة المتوافرة حتى الآن أن نستنتج أن استقرار المملكة على المدى القصير (٥ ـ ٧ سنوات) أصبح عرضة للتساؤل. وسوف نقيّم التأثير البعيد المدى لاحقاً، ويبقى أن ننتظر إذا ما كان هذا الحدث سيحثّ الحكومة أن تهتم أكثر بنقاط ضعف النظام. انتهى الموجز.

٣. أعلنت الحكومة السعودية عن انتهاء احتلال المسجد الحرام والقبض على/ أو قتل آخر المتمردين. احتلال المسجد الحرام ـ من دون شك ـ

سيكون له عواقب بعيدة المدة ولكن التفاصيل غير معروفة. هناك تقارير تدور على نطاق واسع بين جميع عناصر المجتمع عن ما حدث، ولماذا. العديد من الحكايات متناقضة ومبنية على قدر كبير من التخمين ولكن هناك قصص تحتوي على بعض العناصر من الحقيقة. السفارة سوف تجمعها مع بيانات الحكومة لعرضها عليكم مع بعض أفكارنا الخاصة حول أهميتها.

٤. احتلال المسجد بدأ عند الساعة ٥:٣٠ بالتوقيت المحلي في ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، وهو أول يوم من السنة الهجرية الجديدة ١٤٠٠ بالتقويم الإسلامي. قام ٣٠٠ ـ ٥٠٠ متمرد مسلح بالدخول إلى المسجد ضمن آلاف المصلين، ثم سيطروا على الوضع بعد صلاة الفجر، وتحركوا لتأمين أبواب المسجد (وهو مبنى ضخم تصل مساحته إلى واحد كلم مربع)، ثم ادّعوا أن أحد أعضائهم هو المهدي، تلا ذلك حدوث فوضى وتشوّش وهرب العديد من المصلّين، كما قتل العديد من رجال الأمن السعوديين غير المسلحين.

٥. ولبعض الوقت سيطر المتمردون على معظم مداخل المسجد، من المنارات بحسب بعض الروايات، ومن مواقع على التلال المطلّة على المسجد، حيث سيطروا على المسجد وتحكّموا بالطرق المؤدية إلى المبنى. قوات الأمن السعودية أغلقت المنطقة، وبحلول اليوم التالي بدأت محاولاتها للاقتحام. الهجوم الحقيقي بدأ في اليوم الرابع للحصار، وخلال الأيام الثلاثة التالية، أُجبر المتمردون على اللجوء إلى القبو الضخم للمسجد، حيث واصلوا الصمود حتى ٤ كانون الأول/ ديسمبر. ملحقنا العسكري في السعودية يقول إن قوات الأمن السعودية تعاملت مع حادث مكة بِحِرْفية، إذا أخذنا بعين الاعتبار تعقيدات المكان والكوابح الدينية التي تحد من حرية العمل.

٦. منذ بداية الاحتلال كان السؤال الرئيس هو هوية وحافز المتمردين. ولأن الحديث عن عودة المهدي يوجد له رابط شيعي، فقد كان الافتراض الأولي أنهم إيرانيون أو سعوديون متأثرون بإيران، ولكن اتضح خلاف ذلك، كما جاء في تصريح وزير الداخلية الأمير نايف حول هوية المشاركين في التمرد.

٧. يبدو أن هؤلاء المتمردين هم جماعة انشقت عن مجموعة كبرى نشأت في الجامعة الإسلامية في المدينة، حيث كانوا منزعجين وساخطين على التغييرات التي سبّبتها عملية التحديث في المجتمع السعودي مثل تراجع القيم الإسلامية، وعدم استجابة الناس لنداء الصلاة، وكشف وجه المرأة، وزيادة الجرائم والانحراف في المجتمع. ويبدو أن السلطات السعودية كانت تعرف عن هذه المجموعة، وحدثت مواجهة في صيف ١٩٧٩، بين المجموعة والعلماء حول قضايا دينية. السلطات السعودية كانت تريد أن تسجن هذه المجموعة ولكن العلماء بعدما بحثوا آراء المجموعة قرروا أنه يمكن التسامح معهم. كان هناك بعض العلماء، ومن ضمنهم العالم الأهم ابن باز، الذين شعروا أن أهداف هذه المجموعة لفرض المزيد من التزمّت الديني ليست بعيدة جداً عن أهدافهم الشخصية.

انتهت البرقية الرقم ٣٢

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٣٣

التاريخ: ١٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩.

الموضوع: احتمال اتهام اليمن الجنوبي.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران.

١. سري: النص بأكمله

٢. بلغنا أن هناك خبراً على وشك أن ينشر في الصحافة الأمريكية نقلاً عن مصدر سعودي مسؤول يقول إن اليمن الجنوبي كان وراء اقتحام المسجد الحرام في مكة.

٣. هذه واحدة من عدة نظريات تتردد حالياً في دهاليز الحكومة السعودية. (. . .) أخبر السفير في ١٥ كانون الأول/ديسمبر، أن اليمن الجنوبي يحاول الآن استغلال المتعصبين دينياً في المملكة ليقوّض استقرار السعودية ويحقق أهداف اليمن الجنوبي. (. . . .) أخبر السفير الأمر نفسه في ٥ كانون الأول/ديسمبر. الملك أخبر الوزير ميلر في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر إنه لن يستغرب إذا كانت قوى شيوعية خلف المتمردين. (. . .) أخبر المستشار السياسي للسفارة أن بعض المتمردين تلقوا تدريباً في اليمن الجنوبي. وفي الوقت نفسه هناك نظريات أخرى تتهم دولاً أخرى بدعم المتمردين.

٤. في اجتماع مع السفير ونائب رئيس الهيئة الدبلوماسية في ١٦ كانون الأول/ديسمبر، ردد (. . . .) فكرة استغلال التطرف الديني من

قبل «معارضين» سعوديين. (استخدم كلمة «معارضين» تحديداً) الذين يبلغ عددهم عدة مئات والذين جذبوا أتباعاً أكبر من المتعصبين بسبب قصة المهدي. كان هدفهم، كما قال (. . .)، تدمير المجتمع السعودي. (. . . .) أشار إلى أن عدداً صغيراً من المتمردين كانوا أجانب، ولكنه تجنّب القول إن الحادث تم بإلهام خارجي، وأعرب عن ثقته بأن أي تعاطف مستتر مع الجماعة قد تم فقدانه بسبب حالة المقت والاشمئزاز العام لاقتحامهم المسجد الحرام. (. . . .) وزير الإعلام السعودي يواصل علناً تفنيد أي احتمال لعلاقة خارجية. إنه ـ بالطبع ـ من المحتمل نظراً إلى تدهور العلاقات مع اليمن الجنوبي، قد تكون السعودية قررت استخدام الحادث لتشويه سمعة اليمن الجنوبي وعزلها عن بقية العرب. في هذه الحالة قد تكون الحكومة السعودية قررت أن تطلق بالون اختبار لهذا الاتهام في صحافة واشنطن. وعلى أية حال، الحكومة قالت إن نتائج التحقيقات ستنشر علانية. وحتى ذلك الحين ننصح أن يلتزم المتحدث باسم الوزارة بردّ بسيط على هذا الأمر: وهو أن الحادث مايزال تحت التحقيق من طرف الحكومة السعودية التي تعتزم نشر النتائج فور انتهاء التحقيقات.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٣٣

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٣٤

التاريخ: ٣ فبراير ١٩٨٠.

الموضوع: التقييم السنوي للسفير لعام ١٩٧٩.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران.

١ ـ سرّي: النص بأكمله.

٢ ـ موجز: عام ١٩٧٩، كان صعباً للسعودية وكذلك صعباً للعلاقة الثنائية الخاصة السعودية/الأمريكية. العام ١٩٨٠، لن يكون أقل صعوبة للجانبين ويمكن أن يشهد تدهوراً في «العلاقة الخاصة». المشاكل الأربع الرئيسة التي واجهت السعودية في العام الماضي لا يبدو لها أي حل حقيقي في الأفق، وقد تسوء في عام ١٩٨٠. هذه المشاكل الأربع هي:

(أ) التأثيرات المخلخلة للاستقرار للثورة الدينية في إيران، إضافة إلى أحداث مماثلة لكن غير مرتبطة بها مثل حادثة مكة هنا.

(ب) الفشل في الوصول إلى حلّ مقبول للنزاع الفلسطيني/الإسرائيلي.

(ج) استمرار وتوسع التهديد الروسي.

(د) الفساد بالمعنى الغربي.

٣ ـ التطورات في هذه المسائل الأربع في عام ١٩٨٠، سيكون لها تأثير مهم على مستقبل آل سعود ونوع وطبيعة العلاقة الثنائية الخاصة مع

أمريكا. قدرة أمريكا على المساعدة محدودة في مسألتين هما (ب) و(ج) فحسب. ولكن تصرُّفَنا حول هاتين المسألتين قد يكون بالفعل حاسماً لمستقبل الحكومة السعودية الحالية. ونظراً إلى أن توافر موارد طاقة كافية للعالم الحر خلال العقد القادم يعتمد إلى حد كبير على استمرار الحكومة الحالية في السعودية، فإن المصالح الوطنية للولايات المتحدة تتعرض حقا للمخاطرة هنا في عام ١٩٨٠. انتهى الموجز.

٤ ـ مقدمة: العام ١٩٧٩، شهد ثلاثة أحداث رئيسة كان لها تأثير عميق على حكومة وشعب السعودية وهي كالتالي:

(أ) وقوع وتطور ثورة دينية كاملة في إيران والتي لم تخلع الشاه عن عرشه الراسخ فحسب، ولكنها أرسلت موجات من الصدمات إلى أنحاء العالم الإسلامي كافة.

(ب) توقيع معاهدة السلام المصرية/ الإسرائيلية.

(ج) استمرار التهديد السوفياتي بما في ذلك غزو «اليمن الجنوبي» [جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية] لليمن الشمالي [الجمهورية العربية اليمنية]، وأيضاً وقت كتابة هذا التقرير: الغزو المباشر لأفغانستان. انتهت المقدمة.

٥ ـ **الثورة الدينية في إيران**: تأثير صدمة ثورة الخميني تخطّى الآفاق إلى ما بعد حدود إيران؛ في السعودية كان سقوط ملك آخر ـ في حد ذاته ـ مزعجاً للعائلة الحاكمة السعودية. كما إن حقيقة كون الملك المخلوع كان جاراً عبر الخليج ويتمتع بثقة ومساندة الولايات المتحدة الأمريكية، كانت أكثر إزعاجاً. أيضاً إن التحريض المتواصل ضد العائلة الحاكمة السعودية من راديو إيران كان بمثابة تذكير يومي من حكومة متطرفة في بلد جار.

٦ ـ إضافة إلى ذلك، فإن استجابة السعودية لطلبنا بزيادة إنتاج النفط بصورة هائلة للتصدي لمشكلة انقطاع النفط الإيراني واستعداد السعودية لجعل الأسعار أقل كثيراً من الدول الأخرى، زاد من التوتر

مع الدول العربية النفطية الأخرى. وكذلك فإن المزيد والمزيد من السعوديين بدأوا يتساءلون عن فائدة وفاعلية «العلاقة السعودية/ الأمريكية الخاصة»؟ عائلة آل سعود يتم انتقادها داخلياً لتعاونها مع الحكومة الأمريكية خاصة حول إنتاج النفط وتسعيره. المزيد والمزيد من السعوديين داخل وخارج الحكومة يلومون علانية وسراً الولايات المتحدة لمصير الشاه، ويشيرون إلى العلاقة الوثيقة بين الشاه والولايات المتحدة وكونها تماثل العلاقة السعودية/ الأمريكية الخاصة. مشاعر أغلب السعوديين حالياً هي أن العلاقة السعودية/ الأمريكية الخاصة تصبّ بقوة في مصلحة أمريكا فحسب. ولكن لحسن الحظ القيادة لا تشاركهم في هذا الشعور.

٧ ـ الصدمة الكاملة لأحداث إيران وقع ما يشابهها في البيت السعودي مع اقتحام المسجد الحرام في ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩. وعلى الرغم من عدم وجود علاقة بين الحادثتين، إلا أن حادثة المسجد كانت مثل جرس إنذار للحكومة السعودية بأنها «يمكن أن تحدث هنا». حادثة مكة سينتج منها عملية إعادة تقييم دقيقة لكل السياسات الخارجية والداخلية. نتائج هذه العملية ستنعكس على العلاقة السعودية/ الأمريكية خلال عام ١٩٨٠.

٨ ـ **معاهدة السلام المصرية/ الإسرائيلية:** السعودية أُجبرت بسبب هذه المعاهدة أن تختار بين صديقتها المقربة، الولايات المتحدة، وباقي العالم العربي باستثناء مصر. الاختيار لم يكن سهلاً نظراً إلى الأهمية التي أعطتها الولايات لتلك المعاهدة ولكنه حدث في النهاية بسبب اعتقاد منطقي أن المعاهدة لن تنجح لأن بيغن، لن يقبل بعمل أي تنازلات لحل المشكلة الفلسطينية بشكل مقبول للعرب. هذا الاعتقاد تعزز لعدم وجود تطور إيجابي منذ توقيع المعاهدة. التوترات زادت بسبب هجمات الرئيس السادات الشخصية على قادة المملكة. هناك فرصة ضئيلة، في اعتقادي، لتخفيف هذه التوترات، على الأقل قبل تبادل السفراء [بين مصر وإسرائيل] في ٢٦ شباط/ فبراير. هذا التبادل للسفراء سيكون عملية رمزية مزعجة كثيراً ولكنها أيضاً ذات أهمية عظيمة عند العالم العربي. وحتى في حالة

عدم حدوث هيجانات شعبية عنيفة في العالم العربي نتيجة لتبادل السفراء، فإن التوترات بين القادة ستستمر في الزيادة، بينما تقترب مفاوضات الحكم الذاتي من موعدها النهائي في أيار/ مايو من دون حل. وفي حالة غير محتملة لو أدت تلك المفاوضات إلى حل مقبول للمشكلة الفلسطينية، فإن المناخ السياسي بأكمله سوف يتغير دراماتيكياً للأفضل فوراً، بين عشية وضحاها. ولكن في حالة عدم وصول محادثات الحكم الذاتي إلى حل مقبول مع حلول موعدها النهائي، أو تحقيق اتفاق لا يرضى عنه الفلسطينيون أو باقي العرب، عندها سوف تبرز «أزمة صغيرة» [Mini-Crisis] في العلاقات السعودية/ الأمريكية.

٩ ـ لقد كان موقفنا، طوال فترة مفاوضات الحكم الذاتي أننا سنمارس حقنا كـ «شريك كامل» في حالة عدم تمكّن السادات وبيغن من الوصول إلى حل مقبول لمشكلتي الفلسطينيين والقدس. ولذلك يتوقع السعوديون هنا أن نتخذ موقفاً علنياً في عملية المفاوضات إذا لم يتم الوصول إلى حل مقبول قبل الموعد النهائي في أيار/ مايو. فشلنا في تحقيق توقّعهم، سوف ينظر إليه السعوديون باعتباره خرقاً كبيراً [Major Breach] في العلاقة السعودية/ الأمريكية الخاصة وبمثابة اعتراف أن الولايات المتحدة إما: (أ) أن تكون تعتبر المعاهدة ميتة فعلياً؛ أو على الأقل (ب) أن الإدارة الأمريكية الحالية ضعيفة وغير قادرة على فعل أي شيء إيجابي خلال فترة الانتخابات الأمريكية الحساسة، ولذلك تقوم بوضع القضية الفلسطينية على الرف من أجل الحسابات الانتخابية.

١٠ ـ **التهديد السوفياتي**: العمل الإيجابي الأكبر والأهم في العلاقة السعودية/ الأمريكية الخاصة خلال عام ١٩٧٩، كان تحرك الرئيس عندما غزا «اليمن الجنوبي» جاره الشمالي (أي تسريع وصول الطائرات والمعدات، تحت قانون الطوارئ، إلى اليمن الشمالي، وكذلك إرسال طائرات F15S، وأيضاً وجود طائرات أواكس في السعودية، إضافة إلى إرسال فريق تخطيط عسكري وإرسال قوات بحرية كبيرة إلى المحيط الهندي)، وهو العمل الذي أعاد إلى عقول السعوديين صدقية أمريكا وعزز

ثقتهم فيها كصديق وحليف في وقت الحاجة. لو لم تتحرك الإدارة الأمريكية وتقدم تلك المساعدة ضد اليمن الجنوبي، لا أعتقد أن الحكومة السعودية كانت ستزيد إنتاج النفط كما فعلت في تموز/يوليو، ولم تكن ستحافظ على سياستها المعتدلة بخصوص الأسعار.

١١ ـ عند كتابة هذا التقرير لا تزال الأحداث في أفغانستان تتبين وتتطور، ولكن موقف الرئيس الحازم ضد الروس سوف يوفر تأكيداً إضافياً للسعودية بأننا في الواقع أفضل حامٍ ـ بل في الحقيقة نحن الحامي الفعلي الوحيد ـ لهم من العدوان السوفياتي.

١٢ ـ **الفساد**: إن قضية الفساد هي التهديد الأعظم لاستمرار استقرار عائلة آل سعود الحاكمة. وبينما كان هناك، من وقت إلى آخر، أدلة على إجراءات صارمة اتخذت ضد الفساد، إلا أن هناك إشارات متزايدة من داخل وخارج الحكومة أن هذه المشكلة لم يتم علاجها بصورة جدية، بل هي تتفاقم إلى الأسوأ بدلاً من الأفضل. إن حقيقة كون هذه الانتقادات تأتي من اتجاهات مختلفة في السعودية وجميعها تتهم بعض أفراد الأسرة المالكة بالفساد قد بدأ ينتج منها تأثير تراكمي على الإدراك والإحساس بهذه القضية في المجتمع كافة.

١٣ ـ أهم العناصر التي تقلل من تأثير الفساد على استقرار حكم آل سعود، هو أن ثروة هذا البلد بالفعل هائلة جداً لدرجة أن العمولات المزعومة والأدلة على ما يطلق عليه في المعيار الغربي «فساد» لم تؤثر سلباً على ظروف المعيشة لأي مواطن سعودي بصورة فردية حتى الآن. النسخة السعودية من دولة الرفاهية تقدم دعماً لمعظم ضروريات الحياة، ولكن الفروقات في توزيع الثروة تبقى موجودة ـ خاصة بين المدن من جهة، والقرى التي بدأت بقايا الثروة تصلها للتو من جهة أخرى. ولكن الحالة معقدة ومن الصعب شرحها؛ فعلى سبيل المثال، بعض أكبر ناقدي الفساد هم أنفسهم يعملون في سلسلة من المشاريع والشركات مع أعضاء الأسرة الحاكمة حيث يكون الربح مضموناً بسبب نفوذ هؤلاء الأمراء. وبعكس الفكرة الغربية لما يسمّى بـ «تضارب المصالح»، فإن

هذا المجتمع يعمل على أساس ما يمكن تسميته بـ «تطابق المصالح» أو بعبارة أخرى «توزيع المنافع».

١٤ ـ وبينما تعتبر مشكلة الفساد صعبة الحل للغاية، إلا أننا سوف نستغل أي فرصة معقولة لتوضيح خطورتها على الرغم من أني أشك في قدرتنا على التأثير في المواقف حول هذه القضية الحساسة.

١٥ ـ **النتائج**: من المحتمل أن ينتج العام ١٩٨٠، ضغوطاً أعظم على العلاقات الخاصة بين السعودية وأمريكا أكثر مما حدث عام ١٩٧٩. هناك عنصران مهمان سيحددان تحسن أو تدهور العلاقة: (أ) التطور في عملية السلام في الشرق الأوسط؛ (ب) فعالية تحرك الولايات المتحدة لمقاومة العدوان السوفياتي في المنطقة.

١٦ ـ التطور في عملية السلام لا يعني الوصول إلى حل كامل أو فوري لقضيتي الفلسطينيين والقدس على الرغم من أنه بالطبع مثل هذه النتيجة مرحبٌ به. السعوديون سوف يرضون بما هو أقل، بخاصة إذا استلموا تأكيدات منا بأننا سنواصل العمل لتحقيق المزيد.

١٧ ـ السعوديون يتوقعون تماماً أن الموعد النهائي لقضية الحكم الذاتي في أيار/ مايو لن ينتج منه أي حل. وبالتالي يتوقعون أن تتخذ الولايات المتحدة موقفاً علنياً بهذا الخصوص. الإخفاق في عمل ذلك سوف يعني للسعوديين أننا وافقنا ضمنياً على تكتيكات بيغن لتعطيل المفاوضات. وبالتالي، فإن هذا سيعني لهم أننا نوافق على ما يمكن تسميته بـ سلام مصري/ إسرائيلي منفصل.

١٨ ـ لا أستطيع التحذير بصورة كافية من خطورة مثل هذا السيناريو على العلاقة الثنائية في جميع المجالات بما في ذلك إنتاج النفط وتسعيره. وبينما يواصل السعوديون القول إنهم لن يستعملوا «سلاح النفط»، إلا أن هذه العبارة أصبحت تعتبر يوماً بعد يوم أنها تشير إلى حظر نفطي مثل ما حصل عام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤. استجابتهم لاحتياجات الولايات المتحدة من حيث الإنتاج والسعر كانت ولا تزال تعتبر علامة مساندة للرئيس كارتر

وجهوده لصنع سلام في الشرق الأوسط. إذا حان الوقت (وهذا قد يحدث في أيار/ مايو عام ١٩٨٠)، الذي يقتنع فيه السعوديون أن الإدارة الأمريكية لم تعد تملك الإرادة أو القدرة لتحقيق السلام في الشرق الأوسط، فإن الحافز لتلبية طلبات الولايات المتحدة النفطية سيكون أقل. النتيجة المحتملة بحلول تموز/ يوليو ١٩٨٠، قد تكون تخفيض الإنتاج إلى ٨,٥ مليون برميل يومياً أو أقل والتحرك نحو تغيير السعر ليقترب من «صقور النفط» (بما في ذلك المكسيك وبريطانيا العظمى)، وتحديداً ليكون في حدود ٣٠ دولاراً للبرميل وما فوق.

١٩ ـ السعوديون سوف يتابعون عن قرب أفعال الولايات المتحدة ضد العدوان الروسي في أفغانستان. أي تحركات سوفياتية نحو باكستان أو إيران، ستزيد من قلقهم الهائل الذي يشعرون به هنا. إذا استطعنا أن نظهر بالحزم والحسم نفسهما، وإنجاز نتائج كما في حادثة «اليمن الجنوبي» و«اليمن الشمالي» في شباط/ فبراير الماضي، فسوف تترسخ العلاقة الثنائية بصورة كبيرة. الجوهر الحقيقي في علاقتنا الثنائية هو تقديم الحماية الأمريكية مقابل النفط السعودي. عندما يتذكر السعوديون ضعفهم مقابل العدوان السوفياتي، فإن ردنا على السوفيات يعتبر حساساً، وإذا كان إيجابياً، فسيكون مفيداً للغاية.

٢٠ ـ التوصيات

(أ) يجب أن نؤكد للسعوديين بالكلمة والفعل أننا لن نقبل بسلام مصري/ إسرائيلي منفصل يترك مسألتي الفلسطينيين والقدس من دون حل. السفير [سول ميرون] لينويتز [ممثل الرئيس كارتر في مفاوضات السلام في الشرق الأوسط] يؤدي دوراً رئيسا في هذا المجال وسوف نقدم له اقتراحات مفصلة.

(ب) يجب أن نواصل العمل والتنسيق مع السعوديين عن قرب وبصورة وثيقة عن كيفية مقاومة التهديد الروسي كما فعلنا في العام الماضي. بعض الأفعال الصغيرة كتسريع تسليم الأسلحة والمعدات لهم سوف تكون مفيدة جداً بوصفها علامات رمزية للمساند العملية (على سبيل

المثال: تسريع عملية تسليم طائرات F15 قبل موعدها بستة شهور سيكون مفيداً جداً وذا مغزى إيجابي للشخصيات السعودية الرئيسة الحكومية والعسكرية).

(ج) يجب أن نواصل الاعتراف والعمل بصبر مع الحكومة في حل مشاكل التحديث بوتيرة مقبولة لثقافتهم السائدة.

السفير ويست

انتهت البرقية الرقم ٣٤

رقم البرقية التسلسلي (للكتاب): ٣٥

التاريخ: ٤ شباط/ فبراير ١٩٨٠.

الموضوع: تحليل لحادثة مكة وشروط الاستقرار وتوقعات مستقبلية.

من: السفارة الأمريكية في جدة.

إلى: وزير الخارجية الأمريكي ـ واشنطن، دي. سي.

صورة إلى: القنصلية الأمريكية في الظهران.

مراجع: ......

١. سرّي ـ النص بأكمله.

٢. موجز: حتى الآن، لا يوجد سبب للشك في زعم الحكومة السعودية أن جماعة جهيمان مجموعة ذات توجه ديني، ولكن التوجه الديني في السعودية هو أيضاً توجّه سياسي. لا نعتقد أن هذه المجموعة مثلت تهديداً أمنياً جدياً للنظام السعودي، لأن الادعاءات المهدوية القيامية لأحد قادتها منعت وجود تعاطف كبير معها في السعودية. ولا نعتقد أن المجموعة كانت ذات توجه قَبَلي. وبالمثل لا نعتقد بوجود أي علاقة خارجية، على الرغم من أن تعاطي جهيمان في كتاباته مع حسين شريف مكة كان إيجابياً، ما قد يسبب شكوكاً سعودية مستترة عن نوايا الملك حسين تجاه الجزيرة العربية. ولا نعتقد أن الحادثة بذاتها قوضت استقرار السعودية، ولكنها سببت عصبية وتوتراً ووضعت علامات استفهام حول الكثير من الفرضيات حول النظام السعودي؟ استمرار الاستقرار يعتمد على معالجة الحكومة لقضية الفساد وجهودها لتأسيس هيئات سياسية تناسب بشكل أفضل تطور السكان بالعدد والتعليم وتطور نوعية الاقتصاد

بصورة فائقة. العملية ستكون معقدة لضرورة أن توازن الحكومة بين التحديثيين والمتزمتين دينياً. التوتر بينهما سيستمر حتى الوصول إلى صيغة توفيقية بين الدين والتكنولوجيا، وهي عملية من المحتمل أن تستغرق جيلاً آخر. مثل هذه التحولات ينتج منها دائماً هزات عنيفة. وبالرغم من كون حادثة مكة تعتبر أكثر الهزات جدية حتى الآن، فقد كان هناك بعض الحوادث في الماضي، وهناك احتمال قوي لحدوث بعض الهزات في المستقبل. انتهى الموجز

٣. بعد قراءة الكتب الأربعة المنسوبة لجهيمان، ودراسة تصريحات وزير الداخلية الأمير نايف، وولي العهد فهد، نعتقد أننا نستطيع الآن إضافة أحكام جديدة لما سبق استنتاجه في برقيات ماضية عن الحادثة.

٤. أولاً، لا نرى سبباً للشك في ادعاء الحكومة أن جماعة جهيمان كانت مجموعة دينية. (..............) كيف نظم في عام ١٩٧٢، الشيخ عبد العزيز بن باز، وهو الآن رئيس المجلس الديني الأعلى، ولكن كان وقتها رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة، في الجامعة نفسها، مجموعة نقاش دينية باسم الإخوان؛ وكيف في عام ١٩٧٤، انشق جهيمان ومعه تسعة عن المجموعة الكبرى؛ وكيف أسست هذه المجموعة المنشقة نفسها لاحقاً في الرياض؟ وعلى الرغم من عدم الوضوح، إلا أن كتابات جهيمان تميل لتأكيد ذلك، حيث تشير إلى أن مجموعته بعد انشقاقها عن المجموعة الكبرى، أسست أولاً مركزاً في القصيم حيث جمعوا كتابات دينية ودرسوا القرآن والسنة. وأكد جهيمان أنهم انتقلوا لاحقاً إلى الرياض. (...) يصف كيف سافروا وتجولوا في البلد ليبشروا بدعوتهم ويجندوا الأتباع، وهذا ما أكده أحد موظفينا المحليين الذي تعرف بعض أصدقائه ببعض أعضاء هذه الجماعة في مساجد جدة.

٥. ولكن بعد تأكيدنا أن الحركة دينية، نود أن نقول إنه لا يوجد جانب سياسي لها. وبخلاف الغرب، حيث قامت النهضة على تحويل الاهتمام من الحياة الآخرة إلى هذه الحياة لتبدأ عملية فصل شؤون الدين عن شؤون الدولة، فإن شؤون الدين لا تزال غير منفصلة عن شؤون الدولة

في السعودية. ومجدداً، يجب على المرء أن لا يرتكب الخطأ الذي يرتكبه الكتّاب في الغرب أن الأهداف السياسية يتم وضعها أولاً ومن ثم يتم كسوتها بالدين. الرأي الديني لا يزال هو الرأي المسيطر في هذه الثقافة، والدين لا يُعَرِّف علاقة الشخص بربه والمجتمع فحسب، ولكنه يتطلب أن تقوم الدولة بفرض هذه العلاقات. ولذلك، الأهداف الدينية تصبح أهدافاً سياسية.

٦. وفي هذا السياق، أي حركة دينية جديدة تصبح مهمة وتجذب اهتمام المسؤولين. المسؤولون السعوديون يخبروننا أنهم كانوا يعرفون عن المجموعة قبل وقت طويل من حادثة تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩. كتابات جهيمان تشير إلى أن أعضاء من الجماعة كانوا على اتصال متكرر مع بعض العلماء ربما من ضمنهم عبد العزيز بن باز بعدما غادر المدينة في عام ١٩٧٦، وأصبح رئيس مجلس العلماء الأعلى. ويتهم جهيمان العالم البارز الشيخ صالح بن سعد اللحيدان، بأنه جاسوس، ما يشير ربما بأنه كان مؤيداً للجماعة في وقت ما، ربما في الرياض. ولكن على الرغم من معرفتهم عن الجماعة، إلا أن السلطات السعودية لم تقم بأية محاولة لعمل أي إجراء ضد الجماعة حتى صيف ١٩٧٨ عندما، بحسب (. . .)، قام شاب من أسرة ثرية في جدة بتمويل طباعة رسالة «دعوة الإخوان» في الكويت. هذه النشرة احتوت على دعوة للتشدد ونادت بالعودة إلى الطريق القويم، وشكَت من الراديو والتلفزيون وكشف النساء لوجوههن والموسيقى وكرة القدم وانتشار الملابس الغربية وارتداء الرجال للحلي وغياب المحتوى الديني الكافي في المناهج التعليمية والتساهل في إقامة الصلاة والتعامل مع غير المسلمين. كما اتهمت العائلة المالكة بالتخلي عن الإسلام الحقيقي.

٧. نقد العائلة المالكة والعلماء نتج منه القبض على مجموعة من أعضاء الجماعة من ضمنهم محمد بن عبد الله (المهدي المزعوم لاحقاً). ولكن تم الإفراج عنهم بعد ستة أسابيع بعد تدخل بعض العلماء المتعاطفين مع دعوة الجماعة للمزيد من الالتزام الديني في المجتمع والذين ـ كما يبدو ـ ظنوا أن الجماعة لا تشكّل أي تهديد أمني حقيقي للنظام السعودي.

وليس من الواضح إذا كان هؤلاء العلماء قد فهموا تماماً قضية المهدوية الخاصة بمحمد بن عبد الله، والتي علمنا من رواية (. . .) أن فكرتها تبلورت في ربيع ١٩٧٨، تقريباً. من المحتمل عدم معرفة العلماء والمسؤولين بهذه القضية، أو أنهم لو علموا بها قد افترضوا أن هذه الادعاءات ليست قوية بدرجة كافية للناس، مما سيقوضها ويسبّب فشلها. حقاً، إنه من غير المحتمل تماماً أن محمد بن عبد الله، كان يمكنه كسب أتباع كثيرين في السعودية لأن ادعاء المهدوية سيتطلب مبررات دينية [قوية]، ما يجعل من غير المحتمل أن شعباً ملمّاً بالإسلام مثل شعب المملكة سيقبلها منه.

٨. السبب الذي هز القيادة السعودية وجعلهم يغيّرون وجهة نظرهم، هو قيام الجماعة باقتحام مسلح للمسجد الحرام في مكة. لم يسبب هذا الحدث هزة للعالم الإسلامي ويحرج النظام السعودي فحسب، ولكنه شوّش الصورة السائدة عن استقرار النظام السعودي. لقد أثبتت الحادثة أنه ربما يمكن مجموعة دينية أخرى، غير منشغلة بمزاعم مهدوية لزعيمها، أن تسبّب تهديداً جدياً للنظام إذا تمت إثارتها بصورة كافية ضد سياسات التحديث والفساد في الحكومة. ولهذا، وبخلاف النفي العلني، الحكومة تتخذ خطوات مهمة يبدو أنها رد فعل مباشر على حادثة مكة كما شرحنا سابقاً في البرقية رقم (١٩٨٠ جدة A3).

٩. لا نرى دليلاً مقنعاً على وجود رابط خارجي لحادثة مكة. وبالفعل هناك عدد من الأجانب المتورطين في الحادثة، وقائمة المعدومين تشمل: مصريين ويمنيين وسودانيين وكويتيين وعراقيين. ونعرف أيضاً أن اثنين من المسلمين الأمريكيين السود، متورطان بطريقة ما، وأن أحدهم قتل أثناء القتال. ولكن معظم المتورطين كانوا من السعوديين وأسماء الأجانب الذين نفذ فيهم حكم الإعدام لا تشير إلى رابط مع أي قوة أو مجموعة أجنبية. لقد ناقشنا في برقية سابقة (مرجع سي) احتمال وجود علاقة مع **اتحاد شعب الجزيرة** أو **جماعة التكفير والهجرة**، ولا نجد أي سبب لتغيير ما ذكرناه بهذا الخصوص؛ في الحقيقة، المصريون المتورطون هم من جماعة التبليغ، وهي جماعة أصولية تبشيرية نشيطة في أفريقيا وعلاقتهم بحادثة

مكة، كما يبدو، كانت على أساس شخصي وليس بتوجيه من الجماعة. وقد ناقشنا مسألة أسلحة جماعة جهيمان (المرجع سي) ولا نجد أي سبب لتغيير ما ذكرناه بهذا الخصوص. ونلاحظ أن جهيمان تحدث بلطف في رسالته «دعوة الإخوان» عن حسين شريف مكة، واتهم الملك عبد العزيز بخداعه. هذا الأمر قد يسبب شكوكاً سعودية مستترة عن نوايا الملك حسين تجاه الجزيرة العربية. كما ناقشنا في (المرجع سي) أيضاً، احتمال وجود علاقة لليمن الجنوبي، وما زلنا لا نجد سبباً لعمل استنتاج بهذا الخصوص. نعتقد أن القيادة السعودية، فكرت في نقطة معينة في اتهام اليمن الجنوبي لتشويه سمعته وعزله عربياً، ولكن نعتقد أيضاً أنهم قرروا لاحقاً عدم توجيه هذا الاتهام، على الرغم من قيام بعض المسؤولين بعمل تصريحات لصحف أمريكية تشير إلى هذا الاتهام.

١٠. وعلى الرغم من تورط بعض رجال القبائل، إلا أننا لا نعتقد أن الحركة كانت لها خلفية قبلية. الأخبار الأولية المنتشرة شعبياً عن الحادثة أشارت إلى أن المتمردين كانوا من قبيلة قحطان، وشاع خبر عن تعرُّض اثنين من المتدربين القحطانيين لغضب ٣٨ من زملائهم في برنامج تدريبي في قاعدة سعودية. ولكن فور التأكد من عدم وجود أساس قبلي للتمرد، عاد الود بين المتدربين. معظم المتمردين تم تجنيدهم بواسطة الأعضاء المتجولين لنشر فكر الجماعة.

١١. وبالمثل، لا نعتقد بوجود علاقة مباشرة بين جماعة جهيمان والإخوان في عهد الملك عبد العزيز، على الرغم من أن جماعة جهيمان والجماعة الكبرى التي انشق عنها تحملان لقب «إخوان». الجماعتان الأخيرتان ببساطة أخذتا إلهاماً من الجماعة الأولى، ولكن ذلك الإلهام نتج من دراسة التاريخ والسنة، وليس لوجود روابط شخصية.

١٢. للتلخيص: لا نعتقد أن حادثة مكة ـ بنفسها ـ قوَّضت استقرار النظام. وبسبب الزعم المهدوي لمحمد بن عبد الله، لم يكن أمام هذه المجموعة سوى فرصة ضئيلة لكسب أتباع كثيرين في المملكة، ولذلك لم تسبب تلك الحادثة تهديداً جدياً، ولكنها نجحت في شد أعصاب مجتمع الأعمال والمهنيين إضافة إلى القيادة. ووضعت علامات استفهام بخصوص

العديد من فرضيات الناس عن النظام، وكشفت عن بعض المشاكل الملتهبة التي يواجهها النظام مثل الفساد والحاجة لمؤسسات سياسية ملائمة بصورة أفضل لتزايد السكان وارتفاع مستوى التعليم وازدهار الاقتصاد. استمرار استقرار النظام يعتمد بشكل كبير على الكيفية الفعالة للنظام في معالجة هذه المشاكل.

١٣. ينبغي الإشارة هنا إلى ملاحظة هامة؛ ففي نظرنا، أثبتت حادثة مكة بوضوح أنه ليس من الصواب أن نواصل افتراض أنه لا يوجد مكان كاف على يمين العائلة المالكة لبزوغ حركة متزمّته يمكنها أن تسبب تهديداً للنظام الحالي. كما ذكرنا سابقا (مرجع دي، ومرجع إي)، فإن أحد أكثر المشاكل جدية التي يواجهها النظام السعودي هو كيف يُحَدِّثْ بسرعة تكون مقبولة للتحديثيين ولا تزعج المتزمّتين. هذا يعني أن تمشي الحكومة على حبل مشدود. وبينما تبدو القيادة تفعل ذلك بصورة حسنة، فإنها قد تجد نفسها في مواجهة تحدٍّ من اليمين أو اليسار. التمرد المتكرر للأصولية الإسلامية يزيد الضغط من اليمين ويجبر القيادة على تنازلات لتهدئة المحافظين. هذه الظاهرات ليست جديدة في السعودية، وقد كان هناك واحدة في عام ١٩٧٧، (راجع برقيات جدة في ربيع ١٩٧٨ عن الوهابية الجديدة [نيو وهابية]، وأخرى في صيف ١٩٧٨، ونحن الآن وسط حادثة أخرى، هذه المرة أكثر ضخامة بسبب ثورة الخميني. وعند التأمل بأثر رجعي، نعتقد أن وقت تشديد التطبيق الديني لعام ١٩٧٨، كان على الأغلب بسبب رد فعل الحكومة بعد القبض على بعض أعضاء جماعة جهيمان. وبعد انتهاء حادثة مكة، سمعنا عدداً من الناس يشيرون إلى أنه بالرغم من عدم تعاطفهم مع جماعة جهيمان، إلا أنهم يأملون أن صدمة الحادثة سوف تعيد الالتزام الديني الصارم إلى البلاد.

١٤. قد يكون هناك بعض الأمل بأن التوتر بين التحديث والتزمت الديني يمكن، مع مرور الزمن، أن يتلاشى ويصبح توتراً جيلياً بدلاً من جغرافيّ، كما كان في تركيا وإيران. حيث أصبحت المدن حديثة وعصرية، بينما بقي الريف تقليدياً. السعودية تتحضر بسرعة ونصف السكان السعوديين يسكنون الآن المدن الكبيرة. ومع استمرار التحضر، وانتشار

التعليم الحديث، وزيادة الاتصال بالعالم الخارجي، نعتقد أن الجيل الشاب سيصل إلى توفيق بين الدين والتكنولوجيا، ومن ثم سيصبح الأمر مسألة أن يقوم الجيل الشاب بالشرح لأجداده لماذا لا تتعارض أساليبهم [الحديثة] مع الإسلام. ولكن من المحتمل أن يستغرق التحول ٢٠ عاماً، وتحولات كهذه عادة ينتج منها حوادث، بينما يتم العمل على إنجاز حلول توفيقية. وبالرغم من كون حادثة مكة هي الأكثر جدية حتى الآن، إلا أن عدداً من الحوادث وقع في الماضي، وهناك احتمال قوي لوقوع حوادث أخرى مستقبلاً.

السفير وست

انتهت البرقية الرقم ٣٥

وفيما يلي صورة فوتوغرافية لثلاث برقيات (الصفحة الأولى لكل منها):

برقية رقم (٢٠)
من السفارة الأمريكية بجدة إلى الخارجية الأمريكية

الموضوع: (...) يستعرض استجواب الأسرى وردّ فعل آل سعود على الأزمة.

A5

SECRET

RELEASED IN PART
B1, 1.4(B), 1.4(D)

PAGE 01 JIDDA 08218 281533Z
ACTION NODS-00

INFO OCT-01 ADS-00 /001 W
------------------023746 281539Z /53

O 281448Z NOV 79
FM AMEMBASSY JIDDA
TO SECSTATE WASHDC IMMEDIATE 8100

S E C R E T JIDDA 8218

NODIS DECAPTIONED

E.O. 12065: GDS 11/28/99 (WEST, JOHN C) OR-M
TAGS: PINS, ASEC, SA
SUBJECT: (S) DISCUSSION WIT [ ]: MECCA EVENT

1. -ENTIRE TEXT).

2. SUMMARY: [ ] GAVE ME A SUMMARY OF EVENTS AT MECCA AND THE ROYAL FAMILY'S REACTION TO THEM IN A TWO-HOURS SESSION ON THE EVENING OF NOV 27. [ ] JUDGMENT IS THAT THE RELIGIOUS DISSENTERS' ATTACK ON THE HOLY MOSQUE WILL IN THE LONG RUN STRENGTHEN THE ROYAL FAMILY AND SAG BECAUSE IT HAS FAILED TO EXCITE ANY SYMPATHY OR SUPPORT WITHIN SAUDI ARABIA OR THE MUSLIM WORLD. AT THE SAME TIME, SAG RECOGNIZES THAT PRECAUTIONS HAVE TO BE TAKEN TO PREVENT MINORITY GROUPS, RELIGIOUS OR POLITICAL, FROM SEIZING POWER,AS A CONSEQUENCE, THERE WILL BE LESS ACCOMMODATION OF RELIGIOUS AND POLITICAL DISSENTERS FROM NOW ON WITHIN THE KINGDOM. EXTENSIVE INTERROGA-TIONS ARE UNDERWAY OF THE CAPTURED TERRORISTS WITH LITTLE INDICATION SO FAR OF A POLITICAL CONSPIRACY; HOWEVER, SAG AUTHORITIES HAVE NOT RULED OUT POSSIBILITY OF RUSSIAN INFLUENCE THROUGH PDRY IN INSTITUTING AND SUPPORTING INCIDENT. MOPPING UP OPERATIONS ARE CONTINUING AT MECCA WITH SOME 25 TO 30 PERSONS STILL HOLDING OUT IN BASEMENT. END SUMMARY.

SECRET

SECRET

PAGE 02 JIDDA 08218 281533Z

3. [ ] SPENT APPROXIMATELY TWO HOURS WITH ME ON HE EVENING OF NOV 27. HE CAME TO THE KINGDOM BECAUSE OF A SCHOLASTIC HOLIDAY AND REMAINED AFTER THE PROBLEMS BEGAN AT MECCA. HE HAD TOLD ME EARLIER ON HIS

UNITED STATES DEPARTMENT OF STATE
REVIEW AUTHORITY: SHARON E AHMAD
CLASSIFICATION: SECRET REASON: 25X6
DECLASSIFY AFTER: 1 JAN 2020
DATE/CASE ID: 13 JUL 2006 200600046

برقية رقم (٢٦)
من السفارة الأمريكية بعمّان إلى الخارجية الأمريكية

الموضوع: آراء الملك حسين عن الحادثة

E2

SECRET

RELEASED IN PART
B1, 1.4(B), 1.4(D)

PAGE 01 STATE 310446
ORIGIN NODS-00

INFO OCT-00 ADS-00 /000 R

66011
DRAFTED BY:NEA:KHULL
APPROVED BY:NEA:KHULL
S/S-O:SBUTCHER
------------------050595 020219Z /70
O 020136Z DEC 79 ZFF5
FM SECSTATE WASHDC
INFO RUQMRA/AMEMBASSY JIDDA IMMEDIATE 0000
AMEMBASSY CAIRO IMMEDIATE

S E C R E T STATE 310446

NODIS DECAPTIONED

FOLLOWING REPEAT AMMAN 7527 ACTION SECSTATE DTD DEC 01:

QTE: S E C R E T AMMAN 7527

NODIS

E.O. 12065: RDS-1&3. 12/1/99 (VELIOTES, NICHOLAS A.)OR-M
TAGS: PEPR, SA, JO
SUBJECT: (S) HUSSEIN'S VIEWS ON SITUATION IN SAUDI ARABIA

1. S - ENTIRE TEXT.

2. ON EVENING OF NOVEMBER 30, KING HUSSEIN BRIEFED ME ON HIS ONE-DAY VISIT TO SAUDI ARABIA ON NOVEMBER 28. WHILE THERE, HE SAW KING KHALID, ROYAL ADVISOR PHARAON AND PRINCE ABDULLAH. CROWN PRINCE FAHD AND PRINCE SULTAN, BOTH OF WHOM HE VERY MUCH HOPED TO SEE, UNFORTUNATELY WERE IN THE HEJAZ.

SECRET

SECRET

PAGE 02 STATE 310446

برقية رقم (٢٩)
من السفارة الأمريكية في جدة إلى الخارجية الأمريكية

الموضوع: أمريكيان مفقودان في مكة.

A67

UNCLASSIFIED

RELEASED IN PART
B6

PAGE 01 JIDDA 08450 101600Z
ACTION OCS-06

INFO OCT-01 NEA 07 ADS 00 PPT-01 L-03 H-02 /020 W
------------------117155 102030Z /51

R 081313Z DEC 79
FM AMEMBASSY JIDDA
TO SECSTATE WASHDC 0216
INFO USLO RIYADH

UNCLAS JIDDA 08450

E.O. 12065 N/A
TAGS: CASC, SA [redacted]
SUBJ: MISSING AMERICANS IN MECCA

B6

B6

UNCLASSIFIED

UNCLASSIFIED

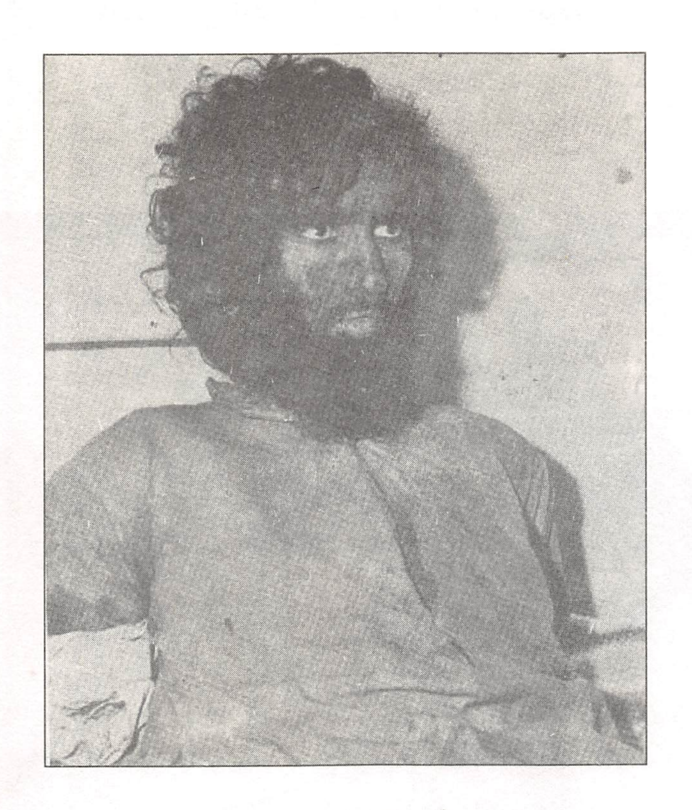
PAGE 02 JIDDA 08450 101600Z

4. EMBASSY IS ASKING MFA TO INQUIRE WITH LOCAL AUTHORITIES ON THE WELFARE AND WHEREABOUTS OF THESE TWO AMERICANS, WHOM IT NOW SEEMS COULD BE VICTIMS OF THE INSURRECTION THAT COMMENCED AT THE GRANDS MOSQUE ON NOV 20, 1979. PLACKE

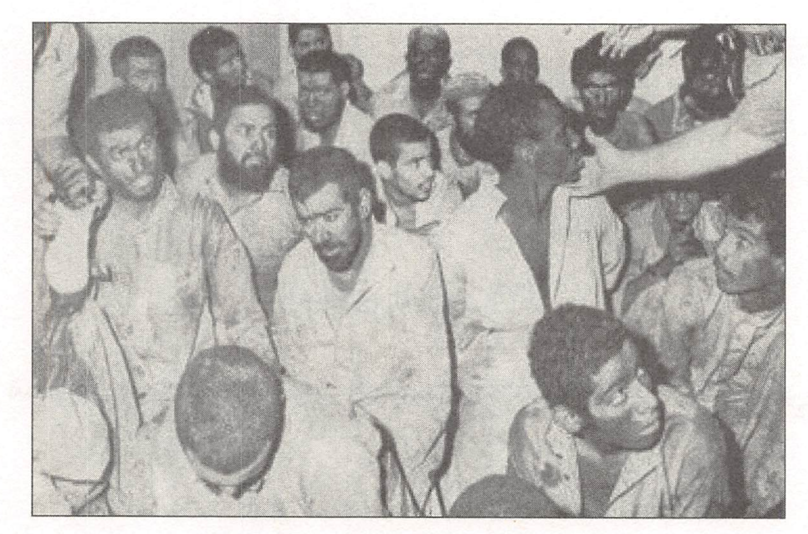
انتهى الملحق الرقم (٦)

الملحق الرقم (٧)

معرض لبعض الصور الخاصة بحادثة الحرم المكي



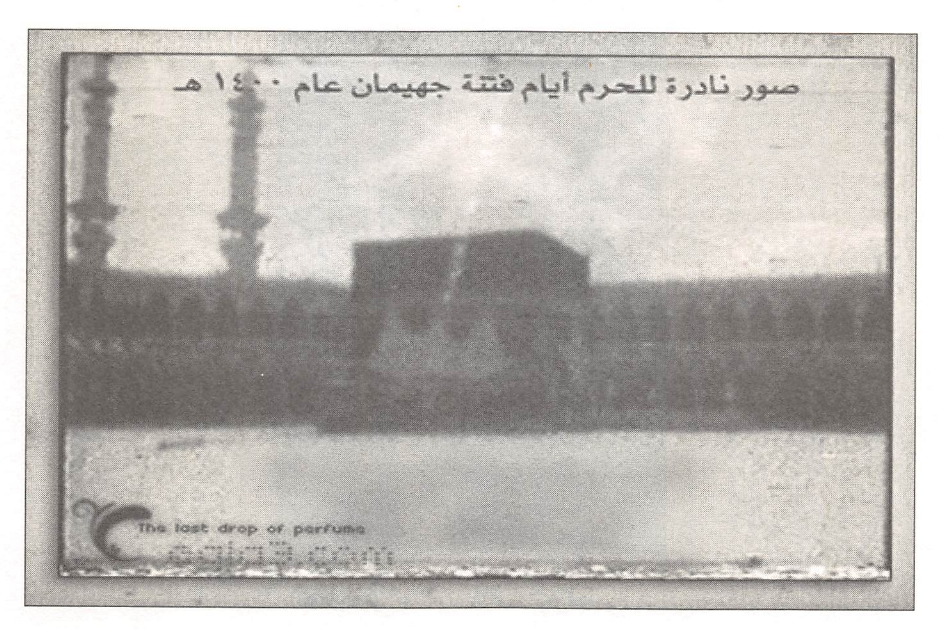
رأس الفتنة : جهيمان



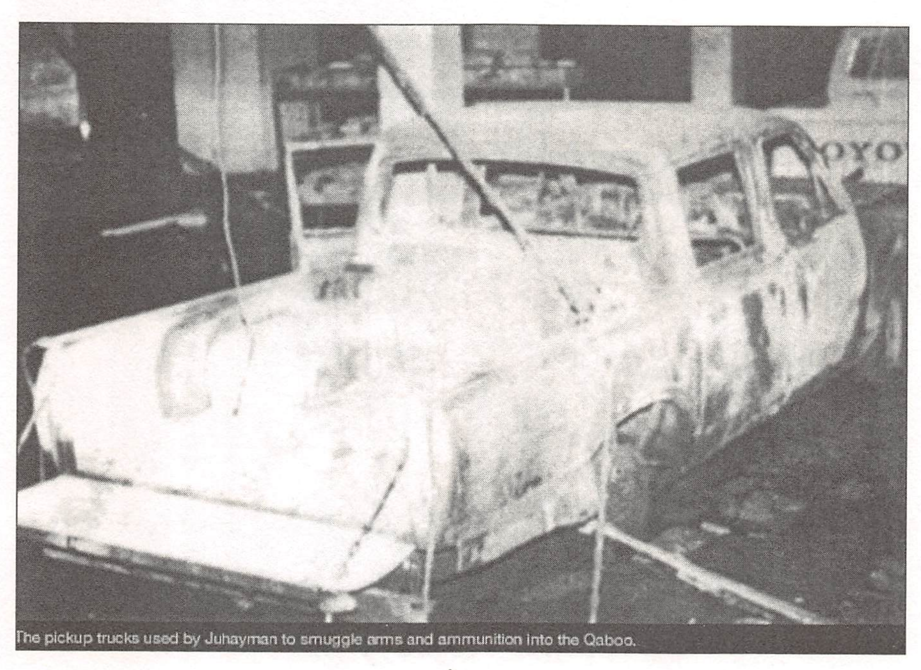
مجموعة من الطغمة الباغية بعد القبض عليهم



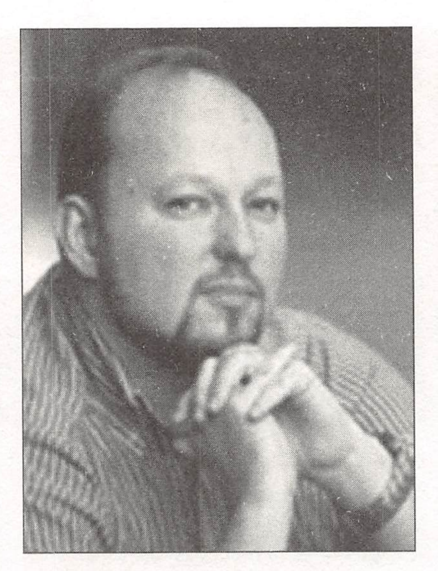
جثة «المهدي» المزعوم محمد عبد الله القحطاني



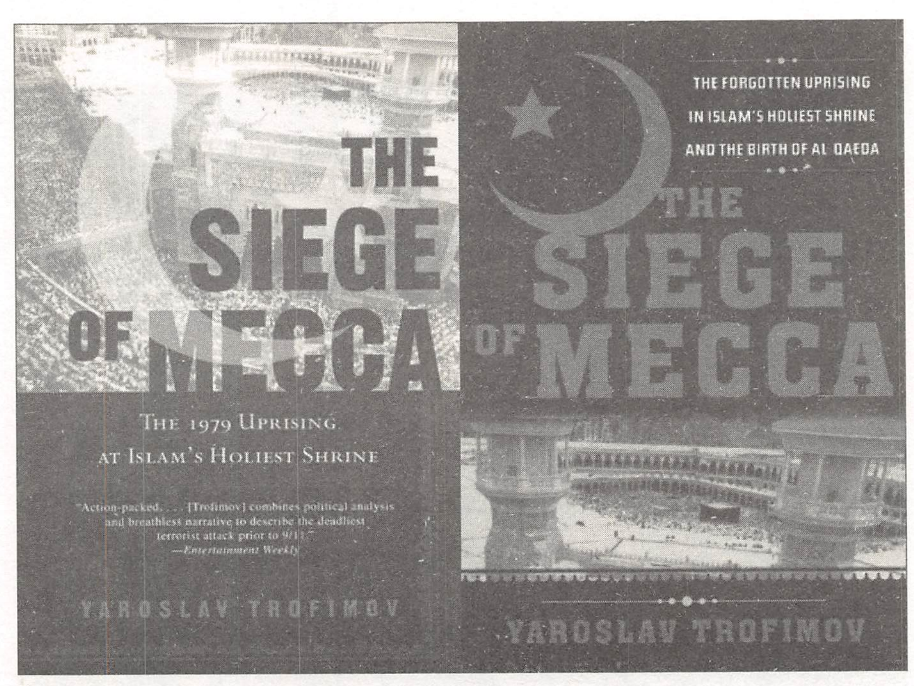
صورة الحرم أثناء الأزمة ويلاحظ خلوُّه من المصلين


The pickup trucks used by Juhayman to smuggle arms and ammunition into the Qaboo.

شاحنة استخدمت لتهريب الأسلحة والتموينات إلى القبو

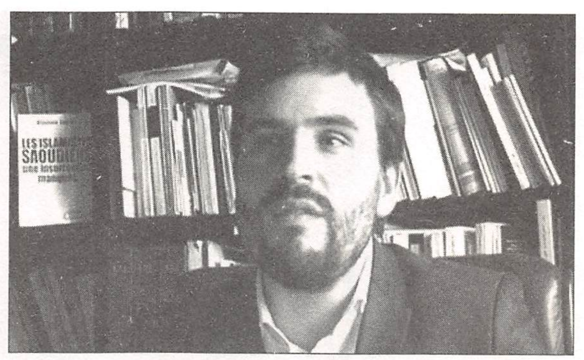


الصحافي ياروسلاف تروفيموف



كتاب تروفيموف «حصار مكة»

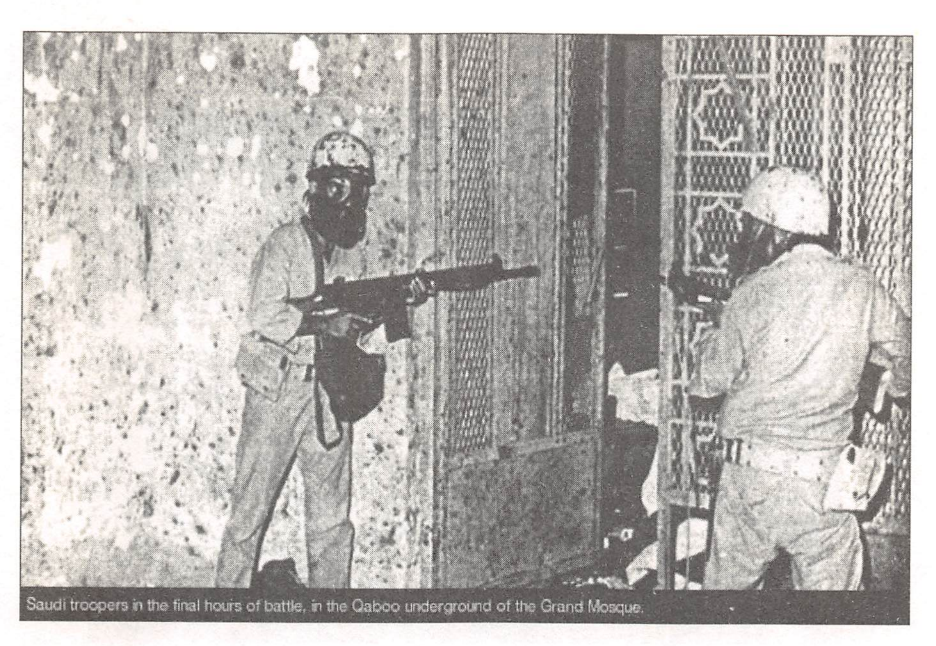
من اليمين بالعنوان الفرعي الأصلي ومن اليسار بالعنوان الفرعي الجديد



الباحث د. ستيفان لاكروا

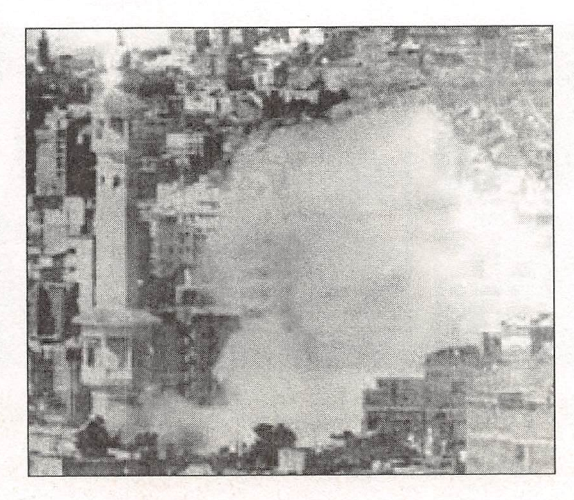


الباحث د. توماس هيغهامر

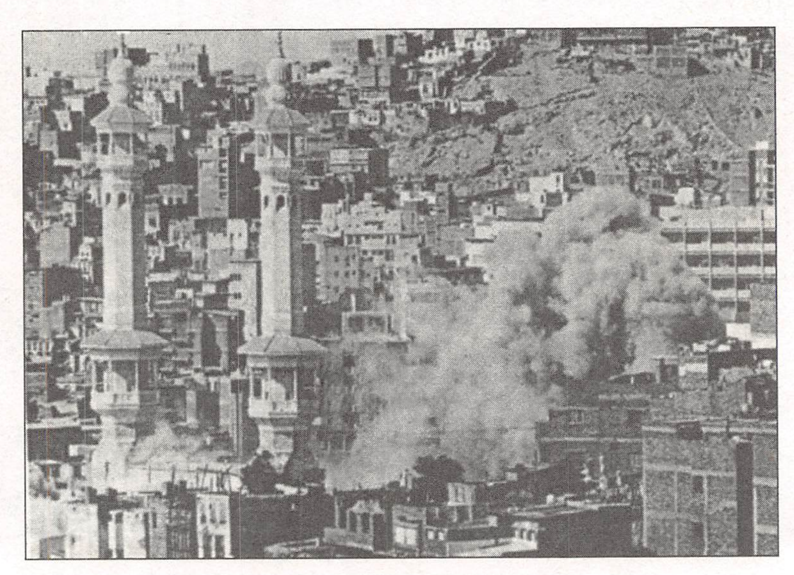


Saudi troopers in the final hours of battle, in the Qaboo underground of the Grand Mosque.

قوات سعودية في آخر ساعات المعركة في القبو



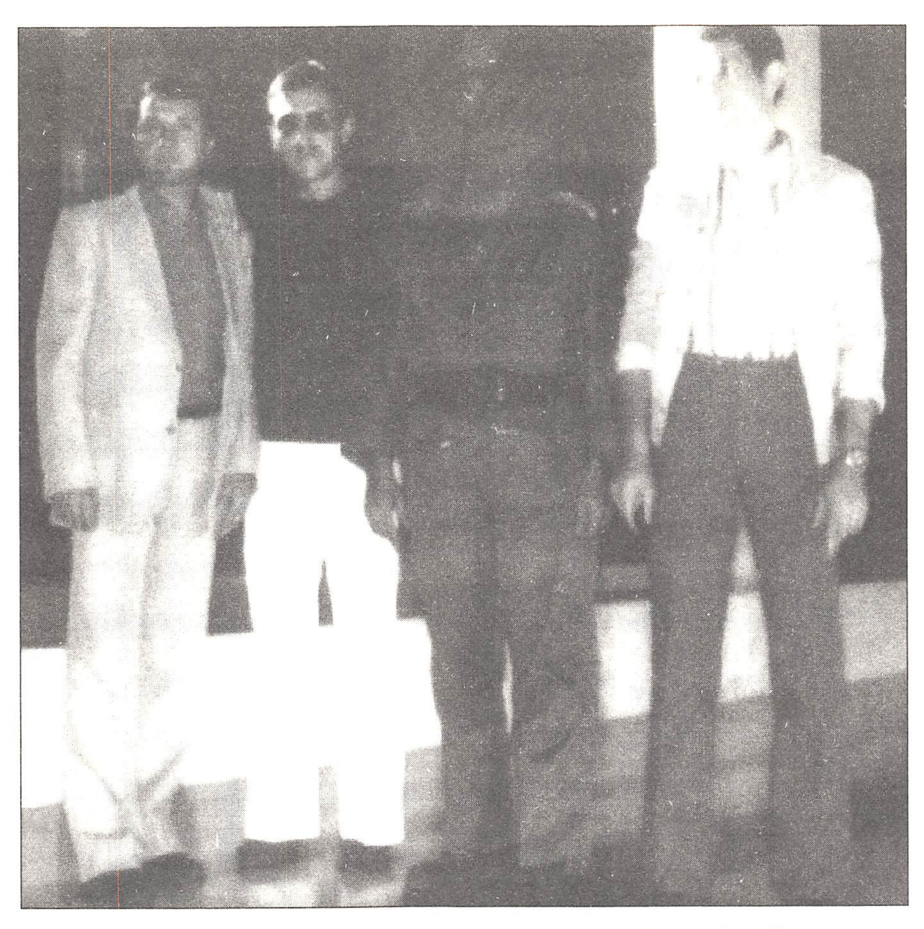
دخان يتصاعد من الحرم المكي



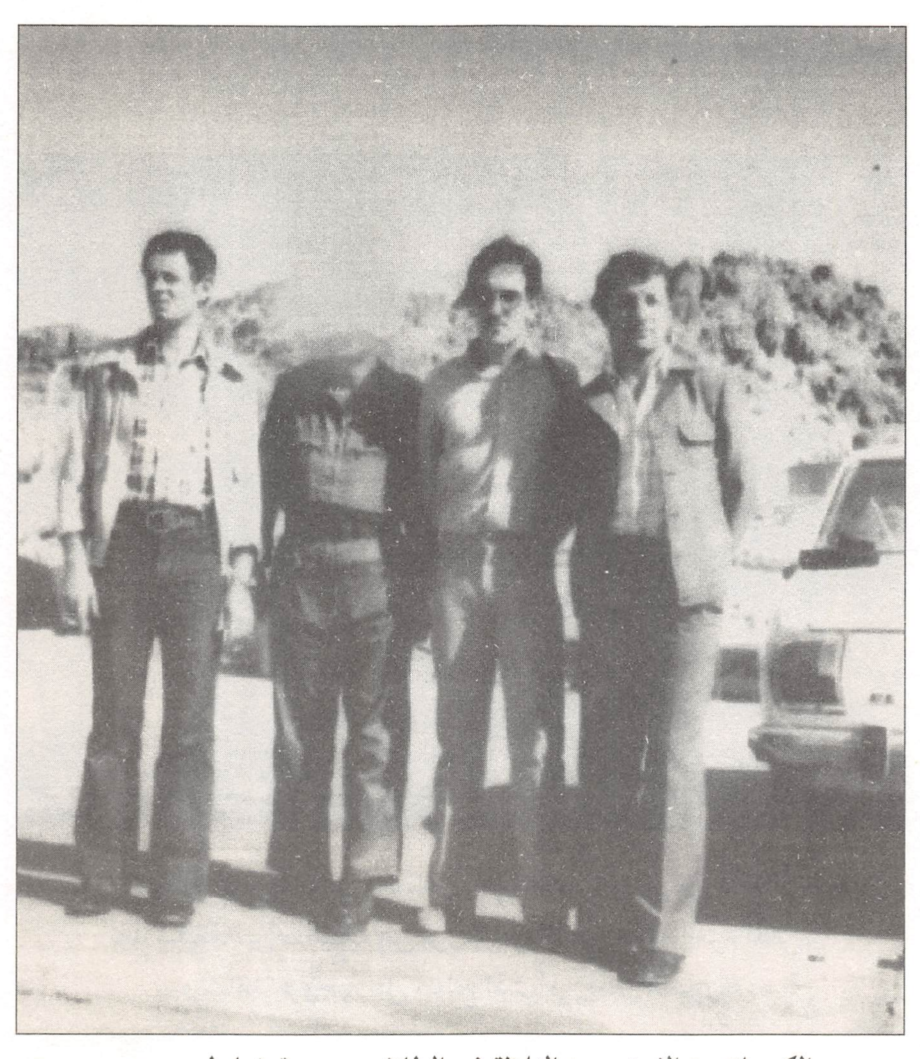
دخان يتصاعد من الحرم المكي



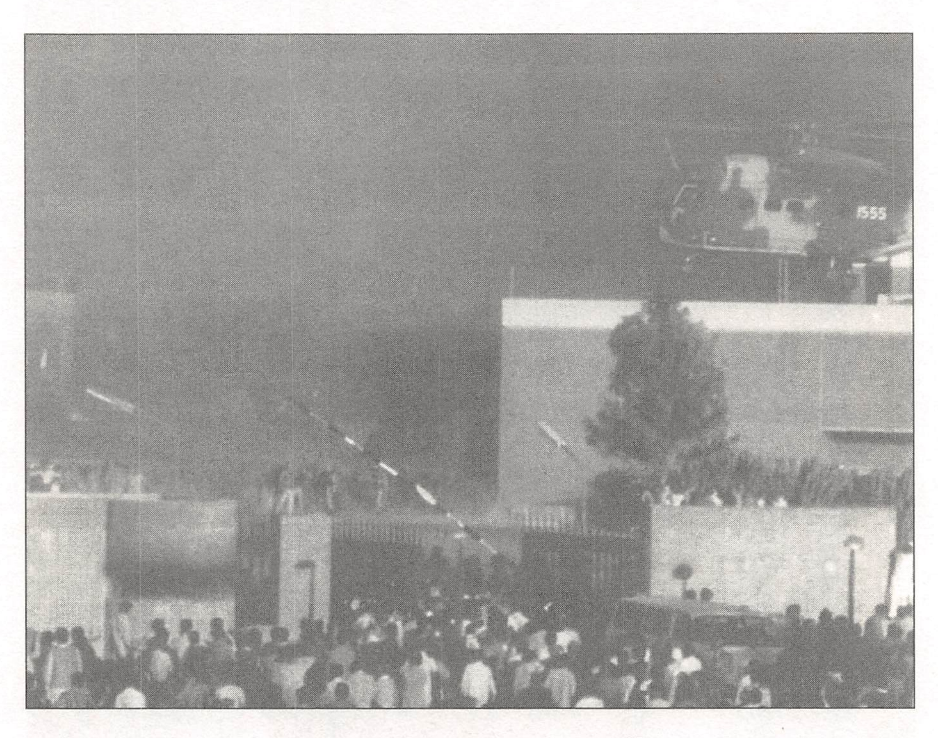
بعض التلفيات في الحرم



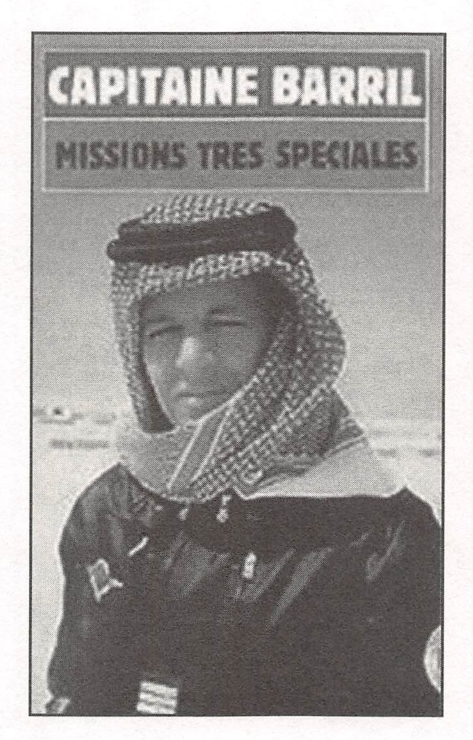
الكوماندوز الفرنسيون الثلاثة في الطائف مع ضابط سعودي
(طمسنا وجهه منعاً للإحراج).
من اليسار الضابط إيغنانس وديكي، ثم الضابط كريستيان لامبرت،
ثم ضابط سعودي، وفي أقصى اليمين رئيس الوحدة النقيب بول باريل.
(صورة نادرة تنشر لأول مرة في كتاب باللغة العربية)



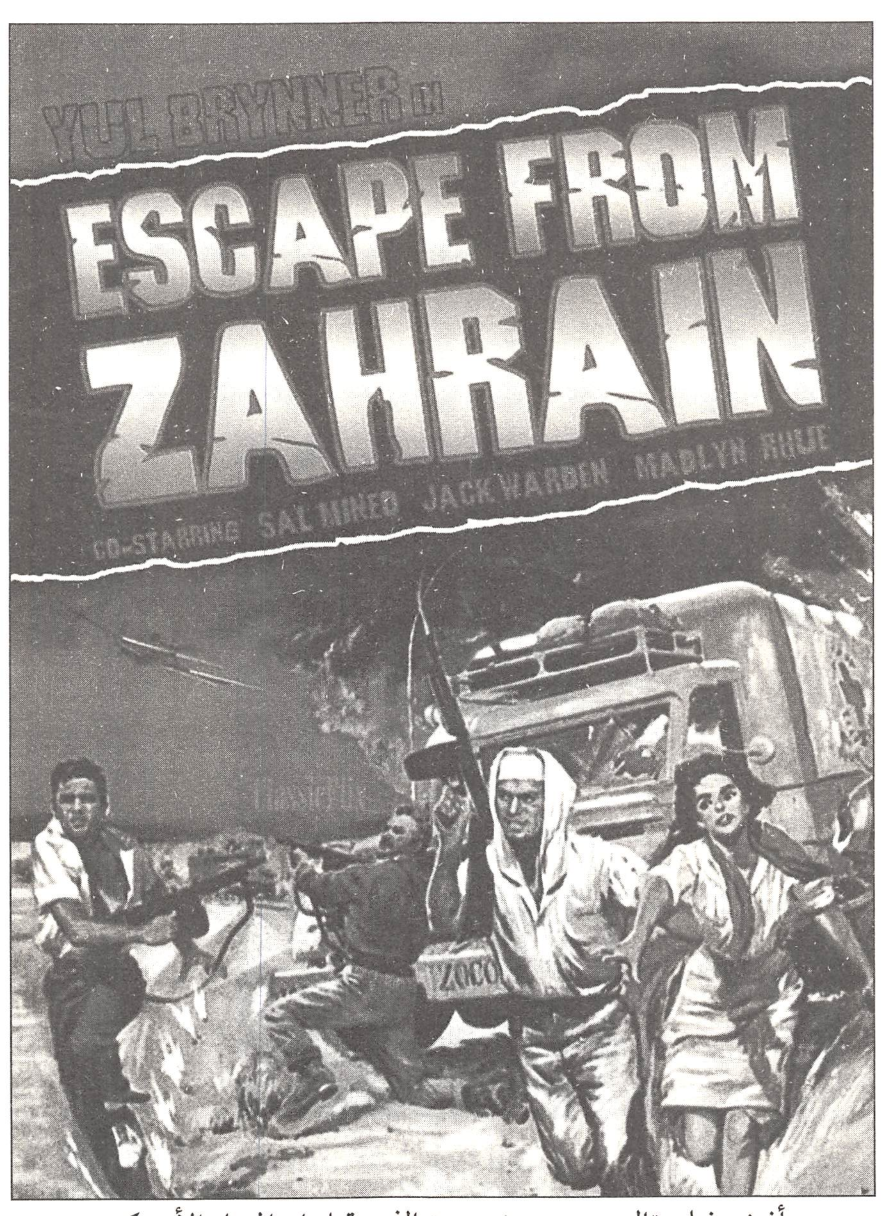
الكوماندوز الفرنسيون الثلاثة في الطائف بصحبة ضابط سعودي
(طمسنا وجهه منعاً للإحراج).
في أقصى اليسار النقيب بول باريل ثم ضابط سعودي
ثم الضابط كريستيان لامبرت ثم الضابط إيغنانس وديكي.
(صورة نادرة تنشر لأول مرة في كتاب باللغة العربية)



صورة السفارة الأمريكية في باكستان وهي محاصرة وتتعرض لأعمال شغب بعد شائعة غير صحيحة عن تورط أمريكا في حادثة الحرم المكي.
وتشاهد مروحية على سطح المبنى في يمين الصورة.



«كتاب مهمات خاصة جداً» للكابتن بول باريل .



أفيش فيلم «الهروب من زهرين» الذي قيل إن الممثل الأمريكي يول براينر (١٩٢٠-١٩٨٥)، جسد فيه شخصية المعارض السعودي ناصر السعيد والذي أنتج عام ١٩٦٢، والمقتبس من رواية بعنوان «موعد في زهرين» (Appointment in Zahrain) للكاتب الأمريكي مايكل باريت.

انتهى الملحق الرقم (٧)

الملحق الرقم (٨)

قالوا عن حتى لا يعود جهيمان

(١) الأستاذ إبراهيم عيسى (جريدة الدستور الأصلي)

(٢) د. أحمد بن عبد المحسن العساف (موقع صيد الفوائد)

(٣) الأستاذ إبراهيم درويش (صحيفة القدس العربي)

(٤) هدهد (موقع هدهد).

(٥) القارئة الأستاذة مي الشريف (موقع Goodreads)

(٦) القارئ الأستاذ محمد الجروان (موقع Goodreads)

(١)
«إخوان جهيمان العتيبي في المقطم»

بقلم: الأستاذ إبراهيم عيسى (جريدة الدستور الأصلي)
السبت ١٥ يونيو ٢٠١٣

<http://www.dostorasly.com/columns/view.aspx?id = 1c7339d1-6a39-4649-be3d-aaa8d649e44f>.

هى خِسَّة ليست الأولى.

ما فعله الإخوان فى الإسكندرية (ومن قبله فى المقطم) من اتخاذ بيوت الله مركزا للتجمع للاعتداء على معارضيهم، ثم الاختباء والاختفاء داخل المسجد والادعاء أن الناس تحاصرهم وتحاصر بيوت الله، هو منهج فاسد ومضلل وتطاوُل على بيوت الله بالتعامل معها، كأنها حصن للإرهاب والعنف ضد مواطنين، ثم التضليل والتزييف والدعاية خربة الإيمان أن معارضيهم يتجرؤون على المساجد.

ما يفعله الإخوان هو نفسه ما فعله جهيمان العتيبى فى مكة مع الحرم شخصيا.

هو ذاته ما فعلته جماعة الإخوان (هذا كان اسمها) بزعامة جهيمان العتيبى فى تجرؤ وضيع على بيت الله المقدس.

تعالَ نقرأ للكاتب السعودى المدهش د. حمد العيسى، فى ترجمته لكتاب «حتى لا يعود جهيمان»، لنعرف ماذا جرى من إخوان جهيمان، حتى نفهم ما جرى من إخوان الشاطر. . .

فى ساعات الصباح الأولى فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩، ظهرت مجموعة

من الرجال المسلحين الغلاظ الأشداء في ساحة المسجد الحرام في مكة. وبعد أن أطلقوا الرصاص في الهواء، تقدموا بسرعة نحو الكعبة، ووصلوا إلى الإمام الكهل الذي سيقود صلاة الفجر، ودفعوه جانبا ملوّحين بخنجر، ثم أمسك رجل ذو لحية كثيفة، بدا كأنه قائدهم، بالميكروفون وصاح بتعليمات لرفاقه الذين كانوا مشتَّتين داخل المسجد الحرام. أغلقوا بسرعة كل البوابات، واتخذوا مواقع مناسبة تمكنهم من إطلاق النار بسهولة من المنارات ومواقع إستراتيجية أخرى. وهكذا احتل هؤلاء المتمردون أقدس موقع في الإسلام، وتم احتجاز عشرات الآلاف من المصلين داخل الحرم.

هكذا بدأ تمرُّد مكة الذي يعتبر واحدا من أكثر أحداث القرن العشرين إذهالا ومأساوية التي وقعت في المملكة العربية السعودية، إن لم يكن في أنحاء العالم الإسلامي كافة. ولمدة أسبوعين كاملين بقي الحرم المكي تحت حصار قوات الأمن السعودية التي كانت تحاول بصورة محمومة استعادة السيطرة على المسجد الحرام من هؤلاء المتمردين المجهولين. وعندما تمت السيطرة على الوضع واستعادة النظام في ٤ ديسمبر ١٩٧٩، كان هناك مئات من القتلى. لم يسبق - من قبل أو حتى من بعد - أن أُريق مثل هذا القدر من الدماء في مكان العبادة المقدس هذا.

لقد كان هذا السيناريو الذي وقع في مكة أواخر نوفمبر ١٩٧٩، شاذًّا وغريبًا للغاية، ولم يكن متوقعا مطلقا، لدرجة أنه، في ذلك الوقت، لم يفهم أحد ماذا كان يجرى. مَن يجرؤ على إحضار أسلحة إلى المسجد الحرام؟ ومَن يجرؤ على استخدامها لاحتجاز المصلين المسالمين كرهائن؟ ومَن يجرؤ على إراقة الدماء حول الكعبة؟

لم يكن هذا إلا جهيمان العتيبى، زعيم حركة الإخوان المتطرفة، الذي ظن أنه يعلن ثورة مقدسة مع اقتحامه الحرم المكي، وحاصرت القوات السعودية الحرم، بل وشاركت قوات فرنسية في عملية الاقتحام لتحرير الرهائن والقبض على الإرهابيين، ساعتها لم يكن احتماء جهيمان بالكعبة إيمانا وتقوى، ولم يكن اقتحام الحرم كُفرًا وانتهاكا للمقدسات.

إخوان جهيمان لا يزالون بيننا فى مصر الآن!

(٢)
حتى لا يعود جهيمان!

د. أحمد بن عبد المحسن العساف
< http://www.saaid.net/Doat/assaf/158.htm >

١٠ أبريل ٢٠١٣

يعود العنوان لكتاب سلس يقع في ٣٠٠ صفحة، صدرت طبعته الأولى عام ٢٠١٣ عن منتدى المعارف في بيروت، ومؤلفاه هما المستشرقان: د.توماس هيغهامر ود.ستيفان لاكروا، وترجمه للعربية المهندس د. حمد العيسى الذي يحق لنا أن نفاخر به كمترجم محترف، مثل البعلبكي وزعيتر. وقدم للكتاب المفكر والكاتب د. محمد حامد الأحمري، وعلى الغلاف الأمامي صورة المسجد الحرام وفي الإطار صورة لجهيمان، وعلى الغلاف الخلفي صور لرباعي التأليف والترجمة والتقديم، مع صورة حريق في المسجد الحرام.

وقد أشار د. الأحمري في مقدمته إلى أنه ما كان يتوقع أن يقدم يوماً لعمل استشراقي؛ لما يصاحب غالب أعمال المستشرقين من فقدان الموضوعية، حتى صارت منبوذة لدى المتلقي، وأصبح الإنصاف من المستشرقين شذوذاً يعزز قاعدة التجني من قبل عامتهم، ولذا تروج أفكار المستشرقين عبر وسطاء وناقلين محليين. وقد أثنى على ما في عمل المؤلفين من إحكام وأخذ عليه تأثره بغربتهم عن بيئتنا وسيطرة الهاجس التنظيري المتعسف أحيانا، وعدَّ من العبث ما أشيع كمسلَّمة عن هزيمة جهيمان وانتشار أفكاره.

ولفت المترجم د. العيسى نظر القراء إلى اعتماد الباحثين بشكل كبير

على أقوال الأستاذ ناصر الحزيمي الذي تحول ١٨٠ درجة بعد أن قضى ثماني سنوات في السجن، ثم نشر ذكرياته في الرياض السعودية وليس الغارديان اللندنية! وبحسرة المواطن المخلص، قال المترجم: إن التسهيلات التي منحت للمؤلفين الشابين لو منح مثلها لباحث سعودي لجاء بحثه أحسن وأحكم، وقد أثبت المترجم دعواه هذه حين أضاف للكتاب سبعة ملاحق ذات قيمة عالية؛ خاصة وثائق السفارة الأمريكية، كما تعقب المترجم المؤلفين في بعض المواضع؛ ولم يقع أسيراً لأصولهما الغربية التي ينبطح أمامها بعض قومنا.

والمؤلفان يجيدان اللغة العربية؛ فالأول نرويجي يتقن خمس لغات، وله كتاب عن القاعدة في جزيرة العرب، والثاني فرنسي يتحدث بأربع لغات ويلم باثنتين، وله كتاب عن الصحوة الإسلامية في السعودية، ويتضح من سيرتهما الجدية والاهتمام بالشأن الإسلامي في المملكة.

يتكون الكتاب من عدة مقدمات وفصلين، ويتحدث الفصل الأول عن جهيمان وأحداث احتلال الحرم، ويختص الفصل الثاني بدراسة تأثير الشيخ الألباني الذي رآه الأحمري تأويلاً مبالغاً فيه مع أن المؤلفين كانا أنزه من بعض بني جلدتنا، حين كتبا بصراحة أنهما بريئان من اتهام الألباني ونسبة أخطاء حركة جهيمان إليه.

وبعد ذلك أضاف المترجم سبعة ملاحق، الأول والثاني فقرات من كتب غربية عن السعودية وحادثة جهيمان، والثالث حوار لصحيفة السفير اللبنانية مع الملك فهد، بعد إنهاء التمرد وكان حينها ولياً للعهد، والملحق الرابع حوار لذات الصحيفة مع الأمير نايف وزير الداخلية آنذاك، والملحق الخامس نقل فيه بيان هيئة كبار العلماء. وأما السادس، وهو الأهم، فقد تضمن ترجمة ٣٥ وثيقة من برقيات السفارات الأمريكية في جدة والظهران والكويت ودمشق وعمان والقاهرة والرباط، اشتراها المترجم من حرِّ ماله ـ وهو الذي لا يجد دعماً ولو معنويا مع الأسف ـ والملحق السابع للصور؛ وإحداها تنشر لأول مرة في كتاب صادر بالعربية، وهي صورة الضباط الفرنسيين الثلاثة ومعهم ضابط سعودي طمس وجهه؛ ولا أدري ما سبب الطمس؟

ومما جاء في الكتاب أن أمريكا كانت أول من أعلن نبأ احتلال الحرم على لسان مساعد وزير خارجيتها هودنغ كارتر قبل أن تعلنه المملكة؛ واتهمت أمريكا إيران والشيعة بذلك، وبالمقابل رد الخميني بأن الحادث خطة أمريكية للسيطرة على الحرم، لتندلع مظاهرات عارمة في باكستان ضد السفارة الأمريكية أدى لإحراقها وقتل دبلوماسي أمريكي. أما الاتحاد السوفياتي والشيوعيون العرب، فوصفوا الاحتلال بأنه انتفاضة الطبقة العاملة، وهذا درس بليغ للمتلقي: الخبر واحد بينما تحليلاته حسب هوى المحلل، فحصِّن عقلك وارفع وعيك.

وكانت السلطات السعودية قد قطعت جميع الاتصالات ومنعت الوصول لمكة، حتى لا يتسرب الحدث وتطوراته، ويقول المترجم: إنه من حسن حظ الحكومة السعودية أن وسائل الاتصالات الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي لم تكن معروفة حينذاك.

وحاول المؤلفان تعليل هذه الحركة، وذكرا عدة أسباب، لكن أهم عامل منها حسب توضيح المترجم في هامش ص٣١ هو سرعة وتيرة التحديث التي أدت لتحرر المجتمع، علماً أن التحديث ليس مشكلة في حد ذاته، وإنما البلاء في ضياع الهوية وفقدان البوصلة، وقد أشارت السفارة الأمريكية في الوثيقة المهمة رقم ٣٥ إلى أهمية التعاون مع الحكومة المحلية في التحديث المتدرج بما لا يصادم بقوة الثقافة السائدة.

ويضيف الباحث الأمريكي جاشوا تايتلبام إلى ما تقدم، أنه كان لفقدان العلماء استقلاليتهم في نظر الناس بعد أن تحولوا لموظفين حكوميين برواتب أثر في انخفاض قدرة المؤسسة الدينية على توجيه الناس، وليت شعري لو رأى تايتلبام هذه المؤسسة وما تتعرض فما كان سيقول؟! وفي هامش ص٥٥ يتساءل المترجم: هل كان دعم السعودية للجهاد الأفغاني، لاسترداد شيء من شرعية النظام الإسلامية التي اهتزت بعد حادثة الحرم؟ وهو ذات التساؤل الوارد في وثيقة للسفارة الأمريكية.

ومن الطريف ما ذكره الباحثان أن «فهد القحطاني» اسم قلمي للمعارض الشيعي الدكتور حمزة الحسن، وأن رسائل جهيمان طبعت في

مطابع الطليعة اليسارية الكويتية! ومن اللافت قولهما: «أدركت دول عربية فائدة تيار أهل الحديث الجدد [غلاة الطاعة] لعمل توازن مع صعود السلفية السياسية التي تشكل تحدياً غير مسبوق لسلطاتهم».

وفي لقاء الملك فهد ـ ولي العهد آنذاك ـ مع صحيفة السفير في ٠٩ يناير ١٩٨٠ روت الصحيفة على لسانه أن مجلس الشورى، سيعين خلال شهرين وبعد ذلك يتولى المجلس مناقشة النظام الأساسي وإقراره، لكن الذي حدث ـ لأسباب وجيهة ربما ـ أن النظام الأساسي صدر بعد هذا اللقاء باثني عشر عاما، وعُين مجلس الشورى بعد صدور النظام الأساسي بعامين. ثم نقلت الصحيفة ـ والعهدة عليها ـ قوله: «بين المواطنين من هو أغنى من أفراد عائلتنا، وإن أكثرنا كعائلة لا يتمتع بواحد في المائة مما يتمتع به الكثير من المواطنين لا من ناحية السكن ولا من ناحية المعيشة».

أما الأمير نايف، فقد أصر في لقائه مع ذات الصحيفة المنشور في ١٠ يناير ١٩٨٠ على استخدام السيف في القصاص دون التفات للرأي العام الغربي، وفي عام ١٤٣٤ وجهت وزارة الداخلية إمارات المناطق بإمكانية استخدام الرصاص في القصاص بديلاً عن السيف. وفي اللقاءين، تكرر تضايق الملك والأمير من غياب المهنية في الإعلام، وتزوير الحقيقة.

ويتبين من ملحق وثائق السفارات الأمريكية، أن السفارة تفيد من الموظفين الأمريكان المدنيين والعسكريين في تقصي الأخبار؛ فضلاً عن وجود مواطنين لبعضهم وظائف مهمة أو مكانة مرموقة ويتحدثون مع موظفي السفارة دون تحفظ! وعلى سبيل المثال: نقلت المصادر للسفارة أن أعداد القتلى والجرحى أكبر من المعلن عنها رسميا.

وللسفارة متابعة دقيقة للإعلام المحلي باللغتين؛ حيث ذكرت إحدى الوثائق أن أوسع تقرير عن حادثة جهيمان نشر في صحيفة محلية ناطقة بلغة أجنبية! وحسب السفارة، فقد حظيت زيارة وزير الخزانة الأمريكي باهتمام صحفي أكثر مما حظيت به ٢٦ زيارة تضامنية للمملكة بعضها من زعماء عرب!

وتحدثت الوثائق عن أهمية سلامة المواطن الأمريكي وأمنه، سواء رضيت الحكومة المحلية أو غضبت، ولذا استنفرت أمريكا للسؤال عن مصير اثنين من الأمريكيين المشاركين مع جهيمان، وحصلت القنصلية في الظهران على تأكيدات عليا بالحماية؛ مع نصيحة بعدم إعلان مظاهر الاحتفال بعيد الميلاد والامتناع عن الخروج حال السُّكر!

وخصصت الوثيقة (رقم ٣٥) (*) لتقرير السفارة عن السعودية عام ١٩٧٩، حيث تضمن التقرير أربع مشكلات تواجهها أمريكا في العلاقة مع المملكة، وهي:

١ ـ الثورة الإيرانية وتأثيراتها، وهي مزعجة للحكومة السعودية والأكثر إزعاجاً تخلي أمريكا عن صديقها الملك المخلوع!

٢ ـ النزاع الفلسطيني اليهودي والتعهدات الأمريكية، لطمأنة الحكومة السعودية المهتمة بفلسطين.

٣ ـ التهديد الروسي للمنطقة.

٤ ـ الفساد بالمعنى الغربي، ويعنون به الفساد المالي والإداري. أما الأخلاق، فلا قيمة لها!

ويوصي التقرير بحل مشكلات تحديث المجتمع بالتعاون مع الحكومة بوتيرة هادئة لا تثير ولا تصادم الثقافة الشعبية، ويشير إلى رغبة أكثر المواطنين بأن تستعيد الحكومة التزامها الديني، ويصف مشاعر أغلب السعوديين بأن علاقة الحكومة مع أمريكا تصب في مصلحة أمريكا فحسب، ويعلق معد التقرير أنه لحسن الحظ؛ فالقيادة لا تشارك شعبها في هذا الشعور! ثم يختم باحتمالية وقوع حوادث أخرى مستقبلا، حيث أثبتت الحادثة أنه ربما يمكن لمجموعة دينية أخرى غير منشغلة بمزاعم مهدوية أن تسبب تهديداً جدياً للنظام، إذا أثارتها سياسات التحديث والفساد في الحكومة.

وإذ نستعرض مثل هذا الكتاب، نشارك المترجم دعوته لأن يتولى

(*) بل (رقم ٣٤). (العيسى).

مواطنون مهنيون مخلصون دراسة مشكلاتنا وتقديم الحلول الناجعة لها؛ فهؤلاء إذا سلموا من التبعية للغرب ومن العداء للثقافة المحلية ومن التزلف للسلطة، فسيكونون الأقدر على تجلية مكامن الخطر وفرص النفع.
وكم نتمنى أن تمضي بلادنا بأمن وأمان نحو تحقيق مصالح الناس في دينهم ودنياهم وتنمية البلاد والارتقاء بها دون مساس بثوابتها الشرعية، أو الرضوخ لإملاءات الآخرين، فلدينا دين قيم، وشعب واع متطلع، وثروات هائلة، وفرص عريضة للإصلاح الاختياري لم تنحسر بعد؛ وتنتظر مَنْ يجرؤ ويهتبلها!

أحمد بن عبد المحسن العسَّاف ـ الرِّياض
الأربعاء ٢٩ من شهرِ جمادى الأولى عام ١٤٣٤
١٠ أبريل ٢٠١٣

(٣)

«حتى لا يعود جهيمان: حفريات إيديولوجية في فصل تاريخي غامض»

بقلم أ. إبراهيم درويش (صحيفة القدس العربي)

<http://www.alquds.co.uk/?p=36617>

٢٢ أبريل ٢٠١٣

مضى أكثر من ثلاثة عقود على احتلال الحرم المكي من مجموعة دينية، لم يتفق المحللون على توصيف أهدافها والدوافع التي أدت بها لإدخال السلاح والسيطرة على الحرم الشريف في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ لمدة أسبوعين قبل أن تتمكن القوات السعودية من إخراج المنفذين والمتآمرين بمساعدة من الدول الحليفة وقوات فرنسية خاصة بقيادة الكابتن بول باريل أسهمت في شل آخر فلول الجماعة التي قامت بالعملية، وذلك في ٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩.

وقد جاء احتلال جهيمان العتيبي وأتباعه الحرم في ظل أحداث مهمة حدثت في ذلك العام؛ أي ١٩٧٩ حيث اجتاح الاتحاد السوفييتي أفغانستان، وأنهت الثورة الإسلامية في إيران حكم عائلة آل بهلوي، وجاءت في ظل عزلة عربية لمصر بعد توقيعها معاهدة كامب ديفيد منفردة مع إسرائيل. كل هذه التطورات، وإن لم تكن في ذهن منفذي العملية الذين كانوا مجموعة من الناشطين السعوديين الخارجين من عباءة السلفية، أيا كان تعريفها والمؤمنين بفكر قيامي و«مسياني» إلا أن تدفع الباحث لقراءتها في هذا الإطار وأخذ الأحداث نفسها بعين الاعتبار.

ولأسباب تتعلق بالدولة السعودية التي أنهت ملف العملية باعتقال وإعدام ٦٠ أو أكثر من المتورطين في العملية وسجن المئات. وأدى تعتيمها على ملفات الحركة والتحقيقات إلى ظهور تفسيرات متعددة لرمز جهيمان تتراوح من الفهم الطبقي ـ الاشتراكي، إلى تصفية الحسابات التاريخية مع الدولة السعودية الحديثة ومواصلة كفاح حركة «الإخوان» الذين قاتلهم مؤسس الدولة السعودية الملك عبد العزيز بن سعود في معركة «السبلة» عام ١٩٢٩، إلى فهم آخر مرتبط بالتحولات التي شهدتها السعودية وعمليات الحداثة والتحولات من المجتمع البدوي إلى حضري، فبدوية جهيمان وسنوات هروبه من الشرطة السعودية أثرت في البعد التحليلي لهذه الحركة. ومن هنا بدا جهيمان في كتب الناقدين للدولة السعودية ثائرا وفي كتابات أتباعه أو من تبقى منهم منظرا جهاديا له آراء في شرعية الدولة السعودية. لم يعرف الكثير من التفاصيل عن الهجوم مع أن الدولة السعودية أصدرت كتابا صغيرا عن الحركة «وتموت الفتنة» (١٩٨٠) سرعان ما سحب من الأسواق، وهو كتاب دعائي يتحدث بلغة الإدانة عن «الطغمة الخارجة» و«الزمرة» والخوارج الذين احتلوا الحرم المكي. ولعل تعتيم الحكومة السعودية واحد من الأسباب التي أدت إلى الجدل حول شخصية جهيمان العتيبي وأتباعه، فأفكاره التي وضعها في رسائله المعروفة، والتي طبعت في الكويت تمثل المصدر لفهم الدوافع والأسباب التي أدت به وجماعته لمواجهة الدولة السعودية وتحدي شرعيتها. وإضافة إلى الرسائل التي ظلت متداولة بين قطاع ضيق من المهتمين بالحركة وأفكارها، فهناك بعض الكتب بالعربية من مثل كتاب رفعت سيد أحمد 'رسائل جهيمان العتيبي قائد المقتحمين للحرم'، وعدا ذلك روايات من كانوا جزءا من الحركة وانشقوا عنها قبل بداية الهجوم أو من سجنوا وخرجوا من السجن، وفي المحصلة فالأدبيات عن حركة جهيمان ظلت قليلة حتى وقت قريب. ومع ظهور السلفية الجهادية ومنظريها من مثل أبي محمد المقدسي، وانتشار مراكز البحث التابعة للسعودية أو لدول أخرى مهتمة بالظاهرة الجهادية السلفية، وظهور جيل من الكتاب السعوديين، ممن تخلوا عن أفكارهم الجهادية وفتحت لهم الأبواب للكتابة في الصحف السعودية وتلك في الخارج، ونشر بعضهم مذكراته

وكتبا، حيث قدمت هذه المذكرات إضاءات على حركة جهيمان أصبح بيدنا الآن تراث وكم من المعلومات، يتمكن الباحث المهتم من دراستها والحكم عليها. ويضاف إلى هذه الكتب اهتمام غربي بالحادثة، حيث صدرت عدة كتب باللغة الإنكليزية عنها، منها كتاب ياروسلاف تروفيموف «حصار مكة: انتفاضة عام ١٩٧٩ في أقدس بقعة إسلامية» (٢٠٠٧) وقد حصل الباحث الأمريكي هذا على إذن من مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض. كما وأصدر الباحثان توماس هيغهامر وستيفان لاكروا دراسة حديثة «تمرد مكة: قراءة جديدة لقصة جهيمان العتيبي»، وقد ظهرت ترجمة الكتاب العربية بعنوان «حتى لا يعود جهيمان: حفريات إيديولوجية وملاحق وثائقية»، حيث قام المترجم السعودي د. حمد العيسى، بإضافتها للكتاب وحقق بعض نقاط الكتاب الأصلي. وعلى الرغم من أن الكاتبين يعتمدان على أحد أعضاء الحركة السابقين، وهو ناصر الحزيمي الذي يقول المترجم في مقدمته إنه تحول ١٨٠ درجة من المعسكر الرفضي إلى نقيضه. وكان الحزيمي قد سجن ثمانية أعوام في قضية جهيمان، حيث قرر الانشقاق عن الحركة احتجاجا على الفكرة المهدوية التي باتت تسيطر على فكر جهيمان، ولعلها كانت نتاجا لهروبه عامين من الشرطة وهيامه على وجهه إلا من مجموعة من أتباعه لم يتعدوا الخمسة في غالب الأحيان من الشرطة، حيث اختبأ في مضارب البدو. ويرى المترجم أن كتاب هيغهامر ولاكروا مهم من ناحية علمية لأنه يقدم معلومات ليست معروفة للكثير من السعوديين، في داخل السعودية، ولهذا فالعيسى مهتم بأن تصل أفكار الكتاب للسعوديين، إضافة للمهتمين بقصة جهيمان العتيبي، ولعل اختياره للعنوان البديل الذي استوحاه من استنتاجات الكاتبيْن، دعوة للاستفادة من دروس الماضي وإعادة النظر في الأسباب والجذور التي أدت لولادة حركات، مثل حركة جهيمان. ولعل تكتم الدولة على المعلومات والوثائق وعدم توعية المجتمع بما جرى كان مدعاة لظهور حركات أكثر تطرفا وانقلابية، مثل تنظيم القاعدة الذي قاده أسامة بن لادن، حتى مقتله عام ٢٠١٢.

فتح الخزائن

والغريب أن الباحثين الأجانب تفتح لهم خزائن المعلومات والوثائق فيما تغلق الأبواب أمام الباحثين من أبناء الوطن وتثار حولهم الشكوك، إلا

في حالة كونهم، ممن يقدمون رؤية تخدم النظام أو الحكومة في هذا البلد أو ذاك. ويعترف الكاتبان في مقدمة الكتاب بالسرية التي أحيط بها الحادث وفظاعته، لأن أحدا لم يكن يتوقع تعرض الحرم المكي لهجوم مثل هذا أدى إلى انتشار الشائعات، حيث قال الإعلام السوفييتي إن الهجوم جاء نتاج ثورة قامت بها الطبقة العاملة، كون الذين نفذوا العمل جاءوا من حي فقير في المدينة المنورة ومن أصول بدوية، فيما قالت صحيفة **نيويورك تايمز**، إن الهجوم قام به مسلمون شيعة متأثرون بالثورة الإيرانية. وقامت مظاهرات غاضبة في باكستان بعد انتشار شائعة تقول إن الهجوم جزء من خطة إمبريالية أمريكية للسيطرة على الأماكن المقدسة في السعودية. والغموض لم يكن حكرا على القطاعات الشعبية في العالم الإسلامي، بل طبع برقيات الكثير من السفراء والمبعوثين الدبلوماسيين واللقاءات التي أجراها مسؤولون أمريكيون مع مسؤولين عرب، فحسني مبارك منع صحيفة **الأهرام** من نشر خبر عن انتشار العنف في مدن سعودية مختلفة، وهناك برقية تتحدث عن الموقف السوري الذي اتهم الإمبريالية والصهيونية، وشكوك المؤسسات العربية الحاكمة من استخدام الشيوعية للحادث، حيث تمت قراءة الحادث في ظروف الحرب الباردة، وما إلى ذلك من البرقيات والمراسلات الأجنبية خاصة الأمريكية التي ترجمها العيسى، وأرفقها بصور يقول إنها تنشر لأول مرة(*) عن ثلاثة من جنود القوات الخاصة الفرنسية الذي نصحوا القوات السعودية الخاصة حول كيفية استخدام غاز أعصاب سي بي يشل حركة من تبقى من المقاتلين.

من هم؟

وفي قلب تساؤلات الباحثين «من هم؟ وماذا يريدون؟» أي المتمردون. ويرى الكاتبان أن جماعة جهيمان لم تكن سوى فرعا صغيرا من جماعة أخرى، وهي «الجماعة السلفية المحتسبة» وكلمة «المحتسبة» أضافها الشيخ عبد العزيز بن باز الذي كان أحد رعاة الجماعة، عندما كان مديرا للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. وكانت تعرف أيضا باسم «جماعة الدعوة المحتسبة»، وانشق فرع جهيمان بعد حادثة معروفة «حادثة السطح»، وآمن

(*) في كتاب باللغة العربية. (العيسى).

أتباعها بمهدوية محمد القحطاني الذي سيرسم في الحرم كمهدي آخر الزمان؛ اي بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم، وبعدها تقوم القيامة وينتهي الكون. ويقول الكاتبان إن الحركة التي نشطت في الستينيات من القرن الماضي، تمثل تيارا «رفض» في التيار الإسلامي العام الذي كان ينشط في السعودية، مثلها مثل بقية الدول العربية، فهي لم تكن محصنة من تيارات الإسلام، السياسي منه أو الدعوي والتبليغي. ويجادل الكتاب أن الجماعة السلفية المحتسبة اختفت في السعودية بعد الهجوم على الحرم إلا أن بعض عناصرها وأفكار الفرع الرافض منها، نجا وظل حيا بين المؤيدين له في الكويت وفي أفكار أبي محمد المقدسي الذي أصبح منظر التيار السلفي الجهادي، حيث درس في المدينة وسافر إلى أفغانستان.

دور ناصر الدين الألباني

ويؤكد الكتاب على الدور الذي لعبه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في أفكار الجماعة المحتسبة والأثر الذي أحدثته كتاباته على الفكر الوهابي السعودي، وذلك بقراءة علاقة المحدث المعروف بالسعودية وعمله وإن كان قصيرا في الجامعة الإسلامية. والجدل الذي أحدثته في السياق الوهابي، فالألباني ظل يؤمن أن مؤسس الدعوة السلفية كان في العقيدة سلفيا ومقلدا في الفقه للمذهب الحنبلي. ويعرف الجميع أن كتابات وتحقيقات الشيخ الألباني لم تلق قبولا من العلماء السعوديين الذين اتهموا بعدم معرفتهم العميقة في علم الحديث، ولعل كتاب «حجاب المرأة المسلمة» الذي قال فيه إن وجه المرأة «ليس بعورة» أثار الكثير من الجدل لأنه يضعف من حالة «نقاب الوجه»، وأيا كان فالألباني ضمن سياق الكتاب، ينظر إليه على أنه واحد من المؤثرات التي أثرت على أفكار هذه المجموعة الشابة التي كانت أعمار أفرادها تتراوح ما بين الخامسة عشرة إلى الأربعين؛ فكتابه «صفة صلاة النبي» أثر على تصرفات أبناء الحركة الشعائرية من ناحية رفضهم مثلا فكرة المحراب في الجامع، باعتبارها بدعة وجواز الصلاة بالأحذية وما إلى ذلك. ويأتي ربط الألباني بالجماعة هذه التي رفضت الدولة، وشككت في شرعية آل سعود، باعتبارهم يفتقدون شرط «القرشية» في الإمامة في وقت لم يرتبط فيه الألباني ولا أتباعه من السلفيين التعليميين أو الداعين لفهم وتعلم الحديث، بالسياسة.

وشعار الألباني الذي تحول لعقيدة داخل أتباعه «من السياسة ترك السياسة» جعله في جبهة حرب مع الحركات الإسلامية الأخرى ذات البرامج السياسية من مثل الإخوان المسلمين الذين اتهم قادتها بعدم العلم بالحديث والاهتمام به، ورفض اجتهادات سيد قطب وناقش أن مؤسس الحركة، حسن البنا لم يكن عالما. **ويجب لفت الانتباه هنا إلى أن الكاتبين لا يحملان الألباني مسؤولية فكرية أو سياسية، بل يشيران إلى الجذور الإيديولوجية لجماعة الرفض الجهيمانية هذه. ويرى الكاتبان أن حقيقة رفض الحركة السلفية المحتسبة تكفير الحكام جعل أفرادها ينتظرون «التدخل» الإلهي على شكل المهدي ليحل المعضلة.**

فكر الرفض

ينفي الكتاب هذا أية علاقة بين فكر الجماعة المحتسبة وفكر الصحوة في السياق السعودي، والذي نشأ نتيجة تلاقي وتلاقح مؤثرات السلفية التقليدية وفكر الإخوان المسلمين، ويرى أن فكر الرفض كما يمثله جهيمان وأتباعه نتج بتأثير من أفكار وطموحات كل من المفتي العام للسعودية في حينه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبد العزيز بن باز، وأن الحاضنة له كانت المدينة المنورة، حيث عمل عدد من طلاب العلم على نشر الفهم الصحيح للإسلام في الأحياء الفقيرة، ولعل حادثة تكسير التماثيل «المانيكان» في وجوه المحلات عام ١٩٦٥ تعبر عن فهم الشباب للأمر بالمعروف وتغيير المنكر، وقد نشأ عن هذه الحادثة الجماعة المحتسبة، والتي باركها ابن باز وأصبح من أقطابها الشيخ أبو بكر الجزائري. ولعل ما يميز هذه الجماعة أنها كانت تهدف في البداية للإصلاح ونشر العلم، واستقبلت أقطاب العلم من دول عربية ومن ممثلي جماعة أهل الحديث في شبه القارة الهندية، ولم تكن السياسة جزءا من تفكيرها. وتشي حادثة تكسير التماثيل برفض اتباع الحركة لأي مظهر من مظاهر الحداثة، حيث رفضوا بطاقات الهوية والجوازات لأنها تعبر عن ولاء لغير الله. وكونها حركة دعوية، فقد كان وجود الأجانب وطلاب العلم من دول العالم العربي فيها واضحا، ولعل مقبل بن هادي الوادعي الذي رحل لليمن كان من أعضاء الجماعة. ويتذكر كيف أنه حاول التوسط بين التيار المتطرف في الحركة وعدد من علماء المدينة في «بيت

الإخوان»، وهو مقر الجماعة عام ١٩٧٧، حيث التقوا بهم على سطح البيت، ولكن الأمور وصلت إلى حالة اللاعودة، حيث برز جهيمان كأهم وأبرز قائد في الحركة التي أصبحت أكثر تشددا.

صعود جهيمان

ومنذ ذلك الحادث «حادثة السطح»، أصبحت الحركة السلفية المحتسبة عنوانا لجهيمان وإخوانه، وتراجع التيار المعتدل لصالح المتشدد الممثل بجهيمان محمد بن سيف العتيبي الذي كان في الأربعينيات من عمره. وفاز جهيمان بالقيادة للكاريزما التي كان يتمتع بها ولكونه من السابقين في الجماعة. ولا تزال الأسئلة تدور حول أهميته العلمية وقدراته التنظيرية ونسبة الرسائل إليه، فهو لم يتم سوى الصف الرابع من دراسته ولم ينضم للجامعة، ولكنه كان من الذين يواظبون على دروس العلم التي كانت تعقد في «دار الحديث» في المدينة. ومثلما يدور الجدل هو أهليته العلمية، تثار تساؤلات حول أسباب تركه الحرس الوطني الذي كان يعمل فيه هل طوعا أم لارتكابه فعلا ما، ولا يعرف سبب انتقاله للمدينة المنورة. وأيا كان فجرأة جهيمان على انتقاد العلماء أهلته للقيادة، هذا ما يقوله تحليل الكاتبين اللذين يذهبان أيضا إلى أن جهيمان لم يكن متحدثا جيدا باللغة الفصحى، مما يضع أسئلة حول تأليفه للرسائل (١٢ رسالة)، والتي طبعتها دار الطليعة اليسارية ووزعت سرا في السعودية، ولعل أهمها رسالة «البيعة والطاعة»، التي اتهم فيها المؤسسة الحاكمة بالفساد وطلب الدنيا، وحث أتباعه على الاستقالة من أعمالهم في مؤسسات الدولة. وأحيت رسائله الكثير من أفكار العلماء التقليديين الوهابيين، مثل سليمان بن عبد الله آل الشيخ وحمد بن عتيق. ومن أهم ملامح دعوة جهيمان هي المهدوية، حيث خصص الرسالة الأولى للمهدي وصفاته وشروط ظهوره، واستلهم فيها كل التراث الحديثي. وإيمان جهيمان بظهور المهدي كان قويا، حيث يميل الكاتبان إلى هذه النظرة، وهي فكرة شائعة، وأشار إليها الجمحي في كتابه «تنظيم القاعدة: النشأة. . الخلفية الفكرية والامتداد»، وقال إن جهيمان اعتقد بظهور المهدي، فبدأ بالإعداد لاحتلال الحرم، وهذا جزء من التفسيرات التي سيقت في محاولة معرفة دوافع جهيمان؛ فاليساريون العرب نظروا إليه كقائد ثورة شعبية ضد آل سعود، والبعض

الآخر أشار إلى فكر التكفير والهجرة، واستندوا إلى وجود عشرة مصريين ضمن المعتقلين وآخرون رأوا فيها امتدادا لحركة العشرينيات من القرن العشرين، خاصة وأن والد جهيمان كان ممن قاتلوا ابن سعود. وكل هذه التحليلات لا تشفي الغليل، وعليه يقترح الكتاب مدخلا آخر، وهو فهم الحركة على أنها نتاج من عمليات مجتمعية معقدة كانت السعودية تمر بها.

تفسير جديد

ومن أجل فهم جهيمان ودوافعه، يقترحان التمييز بين «الحركة السلفية المحتسبة» من جهة و«إخوان جهيمان» من جهة أخرى؛ فظهور الحركة الأولى مرتبط بتغييرات اجتماعية واقتصادية في الستينيات والسبعينيات، منها محاولة المؤسسة الدينية التقليدية الحفاظ على موقعها بالتأكيد على المحافظة في مجتمع بدأ يتجه تدريجيا نحو الحداثة والانفتاح، إضافة لوصول تيارات إيديولوجية جديدة من الخارج، والتفاعلات الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن التحديث السريع للبلاد. ومن هنا، فظهور جماعة جهيمان كتيار رفض اتباع النمط الكلاسيكي الذي يمكن تسميته «التطرف الجمعي» الذي يظهر عندما ينشق فصيل صغير عن جماعة معتدلة بعد عملية تسييس ونقاش داخلي. وعليه فسلوك هذا الفصيل يتم تحديده عبر القيادة الشخصية وسلوكها والايدولوجيا لا العناصر البنيوية والاقتصادية والاجتماعية أو السياسية.

كتاب هيغهامر ولاكروا مفيد في تحليل الظاهرة الجهيمانية كظاهرة رفض في تيار حركات الإسلام السياسي السلفي في السعودية وقراءتها ضمن تدافع تيارات استفادت من الموروث السلفي التقليدي، والخارج عنها، وباعتبارها حركة رد فعل ضد تيارات «الصحوة»، إلا أن استحضاره للدور الذي لعبه الألباني قد يعطي فكرة أن حركة جهيمان ليست وليدة عوامل داخلية في السياق السعودي، بل نتاج أفكار خارجة عنه، باعتبار الألباني السوري ورجل الحديث الخارج عن سياق مؤسسة العلماء تحول ليس إلى ملهم فقط للتيار الرافض في «الجماعة السلفية المحتسبة»، بل والمتحالف مع السلطة من الجامية وأتباعها، مما يعطي في النهاية فكرة أن التطرف فكر طارىء على السياق السعودي، ويذكرنا بالهجمات التي

تساق اليوم في معظم دول الخليج على الإخوان المسلمين، باعتبارهم سبب المشاكل مع أن هذه الحركة وغيرها، لم تكن في يوم من الأيام تيارا سائدا ومتسيدا في الفكر والحركة في هذه الدول، ونقطة مهمة أخرى هي أن تحليل ونقاش الباحثين شابه الكثير من التكرار، وهذا عائد إلى كون الكتاب عبارة عن مقالين كتبا في أوقات مختلفة. وأخيرا، نشير إلى نقطة مهمة كنا نتمنى لو لقيت تحليلا موسعا وتتعلق بالبعد المهدوي والقيامي - القياموي في حركة جهيمان؛ ففكرة المهدي كان يمكن أن تقرأ في سياق تاريخ حركات التجديد التي شهدها الإسلام في إفريقيا ومناطق أخرى في السابق، مع أن الباحثين أشارا إلى دراسة جين بيير فيلو حول «القياموية في الإسلام» خاصة حركات شيعية في العقود الأخيرة من القرن العشرين من مثل «جند السماء» و«أنصار المهدي» ولعل فكرة المهدي عند الشيعة مرتبطة عادة بالانتظار وظهوره، غير المهدي في الفكر السني التي جاءت نتيجة تأكيدات صوفية عليها. وفي النهاية يعتبر هذا الكتاب إضافة لمحاولتنا التعرف على شخصية جهيمان الذي تداخلت أفكاره مع الجهاديين العائدين من أفغانستان ولو بشكل محدد. ولا يقلل من الجهد المبذول من المحقق والمترجم والملاحق المهمة التي أرفقها في الكتاب.

الكتاب:

حتى لا يعود جهيمان

حفريات إيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة

توماس هيغهامر وستيفان لاكروا

ترجمة وتحقيق: د. حمد العيسى

منتدى المعارف بيروت ٢٠١٣

(٤)
موقع هدهد
حتى لا يعود جهيمان

بقلم «هدهد» (موقع هدهد)
بتاريخ ٠٢ مايو ٢٠١٣

نـقـلا عـن: <http://snapsolutionslb.com/elhodhod/index.php/slideshow/399-2013-05-02-09-54-38>

ثلاثون عاماً مرت على احتلال الحرم المكّي في المملكة العربية السعودية، ذكرى نادراً ما يستحضرها الأمراء مخافة من اضطرارهم لتفسيرها ربما أو مخافة أن تعطي للمواطنين الذين ضاقوا ذرعاً بتسلّط الملُكية فكرة جديدة، تطيح بكل مساعي التجاهل والتهميش للحراك السعودي.

في العشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩ دخل جهيمان بن محمد بن سيف الحافي الروقي العتيبي وجماعته المسجد الحرام في مكة المكرمة، لأداء صلاة الفجر يحملون نعوشاً للصلاة عليها صلاة الجنازة بعد صلاة الفجر، وما أن انفضّت صلاة الفجر، قام جهيمان وصهره أمام المصلين في المسجد الحرام، ليعلن اعتصامه في المسجد الحرام، حيث بقي مسيطراً لمدة أسبوعين قبل أن تتمكن القوات السعودية بمساعدة من الدول الحليفة وقوات فرنسية خاصة بقيادة الكابتن بول باريل من إخراجه ومن معه في الرابع من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩.

أغلقت السلطات السعودية ملف هذا الانقلاب الخطير باعتقال وإعدام أكثر من ستين شخصاً من المتورطين في العملية وسجن المئات، ما أدى إلى اختلاف المحلّلين في توصيف هذه العملية ومعرفة أسبابها ودوافعها،

فظهرت شروحات متعدّدة؛ منها ما ذهب إلى الأسباب الطبقية، ومنها ما عزا الدوافع إلى قالب طائفي وحُكي عن إيمان العتيبي بمهدوية صهره، وظنه أنه مخلّص البشرية الموعود من الله. فبدوية جهيمان وسنوات هروبه من الشرطة السعودية، أثّرت في البعد التحليلي لهذه الحركة. ومن هنا بدا جهيمان في كتب الناقدين للدولة السعودية ثائراً وفي كتابات أتباعه أو من تبقى منهم منظراً جهاديا له أراء في شرعية الدولة السعودية. أصدرت السعودية بعدها كتيباً عن جماعة العتيبي بعنوان: «وتموت الفتنة» عام ١٩٨٠ سرعان ما سحب من الأسواق، وهو كتاب دعائي يتحدث بلغة الإدانة عن «الطغمة الخارجة» و«الزمرة» و«الخوارج» الذين احتلوا الحرم المكي. وفي المقابل صدر من الكويت رسائل للعتيبي وضع فيها أفكاره، فكانت مصدراً لفهم ما يؤمن به، وما يسعى إلى تحويله لواقع يتحدى فيه الدولة السعودية.

إضافة إلى الرسائل التي ظلت متداولة بين قطاع ضيق من المهتمين بالحركة وأفكارها، صدر بعض الكتب أشهرها للكاتب د. رفعت سيد أحمد بعنوان: «رسائل جهيمان العتيبي قائد المقتحمين للحرم»، وعدا ذلك روايات ممن كانوا جزءًا من الحركة وانشقّوا عنها قبل بداية الهجوم أو من سجنوا وخرجوا من السجن. وفي المحصلة، فالأدبيات عن حركة جهيمان ظلّت قليلة حتى وقت قريب. ونُشرت أيضاً مقالات لجهاديين سلفيين تخلّوا عن أفكارهم الجهادية، وفتحت لهم الأبواب للكتابة في الصحف السعودية. تلك الإضاءات على الحركة من تحليل ومذكرات ومقابلات ومقالات، شكّلت أرشيفاً يمكن الارتكاز عليه في دراستها.

ويضاف إلى هذه الكتب إصدارات عدة باللغة الإنكليزية عنها، منها كتاب ياروسلاف تروفيموف «حصار مكة: انتفاضة عام ١٩٧٩ في أقدس بقعة إسلامية» عام ٢٠٠٧ بعد حصوله على إذن من مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض. كما وأصدر الباحثان توماس هيغهامر وستيفان لاكروا دراسة حديثة «تمرد مكة: قراءة جديدة لقصة جهيمان العتيبي» وقد ظهرت ترجمة الكتاب العربية بعنوان «حتى لا يعود جهيمان: حفريات إيديولوجية وملاحق وثائقية». ويرى المترجم د. حمد العيسى أن كتاب هيغهامر ولاكروا مهم جدا من الناحية العلمية، لأنه يقدم معلومات

ليست معروفة للكثير من السعوديين، في داخل السعودية، ولهذا فالمترجم مهتم بأن تصل أفكار الكتاب للسعوديين، إضافة للمهتمين بقصة جهيمان العتيبي، ولعل اختياره للعنوان البديل الذي استوحاه من استنتاجات الكاتبان، دعوة للاستفادة من دروس الماضي وإعادة النظر في الأسباب والجذور التي أدت لولادة حركات، مثل حركة جهيمان. ولعل تكتم الدولة على المعلومات والوثائق وعدم توعية المجتمع بما جرى كان مدعاة لظهور حركات أكثر تطرّفاً، مثل تنظيم القاعدة. وقد أرفق د. حمد العيسى ترجمته بصور قال إنها تنشر لأول مرة(*) عن ثلاثة من جنود القوات الخاصة الفرنسية الذين نصحوا القوات السعودية الخاصة حول كيفية استخدام غاز أعصاب «سي بي» لشلّ حركة من تبقى من المقاتلين.

الغريب في الأمر، أن الخزائن والمعلومات والوثائق كانت مفتوحة ومتاحة للباحثين الأجانب فيما تغلق الأبواب أمام الباحثين من أبناء الوطن وتثار حولهم الشكوك، إلا في حال كانوا يقدّمون رؤية تخدم النظام. ويعترف الكاتبان في مقدمة الكتاب بالسرية التي أحاطت بالحادث وفظاعته، لأن أحداً لم يكن يتوقع تعرّض الحرم المكي لهجوم مثل هذا، أدى إلى انتشار الشائعات إعلامياً وحتى دبلوماسياً عبر البرقيات بين الدول والسفارات.

ومنذ «حادثة السطح»، وهي تسمية للعملية التي قام بها العتيبي وأعوانه، أصبحت الحركة السلفية المحتسبة عنواناً لجهيمان وإخوانه، وتراجع التيار المعتدل لصالحه. وفاز جهيمان بالقيادة للكاريزما التي كان يتمتع بها، ولكونه من السابقين في الجماعة. ولا تزال الأسئلة تدور حول أهميته العلمية وقدراته التنظيرية ونسبة الرسائل إليه، هو الذي لم يتم سوى الصف الرابع من دراسته ولم ينضم للجامعة، ولكنه كان من الذين يواظبون على دروس العلم التي كانت تعقد في «دار الحديث» في المدينة. وكذلك، تثار تساؤلات حول أسباب تركه الحرس الوطني الذي كان يعمل فيه، هل طوعاً أم لارتكابه فعلاً ما، ولا يعرف سبب انتقاله للمدينة المنورة.

(*) في كتاب باللغة العربية. (العيسى).

يبقى جهيمان وسرّه طي الكتمان وتحت حظر التدوال والنقاش في المملكة العربية السعودية، إضافة إلى الكثير من الأحداث التي تحجّبها وتعتّم عليها، قد لا تصل هذه الأحداث إلى حد تكرار «حادثة السطح» لكنّها تحمل مقداراً كبيراً من الإمكانية للتغيير والإطاحة بنظام حنّط نفسه على العرش، وقد يتمادى في تمسّكه بالكرسي الملكي إلى حدّ هدم السعودية أرضاً وإرثاً وبشراً.

جهيمان قد لا يعود إلى الحرم، ولكّن شبح عودة الجرأة إلى نفوس المعارضين للحكم والحكّام يبقي النظام السعودي في حال ذعر يقوده إلى تضييق الخناق أكثر فأكثر على الشعب. ويبقى هذا الكتاب أحدث دراسة تضع بين أيدي الناس معطيات جديدة أو حيثيات قديمة بتحليلات جديدة، تفيد إلى فهم حقيقة ما جرى ذلك اليوم وما يجري حتى الآن في المملكة.

(٥)
حوار مع الباحث والمترجم د. حمد العيسى

أجرى الحوار أ. ميرزا الخويلدي (صحيفة الشرق الأوسط)
ترجم عددا من الكتب الأجنبية آخرها «حتى لا يعود جهيمان»
حمد العيسى: العرب يعتبرون المترجم «مبدعا من الدرجة الثانية»

<http://www.aawsat.com/details.asp?section = 19&article = 723660&issueno = 12549#.UqeOm_RdWek>.

(٧ أبريل ٢٠١٣)

على الرغم من تجربته القصيرة نسبيا في الترجمة، التي تقل عن عشر سنوات، فإن الكاتب والمترجم السعودي الدكتور حمد العيسى يمتلك سجلا من المؤلفات والتراجم يبلغ نحو ثمانية كتب متنوعة الاتجاهات والمشارب، وهو يضفي عليها روحا جديدة، كما في كتابه الأخير «حتى لا يعود جهيمان»، الذي كان كتابا مكونا من بحثين؛ الأول حمل عنوان «تمرد مكة: قصة جهيمان ـ قراءة جديدة» للباحث النرويجي توماس هيغهامر، والثاني «تأثير الشيخ الألباني في تشكيل السلفية المعاصرة» للفرنسي ستيفان لاكروا، لكنه أضاف سبعة ملاحق وثائقية مهمة عن حادثة الحرم المكي عام ١٩٧٩، مما أدى إلى مضاعفة حجم الكتاب ثلاث مرات.

يعيش العيسى في المغرب بعد تقاعده من العمل في شركة «أرامكو السعودية» حين أصيب بجلطة في الدماغ. وخلال فترة نقاهته الصحية عكف على التأليف والترجمة. والحوار التالي أجري معه عبر التواصل الإلكتروني من مقر إقامته في المغرب.

(الشرق الأوسط): كيف تختار المواضيع التي تترجمها... لقد لاحظنا تنوعا بين الأعمال السياسية، مثل كتاب «حتى لا يعود جهيمان»، والاجتماعية، مثل «قصص لا ترويها هوليوود مطلقا»، ومواضيع الثقافة والتنمية البشرية؟

(العيسى): بالنسبة إلي، هناك عاملان يحددان المادة المختارة... أولا: ذوقي الشخصي... وثانيا: وجود فكرة مبتكرة أو رسالة سامية في المادة أجدها مناسبة؛ (أي مفيدة) للقراء العرب. وهكذا دأبي في انتقاء موادي، لأنني مترجم مستقل وأترجم بمبادرة شخصية ولست أجيرا لدى صحيفة أو ناشرا ليفرض علي ما تريده.

(الشرق الأوسط): هل تفرغك للترجمة له علاقة بإقامتك الراهنة في المغرب... هل له علاقة أيضا بالتجربة الصحية التي مررت بها؟

(العيسى): كلا، بعد إصابتي المؤسفة بجلطة في المخ قبل بضع سنوات، سافرت وأقمت في المغرب وما زلت أقيم هناك مؤقتا للراحة والنقاهة والاستجمام وممارسة العلاج الطبيعي بعد هول الجلطة. لكنني في الواقع، بدأت العمل في الترجمة منذ عام ٢٠٠٢؛ أي قبل سفري إلى المغرب بعدة أعوام. وكنت قد بدأت قبلها بكتابة القصة القصيرة.

(الشرق الأوسط): ماذا تعني الترجمة بالنسبة إليك، لم اخترت أن تترجم أعمالا أجنبية للغة العربية؟

(العيسى): بصراحة لقد أغوتني وسحرتني الترجمة تماما، لأنها أولا مهنة نادرة لا يتقنها إلا القلة (وبالمناسبة ليس كل من يتقن لغة غير لغته، يستطيع أن يتقن الترجمة من وإلى، لأن الترجمة في الأساس موهبة، ومن ثم يأتي التخصص العلمي). وثانيا، لأنه يمكن للمترجم الجاد والمجتهد تقديم روائع معرفية عبرها بصورة قد لا يتيحها التأليف المباشر. وقد ساعدتني إصابتي بجلطة في المخ على تفرغي وزيادة إنتاجي في الترجمة، حيث قلت حركتي خارج المنزل، لأنني أصبحت لا أقود السيارة مطلقا وبالتالي زادت ساعات قراءتي وعملي.

(الشرق الأوسط): كانت لديك بداية في التأليف عبر كتاب «أسبوع رديء آخر»، وتناولت فيه قضية حساسة، وتمس آلاف الموظفين في شركة «أرامكو» النفطية، لكنك اتجهت إلى الترجمة... هل ثمة سبب معين؟

(العيسى): في الحقيقة وبالمعيار الثقافي المتداول، فقد نجح كتابي القصصي الأول «أسبوع رديء آخر» الذي صدر عام ٢٠٠٦ بصورة تفوق توقعاتي؛ إذ طبع ثلاث مرات حتى الآن، وذلك يعود في ظني - وبحسب ما وصلني ويصلني حتى الآن؛ أي بعد ٧ سنوات من صدوره - إلى ردود الفعل الإيجابية من الموظفين والموظفات للقصة الأخيرة التي تحمل عنوان الكتاب نفسه. واتجاهي للترجمة بعد ذلك، جاء باقتراح من عدد من الزملاء المثقفين، ولاقتناعي بأهمية الترجمة أكثر من كتابة القصة أو غيرها من فنون الكتابة.

(الشرق الأوسط): لكنك حتى في موضوع الترجمة لا تقوم بالعمل بشكله الفني، أحيانا يبدو وكأنه تأليف كتاب جديد؛ فكتاب «حتى لا يعود جهيمان» هو في الأصل كتاب مكون من بحثين؛ الأول حمل عنوان «تمرد مكة: قصة جهيمان ـ قراءة جديدة» للباحث النرويجي توماس هيغهامر، والثاني «تأثير الشيخ الألباني في تشكيل السلفية المعاصرة» للفرنسي ستيفان لاكروا، قمت بإضافة سبعة ملاحق وثائقية مهمة عن حادثة الحرم المكي عام ١٩٧٩، مما أدى إلى مضاعفة حجم الكتاب ثلاث مرات.. ما هي الطريقة التي تعتمدها في عملية الترجمة؟

(العيسى): من الناحية العلمية، فإن المترجم يعتبر - للأسف - في عالمنا العربي «مبدعا من الدرجة الثانية»، ومثل هذا التفكير المغلوط يعتبر من أبرز مظاهر التخلف الثقافي عند العرب. فبسبب هذه النظرة الدونية للمترجم، حرصت على جعل من يقرأ ترجماتي يشعر بأن هناك جهدا «بحثيا» واضحا يتجاوز الترجمة المباشرة للنص الأصلي، وذلك عبر وضع إضافات نوعية، مثل هوامش وملاحق فيها معلومات نادرة. كما أن هناك استراتجيات ومناهج علمية في مجال الترجمة، مثل «التوطين» و«التغريب»، وهناك من ينتقد الترجمة التي لا يظهر فيها المترجم للقارئ،

مثل البروفسور لورنس فينوتي أستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة تمبل الأميركية، والذي يعتبر أهم عالم ومنظر معاصر في حقل الترجمة (ولد عام ١٩٥٣). نشر فينوتي عام ١٩٩٥ كتاب «اختفاء المترجم: تاريخ الترجمة»، الذي درس فيه تاريخ ممارسة الترجمة إلى الإنجليزية في الغرب من القرن السابع عشر حتى وقتنا الحاضر، ونقد فيه الممارسة السائدة في الترجمة، والتي تجعل المترجم شخصية «غير مرئية» و«غير محسوسة»، حيث لا يشعر بها القارئ، وبالتالي وجود شبهة لتغييرات غير مقصودة في النص من عمل المترجم الماهر، لأن النص المترجم ـ يقول فينوتي ـ يتأثر كثيرا بصورة مباشرة أو غير مباشرة بثقافة وخلفية ومعرفة وأسلوب هذا المترجم مهما حاول ألا يتدخل في النص أو بالأصح ادعى ذلك. وعبر وضوح شخصية المترجم، يستطيع القارئ معرفة ماهية وسياق وفكرة النص الأصلي بالضبط.

(الشرق الأوسط): هل الإصدار الجديد يأتي بالاتفاق مع أصحاب الحق الأدبي في الإصدار الأصلي؟

(العيسى): بالطبع، هذا أمر بديهي بالنسبة لي، وقد حصلنا على حقوق النشر بالعربية من الناشر الأصلي، وزدنا بعرض النص العربي لكتاب «حتى لا يعود جهيمان»، على المؤلِفين الاثنين، لأنهما يتقنان العربية ولم تصلنا أية ملاحظة مطلقا.

حتى لا يعود جهيمان

(الشرق الأوسط): في كتاب «حتى لا يعود جهيمان» ترجمت أيضا بعض الوثائق المفرج عنها من وزارة الخارجية الأميركية، وبخاصة ما تعلق منها بحادثة الهجوم على الحرم.. كيف حصلت عليها، وهل تأكدت فعلا من مصدر الوثائق وصدقيتها؟

(العيسى): كما ذكرت في مقدمة الملحق السادس للكتاب المذكور، هذه الوثائق أو البرقيات الدبلوماسية وعددها ٣٥ صادرة عن السفارات الأميركية لدى السعودية ومصر والأردن والمغرب والكويت، وهي ليست مسربة، مثل وثائق «ويكيليكس»، بل كانت وزارة الخارجية الأميركية قد

رفعت السرية (Declassified) عنها بعد مرور المدة القانونية بحسب قانون حرية الحصول على المعلومات الأميركية (Freedom of Information Act)، بطلب من بعض الهيئات المهتمة بدراسة حركات الإسلام السياسي الراديكالي. وقمت بالتأكد من صحتها عبر مقارنتها (CROSS-CHECK) بدراسات منشورة عنها في كتب ومواقع مؤسسات بحثية، ووجدت تطابقا وتماثلا في المعلومات بنسبة ١٠٠ في المائة.

(الشرق الأوسط): هل ترى فعلا أن المؤلفين النرويجي والفرنسي في كتاب «حتى لا يعود جهيمان» قاما بعمليات «حفر» أيديولوجية.. أم أن البحثين الأصليين «لامسا» الحدث بشيء من السطحية؟

(العيسى): لقد غيرت عنوان الكتاب من «قراءة جديدة لتمرد مكة وقصة جهيمان»، إلى «حتى لا يعود جهيمان: حفريات أيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة» ليكون أكثر تعبيرا عن النص العربي مع هوامشه وملاحقه، وهذا أمر مشروع وممارس في الترجمة، لكن عناوين فصول الكتاب لم تتغير، بل بقيت كما كانت. ولذلك، فإن مصطلح «الحفر» الذي سألت عنه هو من اختياري، وقصدت به أن البحث ـ على الرغم من قصره ـ يعتبر من وجهة نظري أفضل ما كتب ـ حتى الآن ـ عن «الجذور» الأيديولوجية للتمرد، إذا أخذنا في الاعتبار ظروف المكان والزمان، ومن المؤكد ـ كما يقول المثل ـ أنه ليس كل ما يعرف يقال، لأن هناك حدودا لكل شيء.

ناقل الكفر

(الشرق الأوسط): في المجمل كمتابع لما ينشر في الغرب عن القضايا العربية، هل ترى أن هناك «جدية» في الأبحاث التي يقومون بها أم هي استطلاعات صحافية؟

(العيسى): الأمر نسبي ولا يمكن التعميم، لكنه في نظري يعتمد على المصدر؛ فالمصادر الصحافية حتى أكبر وأهم الصحف الغربية، مثل «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست» تعتبر تقاريرها عن قضايانا شبه سطحية بالنسبة إلي شخصيا، ولا تكاد تضيف لي شيئا، لكننا يجب ألا ننسى أنها موجهة للقارئ الأجنبي. أما المصادر البحثية؛ أي مراكز الدراسات

والمعاهد العلمية وخزانات التفكير، فهي أكثر جدية بالطبع، رغم أنها موجهة لصانع القرار الأجنبي.

(الشرق الأوسط): في ترجمتك «عندما تقود المرأة: كابتن هولي غراف أنموذجا» تقول إن «ناقل الكفر ليس بكافر»، كأنك كنت تخشى أن تصنف عدوا للمرأة...

(العيسى): بالطبع أخشى مثل هذا التصنيف المحرج وغير الصحيح بالنسبة لي، لكن هذا الموضوع كان عبارة عن مشاغبة بريئة مع النساء بمناسبة دخولهن مجلس الشورى. وبالمناسبة، فقد رزقني الله بخمس بنات ذكيات وجميلات، وأنا فخور بهن وأعتقد أن المستقبل سيكون لهن.

(الشرق الأوسط): هذا يقودنا إلى السؤال: هل تختار المواضيع التي لا تسبب حرجا، علما بأن بعضا مما ترجمته يمكن أن يثير ذلك؟

(العيسى): كما أسلفت، أترجم ما يفيد الناس من وجهة نظري، وقد أصيب أو أخطئ، وموضوع الحرج أمر نسبي ومتغير من زمن إلى زمن، وبالطبع غير مقصود، بل يفرضه اختيار المادة.

(الشرق الأوسط): هل تسهم ترجمة المقالات، وبخاصة الحوارات لمفكرين غربيين، تناولوا علاقة الغرب بالعالم العربي والحروب في أفغانستان والعراق، في فهم موضوعي بين الطرفين..؟

(العيسى): طبعا تسهم، وترجمتي ـ مثلا ـ لكتاب هوارد زن «قصص لا ترويها هوليوود مطلقا» خير مثال، حيث تعجب الكثير من القراء كما قرأت في منتديات الإنترنت ـ وبخاصة الشباب الذين في العشرينيات ـ من وجود مفكر ومؤرخ أميركي كبير، مثل هوارد زن يعارض فكرة الحرب ويناهض سياسات أميركا وينقدها بقسوة. وهذا يزيد من فهم كل طرف للآخر ويقضي على الصور الكاريكاتيرية النمطية التي يروجها بعض الغوغاء من دعاة صدام الثقافات والحضارات.

(الشرق الأوسط): كيف تقيّم استجابة الجمهور لكتبك وأعمالك المترجمة؟

(العيسى): الحمد لله، الاستجابة أكثر من رائعة، لدرجة أن هناك من

يطالبني بمواصلة الترجمة وعدم الاستجابة لغواية التأليف والكتابة (مقالة، قصة، رواية، إلخ). وقد نفدت الطبعة الأولى من كتاب «حتى لا يعود جهيمان» خلال أقل من شهر من صدورها، حيث تم بيعها بالكامل خلال معرض الرياض للكتاب لعام ٢٠١٣، ونحن ننقح الكتاب الآن استعدادا للطبعة الثانية. وكذلك كان الإقبال رائعا على كتاب «قصص لا ترويها هوليوود مطلقا».

(٦)
الأستاذة مي الشريف (موقع Goodreads)

بتاريخ ١٨ مارس ٢٠١٣
قيمت الكتاب بأربع نجوم (****) من أصل خمسة

<http://www.goodreads.com/book/show/17564849->

أنصح بقراءة هذا الكتاب، الترجمة جميلة جدا مع وجود الكثير من شرح المترجم. حيث يعد هذا ثاني كتاب قرأته لستيفان لاكروا . . . فالأول كان زمن الصحوة، وهو من أفضل كتب ٢٠١٢، والكاتب الآخر هو توماس هيغامر، له كتاب عن الجهاد والقاعده في السعودية، ولكن لم أقرأه حتى الآن.

وسأكتب عن أهم النقاط فيه:

١ ـ ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء ؛ الأول عن جهيمان، والثاني عن الألباني، والأخير عبارة عن وثائق مفيدة جدا.

٢ ـ كيفية ظهور الصحوة، وذلك بسبب سقوط الإخوان في عهد الملك فيصل، لتخرج لنا جماعة الصحوة، وهم خليط بين أفكار الإخوان السياسية وموقف الوهابي التقليدي الاجتماعي.

٣ ـ قصه تشكيل الجماعة السلفية المحتسبة التي كان جهيمان عضوا مؤسسا فيها واختيار ابن باز أبا روحيا للحركة، ومن ثم حدث السطح وانشقاق جهيمان وبعض من صحبه عنهم.

٤ ـ أحداث ما قبل احتلال الحرم والبحث عن جهيمان واختباؤه في الصحراء لمدة سنتين.

٥ ـ كانت سنة ١٩٧٩ الأسوأ للسعودية، حيث تم فيها احتلال الحرم، ثورة الشيعة، ثورة الخميني وسقوط الشاه، وحرب السوفيات واحتلال أفغانستان.

٦ ـ ومن ثم الانتقال للألباني ومواجهته مع التيار الوهابي المتعصب، وآراؤه عن محمد بن عبد الوهاب وسيد قطب، ومن ثم منعه لدخول السعودية لسنوات عدة بعد حادثة الحرم.

٧ ـ كان ابن باز على معرفة بتوجهات جهيمان، ولم يخبر السلطات.

٨ ـ كان من متمردي الحرم اثنان أمريكيان . . . أسلما في أمريكا وتطرفا في السعودية، وتوفي أحدهما في الحرم.

٩ ـ ثمة وثائق وبعض مقابلات الصحف. . . جميله جدا.

الكتاب جميل، وأنصح به.

(٧)
الأستاذ محمد الجروان (موقع Goodreads)

بتاريخ ٢٧ أكتوبر ٢٠١٣
قيم الكتاب بثلاث نجوم (***) من أصل خمسة

< http://www.goodreads.com/book/show/17564849- > .

الكتاب عبارة عن بحثين؛ الأول بعنوان قصة جهيمان قراءة جديدة؛ والثاني تأثير الشيخ الألباني في تشكيل السلفية المعاصرة، وقد أضاف المترجم عددا من الملاحق من مقتطفات من كتب أخرى، تناولت القضية ولقاءات صحيفة السفير مع الملك فهد والأمير نايف بعد الحادثة، بالإضافة إلى ٣٥ برقية أرسلت من السفارات الأمريكية في السعودية والكويت والأردن إلى وزارة الخارجية الأمريكية.

حاول الكاتبان في البحث أن يقدما قراءة لما قام به جهيمان، محاولين تحديد الأسباب التي دعته لمثل هذا الفعل، وذكرا عددا من التعليلات وناقشاها بشكل مختصر، ثم تناولا إرث جهيمان لفترة ما بعد الحدث وهل بقي منه شيء في أدبيات السلفيين. لقد ذكر المؤلفان في المقدمة أنهما ليسا بصدد السرد التاريخي محيلين إلى كتاب ترفيموف «حصار مكه» لمن أراد ذلك.

أما البحث الثاني الذي كتبه لاكروا، فقد ذكر فيه شيئا من سيرة الألباني ومنهجه في الحديث، ثم عرض لمآخذه على النجديين؛ فهو يرى أن هناك تناقضا بين منهجيتهم، فهم يرون عدم التقليد في العقيدة، وفي المقابل يقلدون في الفقه، ثم ذكر الأثر الذي خلفه الألباني وأبرز التيارات التي تتبع منهجه.

الكتاب في رأيي، لم يقدم الكثير من ناحية السرد، وأغلب ما ذكر فيه موجود في كتاب الحزيمي. هذا لمن أراد السرد التاريخي فقط. أما التفسير، فقد كان مقتضبا.

ويشكر المترجم على الملاحق التي أضافها، فقد أضافت للكتاب الكثير.